قبيلة شمر العربية

مكانتها وتأريخها السياسي

1800 - 1958

تأليف

Jhon Frederick Williamson

ترجمه وقدّم له

مير بصري

اطروحة قدمها المؤلف الى« شعبة التأريخ في جامعة انديانا للحصول على الدكتوراه في الفلسفة»

دار الحكمة

قبيلة شمر العربية
مكانتها وتأريخها السياسي

الطبعة الأولى

1999

DAR AL-HIKMA

Publishing and Distribution

دار الحكمة

للطباعة والنشر والتوزيع

88 Chalton Street London NW1 1HJ. Tel: 0171 - 383 4037 Fax: 0171 - 383 0116

مقدمة المترجم

هذا كتاب نادر وضعه باحث أميركي مدقّق، هو جون فريديريك وليمسن أستاذ الآداب في جامعة أنديانا بالولايات المتحدة وتناول فيه تأريخ قبيلة شمّر ومكانتها وموقعها السياسي منذ نزوحها إلى منطقة الجزيرة في شمال العراق سنة 1800 حتى ثورة 14 تموز 1958.

وشمّر من قبائل العراق الكبرى، وهي قبيلة قحطانية مساكنها الأصلية في جبل طيء، وبيت الرئاسة فيها لآل الجرباء، وهم آل محمد من فروع طيء. وقد قال مؤرخ العراق عباس العزاوي أن قبيلة شمر نزحت إلى العراق سنة 1791، ثم سار شيخها مطلق إلى سورية وتوجّه إلى الحج مع أحمد باشا الجزّار وعاد إلى بادية العراق، وقد أصاب نفوذاً عظيماً.

أغار الإمام سعود بن عبد العزيز آل سعود سنة 1798 على بادية العراق، وكان الشيخ مطلق بن محمد الجرباء الآنف الذكر نازلاً فيها فقاتله. لكن فرس مطلق عثرت في جريها فسقط الشيخ وقتل. وكانت الحكومة العثمانية آنذاك تلحّ في محاربة ابن سعود ومحاولة القضاء على حكمه بعد أن استولى على الأحساء.

إن تأريخ قبيلة شمّر في العراق في القرن التاسع عشر مليء بالوقائع والأحداث، وقد تتبعها المؤلف بدقة وأسهب في ذكر تفاصيلها. وحسبنا أن نرجع إلى مصادر الكتاب الكثيرة لنطلع على الجهود التي بذلها في هذا السبيل، ومنها سجلاّت الحكومة البريطانية وتقاريرها، وتأريخ العراق بين احتلالين وعشائر العراق لعباس العزاوي، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والبداوة والبدو والقبائل الرحالة في العراق لمكي الجميل، وعشائر الشام لوصفي أحمد زكريا، فضلاً عن المراجع المتعددة باللغة الإنكليزية ورحلات الرحالين إلى العراق.

كان شيخ مشايخ القبيلة بعد الاحتلال البريطاني في نهاية الحرب العظمى سنة 1918 الشيخ عجيل الياور الذي خلف أباه عبد العزيز في الرئاسة سنة 1921، وقد انتخب نائباً عن الموصل سنة 1924، في المجلس التأسيسي الذي قرّر قانون الدولة الأساسي.

ولد الشيخ عجيل سنة 1885 ونشأ في مضارب عشيرته، وحارب مع أبيه في صفوف الجيش التركي حتى احتلال الموصل. كان في بادىء الأمر مناوئاً للحكم البريطاني، لكنه لم يلبث أن خضع لحكم الملك فيصل الأول بعد تأسيس المملكة، وكان من أعضاء الوفد العراقي إلى مؤتمر الكويت المعقود سنة 1923 لتسوية المشاكل المعلّقة بين العراق ونجد. وانتدب في السنة التالية للإسهام في حسم المنازعات بين العشائر على الحدود العراقية السورية.

عمل الشيخ عجيل في إسكان عشيرته وتحضيرها وتعليمها الزراعة، وقد اشترى أراضي واسعة وحفر الآبار وأنشأ المشاريع الزراعية في شماليّ العراق. وأدركه الموت بالسكتة القلبية وهو يسوق سيارته في الطريق قرب الشرقاط في 13 تشرين الثاني 1940.

ومن شيوخ شمّر الذين اشتهروا في تلك الحقبة الحميدي بن فرحان باشا بن صفوق (1885 ـ 1941). درس في مدرسة العشائر التي أنشأها السلطان عبد الحميد في استانبول. وانتخب نائباً عن الموصل سنة 1934 وجدد انتخابه بعد ذلك. ذكره عباس العزاوي وقال إنه اشتهر بالصلاح وكان سلفيّ العقيدة ملازماً لقراءة القرآن وكتب الحديث، يتحاشى ذكر عنعنات القبائل وتقاليدها اعتقاداً منه بمخالفتها للشرع الشريف، ويكره التفاخر بالأجداد.

واشتهر أيضاً الشيخ أحمد العجيل الياور (1922 ـ 1972) الذي تولّى المشيخة على أثر وفاة أخيه صفوف سنة 1962. وانتخب نائباً عن الموصل سنة 1948 وأعيد انتخابه. وقد اشترك في حركة عبد الوهاب الشواف في الموصل في آذار 1959 وفرّ بعد خذلانها إلى دمشق وحكم عليه بالإعدام غياباً. وعاد إلى العراق بعد عدة سنوات وتوفي في بغداد.

اقتصر المؤلف على تأريخ شمّر في العراق ولم يتطرق بطبيعة الحال إلى إمارة شمّر في جزيرة العرب، وهي إمارة آل رشيد التي أسسها عبد اللّه بن علي بن رشيد المتوفى سنة 1847 ودامت إلى آب 1921 حين قضى عليها سلطان نجد عبد العزيز آل سعود مؤسس المملكة العربية السعودية باستيلائه على معقلها الأخير في حائل.

مير بصري

توطئـــة

شرح المشكلة

خلا ل المائة والخمسين سنة الأخيرة شهد الشرق الأوسط عـــهدا من التغيير المحسوس بدا بصورة دقيقة المجتمعـــات التقليديـــة التـــي وجدت في المنطقة. ومع ان بعض أنحاء المنطقة خبرت مبـــادئ هـــذا التحويل قبل سواها فان الحقيقة تبقى ان كل مظاهر الحياة قد مستها فعلا عوامل الأشراف الوثيق من جانب حكومة مركزية، ومواصلات اكـــثر سرعة، وبضائع استهلاكية جديدة، وعلاج طبـــي متحســن، وبــروز الوطنية. ان هذا التغيير اثر في مجتمع الشـــرق الأوســط فـــي كافـــة مستوياته : فقد تأثرت الحكومة المركزية والمدن والقـــرى والعشـــائر الرحالة برمتها.

اخذ المؤرخون وسائر علماء الاجتماع فـــي الســنوات الأخـــيرة بدراسة تحول الإمبراطورية العثمانية خلال القرن التاسع عشر واوائـــل القرن العشرين. ومع ان اكثر الكتاب لا يوافقـــون بـــالضرورة علـــى المصطلحات التي تصف بما فيه الكفاية التغييرات الطارئة فـــي داخـــل الإمبراطورية، كلهم يتفقون بالتأكيد على انه بحلول ســـنة 1841 بـــدا تحول في المجتمع العثماني. ومن الصعب العثور على عبـــارة واحـــدة تصف هذا ألاتجاه بصورة وافية.

فالاصطلاحات مثل الانتقال الى الحضارة الغربية او الأوربية او غير المتطور او المتأخر او المحروم ثقافيا مما يظهر في المؤلفات الثقافية قد خلقت خلافا جسيما بسبب دلائلها المتمركزة حول العرق ظاهرا. في هذا المؤلف يشار الى التغيير السريع الذي حدث في قسم كبير من العالم خلال القرن الاخير بأنه " تمدن ". ويعنى بالتمدن عملية تحول مجتمع تقليدي خاص نحو ثقافة القرن العشرين الأخيرة مع تأكيدها على القومية والمواصلات السريعة والمعالجة الطبية والاقتصاد العالمي المتوحد والنسبة العالية من التعليم.

ان التمدن (أو التحديث) في داخل الإمبراطورية العثمانية خلال القرن التاسع عشر اتخذ سبيلا متقطعا مبدلا بعض جوانب المجتمع بصورة جوهرية ومغفلا جوانب اخرى فعلا. والى هذا التاريخ نجد مؤرخي الشرق الأوسط الذين يدرسون هذه الظاهرة قد ركزوا أنظارهم على تحليل التبدلات التي جرت في عاصمة آل عثمان الآستانة (استنبول). وهذه الدراسات المختلفة تعطي نظرة فاحصة على التغييرات في نواحي الوظائف والمنشات والإدارة والثقافة الجارية في الإمبراطورية، لكنها غضت النظر عموما عن معالجة الأحوال في الولايات[1]. ومؤلفات قليلة نسبيا تصف تأثير الإصلاحات في الحكومة

---

[1] راجع الكتب التالية عن تاريخ الإمبراطورية العثمانية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين : برنا رد لويس (نشوء تركية الحديثة،لندن 1968)، نيازي بركس (تطور العلمانية في تركية الحديثة، مونت ريال 1964)، ستانفورد شو (بين القديم والحديث :

المركزية في الولايات عموما، او في ناحية معينة اكثر، كيف آثرت تلك الإصلاحات على الجماعات الفردية في المناطق المحلية[1] فعلى دراسة واحدة او اثنتين عن الإصلاحات في الولايات، بقي تاريخ التحول في الولايات غير مكتوب.

ان ولاية بغداد، وهي منطقة ذات موارد رخاء كامنة في الإمبراطورية، وهنت في انحطاطها طوال القرن التاسع عشر. ولم تظهر اثار الرقابة المركزية الى منتصف القرن في ولاية بغداد. وحالما قررت الحكومة العثمانية ان تشدد حكمها على الولاية حل التغيير تدريجيا في هذه الناحية البعيدة. والدراسة التحليلية المفصلة لتاريخ العراق في القرن التاسع عشر لاتزال تتطلب الكتابة.* ولسوء الحظ لم يحصل سوى مبادئ بسيطة جدا في دراسة هذه الناحية المحدودة في

الإمبراطورية العثمانية في عهد سليم الثالث، كمبريدج 1971) رودريك هـ. ديفرس (الإصلاح في الإمبراطورية العثمانية 1856– 1876، برنستن 1963)،شريف ماردين (منشأ الفكر العثماني الغني،برنستن 1962)،رو برت ديفرو (العهد العثماني الدستوري الاول، بلتيمور 1963)، ارنست رامور الصغير (الاتراك الشبان، برنستن 1957).

[1] راجع الدراسة الممتازة لموشي معوز : الاصلاح العثماني في سوريا وفلسطين 1840 – 1861 (اكسفورد 1968)، أيضا هربرت بودمان الصغير : الفرق السياسية في حلب 1760 – 1826(شايل هيل 1963) .

الإصلاح داخل الولايات[1].

وبالنظر الى فقدان المؤلفات الأساسية لتفهم مسيرة التحول الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والإنشائي في العراق فان اية دراسة يمكن ان توضح وتشرح تاريخ المنطقة. والمؤلف الحاضر يعالج التاريخ السياسي لعشيرة شمر الجرباء في الجزيرة (شمال غربي العراق) منذ نحو سنة 1800 الى 1958[2]. واتباع سلسلة تاريخ شمر خلال القرن ونصف القرن الأخير يحقق أهدافا رئيسية متعددة. يبدا المؤلف بتحليل اثار هجرة شمر الجرباء على النظام الجغرافي السياسي الثابت نسبيا في الجزيرة. وان توازن القوة الجديدة التي تحققت بين آل شمر والحكومة المركزية والسكان المحليين تهيىء فرصة طيبة لدراسة الأحوال في جزء اوسع من الإمبراطورية العثمانية.

---

[1] منذ ظهور كتاب ستيفن لو نغريغ" اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث " (اكسفورد 1925) لاول مرة قبل نحو 50 سنة بقي يمثل اهم دراسة باللغة الانكليزية لتاريخ العراق الحديث.

[2] خلال السنوات عالجت مؤلفات قليلة فقط بعض نواحي تاريخ شمر الجرباء ومع الاسف لم يعالج أي من هذه المؤلفات بما فيه الكفاية تاريخ شمر الجربا في الجزيرة. وفيما يلي بعض البحوث المهمة ولوانها محدودة لشمر الجرباء : ماكس فريهر فون اوبنهام (البدو : في العراق وسوريا الجزء الاول،ليبزيغ 1939)، عباس العزاوي (عشائر العراق، الجزء الاول، بغداد 1957)، روبرت مونتاني(قصص شعرية بدوية جمعت لدى شمر الجزيرة) في مجلة الدراسات الشرقية (1935) ص 33 – 119.

حين قامت حكومة الأستانة بتوثيق سيطرتها على الجزيرة، قدمت عشيرة شمر الثائرة تحديا قويا ومستمرا للسلطة العثمانية. وقد تطلب الامر صراعا دام مائة سنة تقريبا من جانب الحكومة العثمانية ومن جانب الحكومة البريطانية والعراقية ايضا بعد الحرب العظمى الأولى لإخضاع شمر نهائيا. وهكذا ان هذه الدراسة تصف ايضا الطرق التي استعانت بها الحكومات المركزية المختلفة في النهاية للسيطرة على العشائر الرحالة مثل شمر.

ان طريق التحول المجتمعي في الشرق الأوسط يظهر على اشده في التغيرات التي لامست الحياة العشائرية خلال القرن الاخير. وانه لواضح حقا حين يتفحص المرء دور العشائر البدوية في عراق وسوريا اليوم ان تغيرات جسيمة حدثت منذ سنة 1800. وهذه الدراسة لاتحدد المراحل الواسعة للتغيير العشائري فحسب، بل تحلل ايضا اثر هذا التحول على شمر الجرباء بوجه خاص. وقد درست بتفصيل شامل الطبيعة المتغيرة للزعامة البدوية والنشاط الاقتصادي والثقافة.

لما كان هذا المؤلف يعالج العلاقات بين عشيرة شمر والعشائر المجاورة لها ومع الحكومة المركزية والمجتمع المتطور بسرعة، فمن المهم جدا ان يفهم المرء نقطتين اساسيتين :1) جغرافية الجزيرة الطبيعية والاقتصادية والسكانية (الديموغرافية) وهي موطن شمر،2) طبيعة الحياة البدوية التقليدية.

جغرافية الجزيرة
ملاحظات تاريخية

في نهاية القرن الثامن عشر هاجرت عشيرة شمر الجربـــاء مـــن منطقة نجد في جزيرة العرب الشمالية واقامت فـــي منطقـــة بـــالعراق تعرف بـــ (الجزيرة). وكلمة الجزيرة في اللغة العربية تعنـــي الارض التـــي يحيط بها الماء من كل جوانبها، وهي وصف ملائـــم للمنطقـــة. فمنذ القرن السابع الميلادي دلت هذه التسمية على هـــذه المنطقـــة مـــن العراق وسوريا الحديثة الواقعة بين نهري دجلة والفرات[1].

والجزيرة كمنطقة جغرافية كان لها أهمية ستراتيجية عظيمة لانها كانت طريق المرور الجغرافي حيث تلتقي عدة انهر وطـــرق تجاريـــة وإمبراطوريات[2].وقد تركزت الحضارة الآشورية القديمة فـــي نينـــوى وازدهـــرت فيها. وفي عهد الدول العربية في القرون الوسطى نـــالت هذه المنطقة رخاء عظيما بسبب إنتاجها الزراعي وصناعاتها اليدويـــة المشهورة وتجارة القوافل النامية. وجهزت المنطقـــة خـــلال الحـــروب الصليبية مؤنا وجنودا للأيوبيين الذين استعادوا فتح البلاد المقدسة.

---

[1] غاي لسترانج : اراضي الخلافة الشرقية (نيويورك 1905) ص 86- 114.

[2] م كنارد : الجزيرة (المعلمة الاسلامية، الجزء الثاني، الطبعة الثانية) (ليدن 1957) ص 523 – 524.

ومع الآسف ان الغزو المغولي في منتصف القرن الثالث عشر قد دمر معظم إنتاجها الزراعي. ومثل ذلك أعاشت المنطقة قبل الغزو المغولي عددا كبيرا من السكان.

ولكن بين القرنين الثالث عشر والثامن عشر هبط عدد السكان وأصبحت أنحاء كثيرة من الجزيرة صحراء حقيقية[1] وان هجرة العشائر الرحالة لعبت دورا كبيرا في هذه العملية.

---

[1] البرت حوراني : نظرة الى التاريخ : مقالات عن الشرق الادنى وغيرعا (بيروت 1961) ص 40 – 42.

الجغرافية الطبيعية

تؤلف المنطقة برمتها جزء من سلسلة الارض العاليـــة العربيـــة الواسعة التي تمتد على مسافة الف ميل الى الجنوب وهي هضبة واسعة منحدرة قليلا تغطي اساسا من صخور بلورية قديمة.

وتعلو هذا الاساس البلوري طبقة من حجر الكلس الطباشيري من العـــصر الحجري مرصع في عصور مختلفة بطبقات ملـــح وجبـــس : تبـــدا المنطقة من ارتفاع نحو 1500 قدم تحت الجرف الكردي شمـــالا ثـــم تنحدر تدريجيا الى الجنوب الى ارتفاع نحـــو 250 قدمـــا فـــوق مستوى البحر في العراق الجنوبي[1].

ان الحدود الجغرافية المتفق عليها عموما للجزيرة تحيط بمنطقـــة اوســـع كثيرا من ديرة شمر الجرباء (وهي المنطقة الجغرافيـــة التـــي تعيش فيها العشيرة)[2] لذلك منعا للالتباس، يذكر اسم " الجزيرة " فـــي هذه الدراسة ويحدد بديرة شمر الجرباء الضيقة. ويقع خـــط الحـــدود الملائم شمالا بجبل سنجار وجبل عبد العزيز، ويتمثل الحـــد الجنوبـــي برأس الدلتا نهري دجلة والفرات الواقع على بعد اميـــال قليلـــة تحـــت

[1] وليم برايس : اسيا الجنوبية الغربية : جغرافية نظامية (لندن 1966) ص 229 –230.

[2] كالسابق.

بغداد. اما الحد الغربي فهو نهر الفرات وفرعه الخابور، والشرقي هـو دجلة مثل خربة في الغرب[1].

حين ننظر الى مظهر الجزيرة الطبيعي لابد ان نلاحـظ السـهل الواسع الممتد عدة اميال بدون تغيير واضح. وهذه المنطقة شكلها يشبه المثلث وسعتها كما يلي : 300 ميل في الشمال، 400 ميل في الشرق، و500 ميل تقريبا على طول الساق الشمالية الغربية –الجنوبية الغربية. ويتميز القسم الشمالي من السهل بتلين عاليين على المحور الشرقـي – والغربي[2].

تغطي هذه المنطقة المنبسطة نسبيا تربة بنية مائلة الـى الحمـرة والصفرة. والى شمال هذين التلين والى جنوبهما رأسا تصـل التربـة البنية المائلة الى الحمرة الى عمق يتراوح بيـن 24 الـى 100 انـش (بوصـة). ويظهر الى ابعد من ذلك جنوبا شريط اوطأ من التربة البنية المائلـة الى الحمرة. وتغطي سائر السهل تربة رماديـة تميـل الـى الصفـرة مؤلفة من مواد جبسية مختلفة. ولما كانت هذه التربة تصـل الى عمق نحو 10 انشات فقط ولاتتضمن سـوى القليـل مـن المـادة العضـوية فان هذه المنطقة قاحلة نسبيا. يضاف الى ذلك ان نحوا من

---

[1] كالسابق.

[2] وليم ب. فيشر : الشرق الاوسط : الجغرافية الطبيعية ومنطقية (الطبعة السادسة ن لندن 1971) ص 352 – 353.

8 الى10 انشات من الارض الرملية تظهر فوق الاساس الجبسي في هذه الناحية الجنوبية، خصوصا قرب وادي الثرثار[1].

كما ذكر انفا ان التلين العاليين يتفرعان من السهل غربي الموصل. وسلسلة التل الغربي المعروفة بأسم جبل عبد العزيز تصل الى ارتفاع 2625 قدما. وهذه السلسلة تقع بين نهري البليخ والخابور. وسلسلة جبل سنجار التي تقع الى بعد 70 ميلا غربي الموصل تتضمن اعلى الجبال في الجزيرة. وقد كانت هذه الجبال لامد طويل شبه القلاع ضد الغزاة الخارجيين، وهي تصل الى ارتفاع 4781 قدما وتكون موطن عشائر اليزيدية[2].

يعتمد مستوى الانتاج الزراعي والسكنى البشرية في الجزيرة على تيسر الماء. وتعاني هذه المنطقة عموما من سقوط امطار سنوية دون الكفاية. ونماذج تساقط الامطار الدورية التي تتناوب بين المواسم الطرية والجافة تسبب صعوبات جمة للزرع واصحاب المراعي. يقع الموسم الطري بين تشرين الثاني وايار، اما موسم الجفاف فيبدأ من اوائل حزيران ويمتد الى نهاية تشرين الاول. ومتوسط سقوط الامطار سنويا بين 3 و10 أنشات لمعظم المنطقة ويصل الى 20 انشا تقريبا في الشمال. والمتوسط حوالي الموصل وحوضي نهري الزاب

---

[1] ب بورنغ : التربة واحوال التربة في العراق (بغداد 1960) ص 78 و 211.

[2] برايس : اسيا الجنوبية الغربية (ص 229).

يبلغ من 15 الى 30 انشا سنويا. ويتبدل المناخ سنويا حسب تبدل تساقط الامطــار خلال المنطقة. ففي اشهر الصيف تكون درجة الحرارة احيانا اكثر من 100 فهرنايت في الصحراء وتصل الى مســتوى 90 درجــة فهرنايت في الموصل[1]علاوة على الامطار الضعيفة يحجز نهرا دجلــة والفرات ماءا اضافيا لري الزراعة الذي لولاه لم يكــن فــي الامكــان ممارسة الزراعة الا في المناطق القليلة التي تروى بــالمطر الســنوي الكافي.تبدا منابع مياه دجلة في جبل طوروس في الاناضول الجنوبيــة الشرقية بجوار ديار بكر، وتجري من بحيرة غولجك، فتتجه دجلة الـــى الجنــوب عبر الموصل الى تكريت وبغداد. ويمر النهر الى الجنـــوب ابعد من ذلك من خلال عدد من المستنقعات قبل ان ينقسم الى الفـــرات فيؤلفــا شط العرب الذي يصب في الخليــج العربــي. وفــي جنــوب الموصـــل ينضم فرعان رئيسيان هما الزاب الاكبر والزاب الاصغـــر الى دجلة[2].

ان الفرات ايضا يخرج منبعه من جبال طوروس شمـــال شرقـــي مصادر مياه دجلة. وهو يتألف من اتصال نهري : قره صـــو ومـــراد صو، ويجري خلال بادية الشام حتى يصل الى الخليج العربي.ونـــهرا

---

[1] كالسابق ص 229 – 230.

[2] جورج بزكريسي : ملتقى الطرق: الارض والحياة في اسيا الجنوبية الغربية (شيكـــاغو 1960) ص 141–148.

بليخ والخابور يصبان في الفرات، ووديان النهرين شهدت خلال التاريخ زراعة مزدهرة[1].تجهز المياه الوافرة لهذين النهرين الماء للزراع على شواطئهما لكنهما لا يستطيعان الوصول الى داخل الجزيرة وبديلا عن ذلك ارغم ابناء عشائر البادية على الاعتماد على عدة وديان واسعة للحصول على الماء. والوادي هو نهر جاف. وخلال موسم المطر قد يفيض الوادي بسيل زاخر عمقه عدة اقدام. وخلاف ذلك في الصيف يجف الوادي فيصبح مجرد ارض ندية. يوجد في الجزيرة واديان رئيسيان : وادي اجيج ووادي الثرثار. وهذا الاخير، وهواوسع الاثنين، يبدأ جنوبي جبل سنجار ويسير بمحاذاة نهر دجلة عند جريانه الى الجنوب قبل ان ينتهي في مستنقع يسمى ام رحل شمالي الرمادي. وابعد من ذلك الى الغرب وقليلا الى الشمال البو كمال يبدأ وادي اجيج ايضا عند اقدام جبل سنجار، ومثل وادي الثرثار ينتهي في بحيرة مالحة تسمى الرودة. وهذان الوديان يكونان مصادر الماء لشمر خلال موسم الجفاف[2].

توجد في ديرة شمر منطقتان للنبات. في جنوب جبل سنجار توجد منطقة سهل جاف يفصل السهل الشمالي الرطب عن البادية. وفي هذه المنطقة تشجيرات شوكية وحشائش تهيئ مراعي طيبة نوعا ما. اما

---

[1] كالسابق.

[2] سلسلة النشرات الجغرافية:العراق والخليج الفارسي(اكسفورد 1944)ص 77-79-81.

الاقسام الباقية من الجزيرة فأكثرها ارض صحراوية. وتزهـــر خـــلال الربيع ورود البادية البرية مثل الخشخاش والخنشار والشعـــير الـــبري فتهيئ بساطا غضا من النباتات الملونة. ولكن عندما يتقدم موسم الجفاف تذبل هذه الورود وتترك وراءها مجموعة اعتيادية من ادغـــال الباديـــة والقصعين والشجيرات الصغيرة. وهذه الانـــواع مـــن النبـــات تدعـــم المراعي، لكن نباتات السهل الجافة تهيئ انحاء مفضلة لرعي الاغنام[1].

[1] كالسابق ص 75-81.

السكان

ان الماء هو العامل المهم الذي يسيطر على نمو سكان الجزيرة وتجمعاتهم. وعند الكلام على الديموغرافية من المهم تصور المنطقة كمثلث، كل بجانب منه يتضمن الماء الكافي لدعم سكان ثابتين. يضاف الى ذلك ان داخل المثلث يمثل منطقة جافة لا تتحمل سوى سكان محدودي العدد.وعند النظر في هذه الصورة يستطيع الانسان بسهولة ان يتخذ فكرة عن نماذج الجزيرة السكانية. سكنت العشائر البدوية في ناحية كبيرة من هذه المنطقة خلال القرن التاسع عشر. وكانت طريقة حياتهم الرعائية تستغل بصورة مرضية موارد البادية المحدودة. وقد اقام في الجزيرة نوعان مختلفان من الرحل : عرب رحالة شغلوا امتدادات واسعة من البادية السورية وسائر السهوب الجافة وكونوا مجموعة واحدة[1] واكراد رحل يسكنون عند اقدام تلال الجزيرة الشمالية ألفوا المجموعة الاخرى[2]

اقامت عشائر زراعية ثابتة على سواحل انهر دجلة والفرات

---

[1] فون اوبنهايم : البدو (الجزء الاول)ص 22-36.

[2] م.روبرت مونتاني: بعض مظاهر سكان الجزيرة العليا (في مجلة الدراسات الشرقية 2) 1932 ص 55-56.

والخابور وبليخ. ولم يكن لهذه العشائر عموما قـــوة عســكرية كافيـــة لمقاومـــة غارات السلب والنهب من جيرانها البدو. ولان رجال العشائر هؤلاء المقيمين على شواطئ النهر يسلبون ويشتغلون بأشغال يدوية فأن العرب البدو يعاملونهم بكل احتقار. ويظهر من اســـتقراء التـــأريخ ان بعــض العشائر الزراعية الساكنة كانت في الاصــــل بدويـــة، لكنـــها لاسباب مختلفة اتخذت بعد ذلك حياة الزراعة الثابتة.

بعض العشائر ربت قطعان اغنام لزيادة وارداتها الزراعية. وكما ذكرنـــا آنفا ان هذه العشائر سكنت قرب انهر الجزيرة. ومن الشمــــال الى الجنـــوب على شواطئ دجلة كانت اهم العشائر الزراعية المقيمـــة الجبور والبوحمد والبو ددران قرب الموصل. ومثلها البو عباس والبـــو تميم وعشائر الجحيش اقامت على الشواطئ بين سامراء او بغداد. والى الغرب في وادي الفرات كانت اهم العشائر الزراعية الفراعة والجبـــور والجنابيون[1].

بالإضافة الى هذين النهرين الرئيسين هما نهرا البليخ والخـــــابور مواطن لعشائر متعددة مستوطنة تمارس الزراعة ومنطقة جبل ســـنجار التي تتمتع بامطار سنوية كافية شيئا ما فهيأت ناحية اخــــرى للسـكان المستوطنين وقد تحمل ابناء العشائر اليزيدية في الزراعة في وديان هذه

---

[1] العراق والخليج العربي ص 364، 366،369،373.

المنطقة الجبلية[1] واليزيديون مثل العشائر النهرية المستوطنة عاشوا في تأريخهم وهم يخشون غارات السلب والنهب من جانب العشائر البدوية المجاورة.

ولكن قربهم من المنافذ الجبلية الخفية حماهم من القوة التامة للتخريب البدوي.

كانت حلب وبغداد والموصل اعظم مدن الجزيرة. وخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر قامت الحكومة العثمانية بأول محاولاتها للسيطرة التركيزية والادارية من هذه المدن التجارية. كانت طرق القوافل توصل هذه المراكز التجارية خلال قرون طويلة[2]. ومدن اخرى اصغر في الجزيرة قامت بنفس الادوار ولكن على نطاق اضيق. وعلى شواطئ الفرات استخدمت بلدان صغيرة مثل هيت ودير الزور والرقة كمحلات مرور في طريق قوافل بغداد – حلب. وكانت اكثرية سكان المدن في الجزيرة من العرب.

---

[1] د. س مارغليوث: اليزيدية (المعلمة الاسلامية،الجزء الرابع)ص 1163–1170.

[2] س.ب.غرانت :البادية السورية: القوافل، السفر،التحديات انيويورك 1938،ص 153.

العشيرة البدوية

لما كان هذا المؤلف يدرس قبيلة شمر الجرباء فان التحليل العـــام للحياة البدوية والتنظيم العشائري يعطي معلومات اولية عامة ضرورية لفهم تأريخ القبيلة. والمناقشة التالية تعالج العشـــائر البدويـــة عمومـــا. وسوف تدخل خلال الدراسة معلومات خاصة تشرح النواحي المختلفـــة لحياة شمر العشائرية.

قبل كل شيء، ماذا كانت العشيرة البدوية ؟ ثم لماذا اتبعت شكلها الخـــاص من التنظيم الاجتماعي ؟ ان الاعتبار الرئيسي فـــي الجـــواب علـــى هـــذه الاسئلة المهمة يتركز حول حقيقة ان البدو كـــانوا رعـــاة غنم. ولاجل ان يتمكنوا من العيش في بيئة قاسية وحرها الشديد، وفقدان الماء كليا تقريبـــا، وطبيعة الارض الصعبة، طور البدو نظامـــا كفـــؤا لتحويل موارد البادية الضئيلة الى منتوجات حافظة للحياة وقد اســـتطاع البدو بتطوير شكل حياتهم ان يحلوا مشكلة العثور على المـــاء حيثمـــا يكون في الوديان او الابار او الاحواض الدائمة من خلال علـــم ذكـــي بأرض الصحراء[1].

---

[1] جون غلوب: بدو العراق الشمالي في صحيفة الجمعية الملكية لاسيا الوسطى الجزء 22 ص 1،(1935)،15.

وكان الطعام العنصر الحيوي الثاني في وجودهـــم. فـــان البـــدو الخلص في البوادي العربية والسورية حلوا مشكلة الطعـــام بالاحتفـــاظ بقطعـــان الابل المدجنة.وقيمة البعير واهميته للبدو مشروحـــة شرحـــا جيـــدا في النبذة التاريخية : وان البعير كمصـــدر الطعـــام والصـــوف والجلد وسائر المنتوجات وكوسيلة للحمل والنقل الشخصي يجمـــع فـــي جنس واحد كل هذه الامور للبدوي على مقياس لا يزاحمه أي حيـــوان اهلي اخر او مجموعة حيوانات في المنطقة[1] ،وبالنظر الى حاجة البعير المستمرة الى مراع جديدة يتبع البدو حياة رحالة. وفـــي باديـــة الشـــام والجـــزيرة اتبعت شمر الجرباء كغيرها من معظم العشـــائر البدويـــة، شكلا مقررا (ديرة) في تنقلاتها السنوية. ففي مبدأ الربيع يقيم البدو عادة في مناطق السهوب التي تجاور البادية. وحين يصبح جو الصيف اشـــد حرارة خافضا للنبات الضروري. تتحرك العشائر شمالا قاصدة التـــلال والوديان المختلفة حيث تكون عادة المراعي الملائمة. وخـــلال اشـــهر الصيـــف الحارة يضرب البدو خيامهم قرب منابع المـــاء او الابـــار. وعنما تبدأ امطار الخريف تزور العشائر مراكز مدنية مختلفـــة حيـــث تقايض المنتوجات الحيوانية بالحبوب والتمور والمنســـوجات القطنيـــة والادوات المعدنية. واخيرا في اخر مراحل هجرتـــها الدوريـــة تعـــود العشائر الى البوادي الجنوبية حين يخيم برد الشتاء على شمال الجزيرة.

---

[1] لويز سيويت:الغارات على الأباعر لبدو عرب الشمال :آلية التكيف البيئي (مجلة عـــالم الاحياء الاميركي)67 (1965).

ويجد البدو عادة، وقد عادوا مرة اخرى الـــى الجنــوب، علفــا كافيــا لمواشيهم[1].

[1] هنري فيليه:علم الانسان(انثربولوجية)في العراق(الجزء الاول)شيكاغو 1940 ص 14.

نظام العشائر

ان صلة الدم (القرابة) تؤلف الاساس لكـــل الموحـــدات القبليـــة الاجتماعية فالاسرة الابوية الواسعة، او العائلة، الفت الاساس لمجتمـــع شمر الابوي. والعائلة المؤلفة على شكل السلالة الابوية تتضمـــن الاب واولاده، وكلهم يسكنون في الجوار القريب ويشاركون في تملك قطيـــع العائلة. ثم تأتي بعد ذلك في مراتب النظام الاجتماعي " الفرقة " وهـــذه الوحدة تتألف من 100 الى 300 عائلة تشارك في جد مشترك يعود الى 5 الى 7 اجيال. وتكون ملكية الابار والمراعي بيد الفرقة. وهذه الوحدة تنتقل وتخيم معا. والدية ايضا تحسم لدى هذه المجموعة[1].

ويؤلف " الفخذ " المستوى الاعلى التالي في التنظيم الاجتمـــاعي لعشيرة شمر. ويتحد عدد من الافخاذ لتأليف " العشيرة "، وهي اعظـــم تجمـــع للبدو. وتوحد صلة الدم (القرابـــة) الواحـــدة هـــذه المجموعـــة الكبيرة. لكن وظيفة العشيرة كقوة سياسية هيأت ايضا طبيعة الوحـــدة. والعشيرة وحدها فقط تستطيع معالجـــة الشـــؤون كحمايـــة اللاجئيـــن والسياسة بين العشائر. وهذه المجموعة تهيئ ايضا القـــوة العســكرية

---

[1] لوثر ستين : شمر جربا(باللغة الالمانية) برلين 1967 ص 142-145.وعن امثلة اخـــرى للتنظيم العشائري راجع جبرائيل باير : السكان والمجتمع في الشرق العربي (مترجم عن العبرية بقلم حنة سزوكي) لندن 1960،ص 122-127.

لحماية الوحدات الصغيرة عند اعدائها[1].

كانت كل عشيرة تختار احد اعضائها شيخا. وفي أوقات الأزمات الشديدة تتحد عدة عشائر لتؤلف اتحادا اكبر يعرف باسم " قبيلة ". ويختار الشيوخ المختلفون زعيما من بينهم يسمى " شيخ المشايخ " ليراس الاتحاد في الحرب. وبالرغم من كبر حجمها فان اكثر القبائل تضع اتحادها على اساس جد اعلى عام[2].

كانت المنافسة بين العشائر تمثل عنصرا اخر في تفهم المجتمع البدوي. وكل عشيرة بدوية كان لها علاقات عدائية تقليدية مع عشائر اخرى. ومنذ نهوض الاسلام في القرن السابع الميلادي لعب التنافس بين العشائر دورا شديد السوء في التاريخ العربي. مثال ذلك التنافس العشائري بين العشائر الشمالية العربية والجنوبية اثر تأثيرا شديدا في سقوط الدولة الاموية في القرن الثامن. ومع ان معنى هذا التنافس الاولي قد اضمحل خلال السنوات الالف الاخيرة فان ظاهرة التنافس العشائري استمرت تؤثر على عشائر الجزيرة. خصوصا ان شمر حاربت اعدائها التقليدين عنزة طوال القرن التاسع عشر وخلال النصف الاول من القرن العشرين[3].

---

[1] ستين : شمر جربا،ص 142-145.

[2] كالسابق، فون اوبنهايم :البدو، الجزء الاول ص 30.

[3] رفائيل يتاي:النهر الذهبي الى الطريق الذهبي:المجتمع، الثقافة والتحول في الشرق الاوسط (فيلادلفية 1962 ص 207-208).

الانقسامات الاجتماعية

ظاهرة مهمة اخرى في المجتمع البدوي هي المراتب الطبقية بين العشائر المختلفة. فبعض البدو وضعوا في طبقة العشائر النبيلة، بينما اعتبر اخرون من العشائر التابعة. وقد انتجت هذا التمييز في احيان كثيرة القوة العسكرية والطاقة السياسية. وحدث هذا التمييز الخاص بسبب ان المجتمع البدوي رفع قيمة الشجاعة والجسارة. والاهمية الكبرى لهاتين الميزتين في تعيين مواقع الزعامة والاحترام سوف تمثل بأمثلة من تاريخ شمر [1] .

علاوة على ذلك كان البدو ينظرون الى حياتهم المتنقلة كأنها طريقة الحياة الصالحة وحدها. وكانوا عموما يحتقرون سكان المدن ويعاملونهم بازدراء. لكن البدو كانوا يحتقرون ايضا العشائر العربية الاخرى التي تعمل في الزراعة مستوطنة او نصف مستوطنة. وشمر بصفتها عشيرة نبيلة كانت تمثل القيم والمزايا الانف ذكرها.

[1] روبرت مونتاني:حضارة البادية: رحالة الشرق وافريقيا (باريس 1947 ص 50 –55).

ان المراتب الاجتماعية في داخل العشيرة الرحالة الصرفة مثل شمر الجرباء تقع على عدة مستويات مختلفة. فالرجال الذين يتمتعون بشهرة كمحاربين شجعان يشغلون موقعاً سامياً. والرعاة الذين يخدمون الثروة الحيوانية للعشيرة يشغلون المرتبة الثانية في سلم العشيرة الاجتماعي. والمهاجرون اللاجئون من العشائر المجاورة يمثلون ايضاً مجموعة خاصة ضمن العشيرة. ثم هناك العبيد السود الذين يخدمون الشيوخ بصيغة حرس وخدم يشكلون مجموعة اجتماعية اخرى. ويحتمل ان أدنى مجموعة في العشيرة تشمل الحدادين وسائر العمال[1].

[1] آن بانت: عشائر الفرات البدوية (نيويورك 1879) ص 411-413. فون اوبنهايم:البدو (الجزء الاول) ص 32-33.

شيخ العشيرة

كانت مشيخة العشيرة في اكثر الأحيان تقع فـي عائلـة خاصـة امتازت بصفات الشجاعة والزعامة والبطولة والحكمة خلال السنين. ولم يكن هناك مثالا مقررا للارث العشائري كالانتقال من الأب إلى الابن، وكانت تنتقل الرئاسة أحيانا الى ابن عم او عم او اخ للشيخ المتوفى أبلى بلاء حسنا ضمن العشيرة. وينتخب الشيخ الجديد الرجال المسنون في العشيرة. ونتيجة لذلك كان الشيخ لا يحمل سوى القليل من القوة القاهرة على ابناء عشيرته، وكل الولاء والسلطة التي لديه تأتي من المزية الأدبية. والشيخ ينال الاحترام عن طريق شجاعته وفطنته السياسية وكرمه وحكمته وفصاحة لغته العربية.

وهذه المزايا لم تكد تتبدل منذ عهد السادة المشهورين في الجاهلية مثل الأحنف بن قيس وعامر بن الطفيل[1].

ان وظيفة شيخ العشيرة تحمل واجبات عديدة بخصوص الشؤون

---

[1] عن سيرة السيدين في الجاهلية راجع :شارل بيلا: الاحنف بن قيس (المعلمة الاسلامية (2) الجزء الاول ص 303-304 وكاسكيل: عامر بن الطفيل (المعلمة الاسلامية (2)) الجزء الاول ص 442. ايضا عن خصائص السادة في الجاهلية راجع عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبين الجزء الاول (القاهرة 1968)ص 94، الجزء الثاني ص 89،160،الجزء الثالث ص210،335-336،كتاب الحيوان الجزء الثاني (مصر 1965)ص94-96،ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي،كتاب الامالي الجزء الثالث(بيروت 1965) ص118،ابن قتيبة:كتاب عيون الاخبار(الجزء الاول،القاهرة 1925 ص227 .

العشائرية. فالشيخ، بحكم منصبه يحكم في الامور التي تتناول إعلان الحرب على عشائر اخرى وتنظيم فرق الغزو واستيفاء " الخاوه " (الإتاوة) من العشائر الضعيفة. والشيخ يتولى ايضا ضيافة الضيوف الزائرين ويزاول شؤون العشيرة[1].

يضاف الى ذلك ان الشيخ يتولى آيضا الامور المتعلقة باعلان الهدنة مع جار مقاتل او عقد احلاف جديدة[2]،في داخل عشيرته نفسها كان الشيخ يقرر شؤون الهجرة متى والى اين. وكان يختار الأرض المناسبة للتخييم في الصيف. والقرار الخاطئ يؤدي الى موت التابعين له من العطش او فقدان حيواناتهم. وكان الشيخ يعمل في احيان كثيرة قاضيا في المنازعات بين رجال عشيرته. والعلاقات بين الحكومة المركزية، خصوصا تحصيل الضرائب وتأمين الامن في ديرة العشيرة، ينفذها الرئيس[3]. كما ان رفاهية العشيرة تقوم مباشرة على مقدرة الشيخ.

وسوف يرى من هذه الدراسة ان مقدرات شمر كانت تتمايل صعودا وهبوطا حسب نوعية شيوخها المختلفين.

وكان الشيخ، وهو يحمل اعباء مسؤوليات متعددة يحصل نسبيا على مكافأة قليلة لمساعيه. ويحتمل ان اهم مكافأة ينالها هي الاحترام

---

[1] فيليب ك. حتي : تأريخ العرب من اقدم العصور الى الوقت الحاضر (الطبعة التاسعة،نيويورك 1967)ص 28.بلنت: البدو

[2] بلنت:البدو ص 411.

[3] كالسابق.

والشرف الذي تمنحه له عشيرته. وفي المجتمع البدوي لا يوجد شرف اعظم للرجل من اعتباره احكم واشجع واقدر عضو في عشيرته. وعدا احتمال تمتعه بزوجات اكثر او محظية وامتلاكه عبيدا قلائل لخدمته فان حياة الشيوخ لم تختلف الا القليل عن حياة ابناء عشيرته. وكانت ملابسه عادة من نوع افضل وقد يملك احيانا احسن الخيول. لكن فيما يتعلق بالثروة الشخصية او الغنى النقدي، كان معظم الشيوخ فقراء نسبيا،الشيخ يعيش في اكبر خيمة لكن ذلك يعود خصوصا لان عليه استقبال الضيوف[1] .

عدا منصب الشيخ لم يكن نسبيا سوى منشآت قليلة في العشيرة البدوية. كان ثمة مجلس لكبار السن يجتمع مع الشيخ ويقدم المشورة في الشؤون العشائرية، وهذا المجلس يقوم بوظيفة المداولة اكثر من كونه يتخذ القرارات والقاضي العشائري يعالج الشؤون القانونية بتفسير نظام معين من العرف العشائري الذي يتاول فعلا كل امور الحياة البدوية. وهناك موظف عشائري اخر هو الكاتب (السكرتير).

ولما كان اكثر الشيوخ اميين فهذا الكاتب كان يشغل منصبا قويا لانه يتولى كل شؤون العشيرة علاوة على مسك الحسابات وتحرير المكاتيب[2].

---

[1] فون أوبنهايم : البدو، الجزء الاول ص 29-30.

[2] كالسابق ص 30-31. بيلايف: العرب والاسلام والخلافة العربية (مترجم عن الروسية بقلم ادولف غورفتش (نيويورك 1969)ص 61-62.

العادات والقيم البدوية

بالنظر الى طبيعة المجتمع البدوي يعتمد الفرد على جماعته في الحماية والدعم والرفقة، فلا تسمح الحقائق الشديدة لحياة البادية ببديل عن تضامن الجماعة. ان الفرد بنفسه لا يستطيع ان يحارب المناخ او الحكومة او عشيرة معادية. وقد تطور القانون العشائري (العرف) الى نظام مسؤولية الجماعة لحسم الجرائم المعروفة بالثأر للدم (دية). فاذا اساء احد اعضاء الجماعة الى عضو من جماعة اخرى فقد كان واجبا على الجماعة التي تحملت الاذى ان تنال تعويضا. وكانت حماية شرف العائلة نقطة اساسية في الحياة البدوية[1].

كما ذكر سابقا اعتبر المجتمع البدوي اعظم قيمه الاجتماعية الشجاعة والبسالة في القتال والذكاء الشخصي. وبسبب الاهمية الموضوعة على هذه الصفات، صنع المجتمع البدوي نظام "الغزو" فيما بين العشائر حيث يستطيع المرء ان يبرز مقدرته. وكانت العشائر تهيىء بعناية للغزو على اعدائها وتحاول ان تستولي على مواشيها وخيامها. ومع ان هذه الغارات تجري حسب شروط مشددة

---

[1] ماكس فريهر فون اوبنهايم :من الخليج الفارسي الى الحوران البادية السورية والعراق؟ (بالالمانية)الجزء الاول برلين 1899-1900 ص 90.

فانها كانت تتم احيانا في جو رياضي. وقد نشرت قصص مثيرة تصف ذكاء وبسالة عشيرة معينة او شخص معين، لكن قليلا من الناس يقتلون او يجرحون. وفي المدى الطويل كانت العشيرة فـــي معظـــم الاحيـــان تخسر بقدر ما تربحه بسبب الغارات (الغزوات) المتقابلة[1].

وكانت العشائر البدوية القوية ايضا تزيد من هيبتها فضـــلا عـــن ايرادها باستيفاء " الخاوة " (الخوة، الاتاوة) مـــن العشـــائر الضعيفـــة. وكانت العشيرة القوية تعد بالامتناع عن الهجوم على احدى القـــرى او العشيرة الضعيفة وكذلك حمايتها، من غزوات العشائر الاخرى مقـــابل مدفوعات سنوية معينة. والعشائر فرضت الخاوة ايضا علـــى القوافـــل التجارية التي تمر بديرتها. ومن الواضح ان الخاوة لم تكن اكـــثر مـــن ابتزاز لان العشيرة قلما تقدم حماية فعالة[2].

---

[1] سويـــت :غزوات الجمـــال (مجلـــة عالــــم الانتروبولوجية الأمـــيركي،67) 1965 ص 1132 –1150.

[2] جون بركهاردت : ملاحظات عن البدو والوهابيين (لندن 1837) ص227.

السياسة الجغرافية في الجزيرة

بعد استعراض نواحي الحياة المختلفة في الجزيرة يعطي تحليل القوى وتفاعلها بعضها ببعض تفهما افضل للتوازن الاجتماعي في المنطقة. في نهاية القرن الثامن عشر شمل المجتمع في الجزيرة ثلاثة اصناف من السكان : مراكز مدنية كالموصل وحلب وبغداد فضلا عن بلدان ريفية صغرى مثلت قطاعا واحدا، وهذه المدن وجدت شبه جزر معزولة نسبيا فيما يمكن اعتبارها بادية واسعة وبحر سهوب وكانت العشائر البدوية تسيطر في معظم الاحيان على هذا البحر.وهذه المدن (او الجزر) تمثل مواقع الحكومة الادارية، وتحوي كل منها على قواتها العسكرية الخاصة وتحاول ان تؤمن الامن الدائم لمنطقتها الادارية.

والمناطق التي تقوم حول الجزر الادارية المدنية كانت منقسمة بين العشائر الرحالة الزراع. وبسبب احوال مختلفة كالحدود التي يفرضها الري وفقدان الامن عموما من غزو البدو، كان الزراع يشغلون مواضع عسيرة على طول الانهر والقنوات. وبالنظر الى مقدرة البدو العسكرية العالية فانهم كانوا يسيطرون على مناطق واسعة من البادية والسهوب. وفي سنة 1800 قام توازن منظم بين قطاعات المجتمع المختلفة بشرط ان أحدها لم يخل كثيرا بمزايا الاخرين.

ولاية (باشوية) بغداد سنة 1800

بالنظر الى بعدها الجسيم عن الأستانة كانت ولاية بغـــداد، مثـــل الكثير من الولايات في الإمبراطورية، تتمتع باستقلال نسبي في بدايـــة القرن التاسع عشر. لقد انقطعت السيطرة الإدارية العثمانيـــة المبـــاشرة سنة 1749 حين شغل منصب الولاية اول مملوك جركســـــي ســـليمان باشا. وحكم بغداد عدة ولاة من المماليك من ثمانين سنة بـــدون تدخـــل غير معهود من الأستانة. وانشأ باشوات المماليك بلاطا ونظاما حكوميا يشبه كثيرا بلاط السلطان العثماني ونظامه[1].

كان يحيط عادة بالباشا الحاكم بلاط باذخ يملأه موظفون متعددون. وكان الحكام في المناطق الادارية في البصرة وكركوك وماردين تعينهم بغداد. ويخدم الباشا موظف مماثل لرئيس وزراء السلطان، يعرف بأسم "الكهية" ، مساعدا رئيسيا له. وهنـــــاك موظفـــون اداريـــون اخـــرون كالدفتردار (جامع الضرائب) ورئيس التشريفات والكاتب باب العـــرب (الموظف المسؤول عن شؤون العشائر) يؤلفون " الديوان " (المجلـــس) الذي يستشيره الباشا[2].

---

[1] لونغريغ : اربعة قرون ص 163 –248.

[2] كالسابق ص 250–251.

يتولى عدد من الوحدات المختلفة الشؤون العسكرية في الولايــة. ويقوم مماليك من الكرج بخدمة الباشـا كحـرس شخصـي. وكتـائب المماليك كانت تقدم جيشا دائما يستخدم في الحمـلات المحليـة ضـد الامراء الصغار الثائرين والعشائر العربيـة. ويضـاف الـى كتـائب المماليك جنودا مرتزقة من قبيلة عقيل فكانوا يحـاربون فـي حمـلات عديدة ضد العشائر المتمردة[1]. وعلاوة على عقيل كانت تجنـد قـوات مساعدة من العشائر الصديقة الرحالة ونصف المستوطنة[2].

حتى داخل حدود ولاية بغداد شبه المستقلة اداريا لان عدة امـراء يسيطرون على انحاء صغيرة مستقلة من حكم المماليك. ففي الموصـل كانت الاسرة الجليلية مثلا تلي منصب الولاية لاكثر من قـرن واحـد. ومع ان سيطرتهم لم تكن تمتد احيانا الى ابعد من اسوار المدينـة فـان الجليليين كانوا عموما اقوى من ان يستطيع باشا بغداد التغلب عليـهم[3]. **ومثل ذلك حوالي البصرة في العراق الجنوبي كـانت قبيلـة المنتفـق القوية التي يحكمها آل السعدون** تمثل قوة مستقلة مماثلة. وقد تحـدت القبيلة مرارا خلال القرنين الثـامن عشـر والتاسـع عشـر سـيطرة

[1] خلال القرن الثامن عشر استوطن العقيل الرحالة خارج اسوار بغداد واخذوا ينظمـون قوافل تجارية.ثم انتقلت القبيلة الى داخل البلدة وخدمت بـاشوات الممـاليك المتـأخرين كجيوش مرتزقة.

[2] لونغريغ: اربعة قرون ص 251.

[3] سليمان الصائغ : تأريخ الموصل (القاهرة 1923) ص 302-309.

الحكومة[1]. والى شمال بغداد وشمال شرقيهما حكم زعماء عشائريون اكراد دولا صغيرة.

كانت اسرة آل بابان تمثل اهم الاسر الكردية في العراق. وهؤلاء الامراء الصغار الذين بدأت أصولهم في القرن السابع عشر، كانوا يسيطرون على المناطق الجبلية التي تحيط بعاصمتهم السليمانية. وكانت المنطقة التابعة لحكم البابان تختلف حسب قوة الحاكم. ففي اوقات مختلفة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر امتد حكم آل بابان الى الشرق على مشارف نهر الزاب الاصغر الى نهر ديالى. وكان باشوات بغداد، وهم مستائون دائما شيئا ما من البابان، متذبذبين في علاقاتهم مع جيرانهم. وفي مناسبات مهمة عديدة في تاريخ العراق في القرن الثامن عشر أنقذت الجيوش البابانية مدينة بغداد من الدمار. ومع ان المماليك عاملوا آل بابان بشدة احيانا فأنهم كانت لهم أسباب طيبة لمعاملة هؤلاء المقاتلين الاكراد باحترام لائق[2].

واسرة بهدينان حكمت امارة كردية اخرى قامت شرقي الموصل. وشمال شرقيها. وكان آل بهدينان من عاصمتهم في العمادية يسيطرون على منطقة تمتد من نهر الزاب الاكبر في الشرق الى دهوك واحيانا الى زاخو في الغرب. وامتد نفوذهم الى الامارات الكردية

---

[1] لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق (راجع الفهرس في مادة المنتفق).

[2] ستيفن هـ. لونغريغ : :بابان(في معلمة الاسلام 2 الجزء الاول ص 845. ف.مينورسكي(في مادة الكرد،معلمة الاسلام الجزء الثاني، ص 1147).

المجاورة بهتان ومكاري في الشمال وصوران في الجنوب. وفي السنوات 1726– 1767 امتاز آل بهدينان بقوة كبيرة خلال حكم بهرام باشا. لكن في الايام التالية أخل التنافس بين ابناء الاسرة بقوة هذه الامارة التي الحقت نهائيا بسنجق الموصل سنة 1838[1].

وكان البدو العرب في بادية الشام والجزيرة يمثلون عنصرا اخرا في توازن القوى المتحول دائما في ولاية بغداد كان البدو يعوزهم عسكريا قوة النار المركزة لجيوش المماليك المجهزة بالمدافع.ولكن رجال العشائر البدوية كانوا في الكثير من الاحيان يدحرون قوات الحكومة المسلحة تسليحا احسن بخططهم المفضلة وسرعة حركتهم وشدة تضامنهم. ففي سنة 1800 كانت اقوى العشائر العربية في داخل ولاية بغداد المنتفق في الجنوب والخزاعل في العراق الاوسط وعنزة غربي الفرات والعبيد التي سيطرت على معظم الجزيرة. وهذه العشائر واخرى دونها قوة هددت دائما السلم والامن[2].

فيما عدا القتال مع القوات الحكومية اخلت العشائر العربية بالولاية بطرق عديدة اخرى. وكانت طرق المواصلات الداخلية كطرق قوافل البادية والطرق والانهر ضحايا سهلة لفرق الغزو البدوي. وبمضايقة القوافل التجارية ونهبها دائما كانت العشائر البدوية كثيرا

---

[1] ستيفن لونغريغ: بهدينان (في معلمة الاسلام 2 الجزء الثاني ص 920).

[2] العزاوي : عشائر العراق (الجزء الاول ص 120–125).

مـــا تقطع سبل التجارة الطويلة خلال اشـــــهر. وكـــان نــــهب القـــرى الزراعية والحقول المحيطة بها وحرقها خطة اخــــرى محببــــة للبـــدو. وخلال القرن التاسع عشر شددت الاخبار على حالة الفوضى والدمــــار في الارياف العراقية[1].

لو كان شيء من الأمن يسود في العراق لكان على باشا بغداد ان يتوصل الى تفاهم مع البدو المتمردين. وكما سنشرحه بصـــــورة اكـــثر تفصيلا في الصفحات الآتية، حاول الولاة احيانـــا ان يســـيطروا علـــى العشائـــر العربية بمنح امتيازات الى بعض العشائر وخلـــق الاحتكـــاك بين العشائر والاعتراف بزعيم منافس في داخل العشيرة. ويظـــــهر ان جيـــوش المماليك كانت ترسل فقط ضد العشائر المتمردة حين تخفـــق كل طرائق السيطرة الاخرى. وهذا النفور من استخدام القوات الحكومية نشـــأ عن حقيقة ان هذه القوات كثيرا ما اخفقت فـــي دحـــر العشـــائر البدوية القوية.

[1] مكي الجميل : البداوة والبدو (1962)ص 40-41.

الفصل الأول

وصول شمر الجرباء الى الجزيرة

شكل الاحتلال البدوي

فى اوقات كثيرة خلال التاريخ قذفت البادية العربية بموجات مــن عشائر البدو هاجرت الى الاراضي المجـاورة.وهـؤلاء البـدو، بعـد وصولهم، غيروا التوازن السياسـي والاجتمـاعي والاقتصـادي فـى مواطنهم الجديدة. وهذه الهجرات التى حدثت فى فترات مختلفـة مـن الزمن اثرت تاثيـرا محسوسا فى تاريخ العراق. اول اجتياح بدوي جاء من جزيرة العرب خلال الالف الثالث قبل الميلاد مندفعا على الحضارة السومرية [1] وعند وفاة النبي محمد (ص) مؤسس الاسلام سـنة 632 م حدثت هجرة اخرى مهمة اتخذت شكل الفتوحات الاسلامية فى القـرن السابع الميلادي[2]. ومنذ ذلك الحين استمرت الهجرات البدوية لكنها لـم تنتج النتائج العظمى للهجرات السابقة. وبدلا مـن تغـير الحضـارات الكبرى او نشر دين جديد، لم تفعل سوى تغيير جماعة من الرحالة شبه المستوطنين بجماعة اخرى من الرحالة الخلص.

خلال القرنيين السابع عشر والثامن عشر خصوصـا اسـتمرت

---

[1] حتي: تاريخ العرب ص11، ديفيد اوتسي:دراسات في التاريخ القديم للعـراق الشمـالي (للدن 1968) ص1/18.

[2] فرنسيسكو غبرييلي: محمد والفتح الاسلامي، مترجم عن الايطالية بقلم فيرجينية لولنـغ وروزندلينل (نيويورك 1968)ص 188/118، حتى تاريخ العرب ص 146/143.

العشائر البدوية على الهجرة من شمال جزيرة العرب الى العراق[1]. وهذه العشائر بسبب ثقافتها البدوية بقيت عموما فى مناطق العراق الصحراوية حين تحركت الى الشمال وطريق تنقلها هداها فى اول الامر الى بادية الشام. وبمرور الزمن هذه العشائر اما بقيت فى تلك البادية غربي نهر الفرات او عبرت النهر ومضت الى الشرق فى المنطقة المعروفة بالجزيرة. وعدد كبير من العشائر المنتقلة الى الشمال من خارج جزيرة العرب بقيت فى بادية الشام. وتاريخ هذه العشائر الاخيرة يقع خارج نطاق هذه الدراسة. فى هذا المؤلف يفضل اختصاص الدرس بتاريخ عشيرة شمر الجرباء التي عبرت نهر الفرات واتخذت الجزيرة موطنا لها[2].

قدم المؤرخون خلال القرن الاخير شروحا كثيرة عن سبب حدوث هذه الهجرات البدوية المختلفة. وارتأى بعض العلماء ان تضخم السكان في بعض العهود في جزيرة العرب بسبب الهجرة. وارتأى اخرون ان تغييرات المناخ، كأزمنة طويلة من الجفاف او الحر الشديد جدا، قد دفعت بالبدو الى طلب مراعي اكثر خصبا خارج الجزيرة العربية. وبصدد الفتوحات الاسلامية كانت الحماسة الدينية بوجه خاص تفسر

[1] حوراني: نظرة في التاريخ ص 42/40.

[2] عن الهجرة الاخيرة راجع بلنت: العشائر البدوية ص 374/372.

تنقـــلات البدو[1]. وهناك ايضا تفسير اخر لــــهجرة البـــدو فـــي مثـــال الوهابيين في اواخر القرن الثامن عشر. فهذه الحركة المتحدة والقويـــة سياسة ودينا أرغمت العشائر الضعيفة على الانصيـــاع لســيطرتها او طلـــب اللجوء الى اقاليم اخرى. وهكذا نجد ان عـــددا مـــن العوامـــل المسببة قد اثرت في الهجرة[2].

---

[1] غبريليي: الفتوحات الاسلامية ص103/106/245/248.

[2] عن التاريخ العام للحركة الوهابية في القرن الثامن عشـــر راجـــع هــــ ستســـتنج.ب. فيلبي،جزيرة العرب (لندن 1930) ص102/8.

هجرة شمر : المرحلة الاولى
1760 – 1690

بدأت احدث هجرة للبدو العرب على مقياس واسع الى بادية الشام والجزيرة في القرن السابع عشر المتأخر ويلاحظ في الحقيقة حصـــول مرحلتين مختلفتين للهجرة[1]. بدأت المرحلة الاولى في النصف الاخـــير من القرن السابع عشر حين مضت عشيرتا شمر وعنزة كلتاهمـــا الـــى الشمال من نجد في البحث عن مراعي خصبـــة. وهاتـــان العشيرتـــان تحركتا بجماعات صغيرة حتى وصلتا الى الشاطىء الجنوبي من نـــهر الفرات حيث بقيتا قسم من السنة. بالنظر الى عددهما الصغير لم تخلقـــا خلافا كبيرا نسبيا بين العشائر الكبيرة المتوطنة في المنطقة. ولكن لـــم تحـــل سنة 1696 حتى عبرت شمر نهر الفرات في الفلوجـــة وشنـــت عدة غارات على ولاية بغداد[2].

جوابا على هذه الغارات الاولية على اراضيه ارسل باشا بغـــداد جيشا لمحاربة العشيرة الغازية وارغمها على اعادة عبور النهر. وخلال نصف القرن الثاني استمرت شمر على الغزو شمالي الفرات. وكـــانت

[1] غراف: عنزة (معلمة الاسلام) الجزء الاول،لندن 1960) ص483/482.
[2] فون اوينهايم: البدو، الجزء الاول، ص133.

العشية متمردة خصوصا حين غزا نادر شاه العراق سنة 1733[1].

وحتى في عهد الحكم القوي لسليمان ابي ليلة الوالـــي المملوكـــي الشهير (1749 – 1762) وصل غزاة شمر شمالا حتى بغداد[2].

وكان الرحالة الدنمركي الشهير كارستن نيبهر، في اثنـــاء ســفره علـــى سواحل الفرات سنة 1765، قد رأى الكثيرين من رجال شمــــر بين هيت وكربلاء في العراق الاوسط. وفي ذلك الوقت كانت العشـــيرة تعرف بأسم " شمر العراقية " وتشمل فرعي الزغاريط والاسلم. وهـــذه المرحلة الاولى لهجرة شمر لم يكن لها الا تأثير ضئيل علـــى الحالـــة المتوطنة في جنوب العراق[3].

---

[1] العزاوي: تاريخ العراق (الجزء الخامس ص245/224) عن نشاطات شمر الاخرى فـــي العراق راجع ص170/169 (1706) 177 (1708)و 216/215 (1725).

[2] لونغريغ: أربعة قرون من تاريخ العراق ص172.

[3] كارستن نيبهر: رحلة جزيرة العرب (كوبنهاغ 1772) ص392.

غارة شمر: المرحلة الثانية

1840 - 1790

في نهاية القرن الثامن عشر لم تزل أكثرية اتحاد شمر القوي - المؤلف من الفروع امثال عبدة والأسلم وسنجيرا وتومان - تقيم في منطقة نجد شمال جزيرة العرب. وبدأت مرحلة ثانية لهجرة شمر حوالي سنة 1790 حين شهدت العشيرة ضغطا عسكريا متزايدا من جانب الحركة الوهابية [1] والبحث المفصل التالي لنشاط الوهابيين في العراق الجنوبي وشمال جزيرة العرب خلال سنوات الـ 1790 يشرح بوضوح الاحوال التي ارغمت شمر الجرباء على الهجرة الى العراق. ظهرت الحركة الوهابية في سنوات الـ 1750 حين اخذ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة الى اسلام اصلاحي ومحمد بن عبد الوهاب الذي اتبع المذهب الحنبلي كما فسره ابن تيمية رأى كل اصلاح أدخل بعد القرن الهجري الثالث " بدعة ".[2]

هاجم الوهابيون، في دعوتهم الى التوحيد المشدد، تعظيم الاولياء

---

[1] مونتاني: قصص شعرية للبدو (في مجلة الدراسات الشرقية، 5 (1935) ص41.

[2] بايلي ويندر: العربية السعودية في القرن التاسع عشر، (نيويورك1965)ص15/8.

الزائد لدى الطرق الصوفية. وبالنظر الى ارائه المتطرفة ارغم ابن عبد الوهاب على الفرار من بلده، وطلب اللجوء الى بلدة الدرعيـــة تحـت حماية زعيم البلدة محمد بن سعود. وفي الدرعية مزج محمد بن عبـــد الوهاب نشاطه الديني بالقوة العسكرية السعودية لخلــق قــوة متوســعة سيطرت على اكثر انحاء جزيرة العرب[1]. على اثر وفاة محمد بن عبــد الوهاب سنة 1792 اندفعت القوة الوهابية الى الشمـــال نحـــو العــراق وتغلبــت على عشيرة بني خالد في الاحساء. وبلغت الجماعات الوهابية الغازيـــة ديرة المنتفق على ساحل الفرات في العراق الجنوبي مبكـــرا في سنة 1790. وهذه الغارات الصغيرة في بداية الامر اصبحت شيئـــا فشيئا تهدد عشائر نجد والعراق الجنوبي[2]. وخلال سنوات الــــ 1780 كثيرا ما انضمت شمر الى بني خالد والمنتفق وشريف مكة في مهاجمة عدوهم المشترك[3]. لكنهم في سنة 1791 ثار ابن سعود من شمـــر فـــي معركتين فاصلتين قرب ابار عدوة (على بعد نحو سبعين ميلا جنـــوب شرقي حائل)[4].

---

[1] مارغليوث: الوهابية (معلمة الاسلام، الجزء الرابع) ص1087/1086.

[2] صـــلاح الديـــن المختـــار: تـــاريخ المملكـــة العربيـــة الســـعودية (الجـــزء الاول، بيروت1957)ص54/52.

[3] فون اوينهايم: البدو (الجزء الاول) ص134.

[4] حسين بن غنام: تاريخ نجد (مصر1961) ص 179/171.

في معركة اولية فاجئت قوات ابن سعود شمر وهي مخيمة قرب ابار عدوة.

وبالرغم من دفاع نشيط هربت شمر المندحرة، بعد ان فقدت قائدها حصان ابليس، تقصد البادية. ولما انتشر خبر هذا النصر الوهابي، خططت العشائر المجاورة للثار لاندحار شمر المهين. وفي نفس السنة قامت جماعة بدوية كبيرة في ضمنها محاربون من شمر بمقاتلة الوهابيين مرة اخرى ودحرت مرة ثانية[1]. وموت مسلط بن مطلق الجرباء في هذه المعركة دفعت اباه الحزين مطلق بن محمد الجرباء الى الهجرة مع فرع عشيرته الشمرية الى الأنحاء الاكثر امانا في جنوب العراق. وهكذا بدأ تاريخ شمر الجرباء في العراق سنة 1791[2].

اصبحت تجاوزات الوهابيين في جنوب العراق اكثر وقوعا بعد سنة 1792. وفي مبدا 1795 حثت الحكومة العثمانية باشا بغداد على مقاتلة المحاربين المتحمسين من جزيرة العرب. لكن الباشا الشيخ تجاهل هذه الطلبات السلطانية. وفي محله نظم الشيخ ثويني الزعيم الاكبر لعشيرة المنتفق القوية جيوشا وتجهيزات للهجوم على

---

[1] كالسابق:

[2] فون اوينهايم: البدو (الجزء الاول) ص134.

الوهابيين في ربيع سنة 1797. ومضى الشيخ ثويني يصحبه مرتزقة من العقيل وقوات من الكويت والبحرين والزبير، من مقره في الهجرة الى الاحساء. وتقدم حتى صاريهدد السيطرة الوهابية على ناحية الاحساء من دولتهم. لكن الحملة سرعان مابلغت نهايتها في ليلة اول تموز 1797 في الشبك حين اغتال عبد اسود الشيخ ثويني، فهلع الجيش الكبير واختفى بسرعة اذ لاذت كل جماعة منه بالنجاة[1].

نشب القتال مرة اخرى بين شمر الجرباء والوهابيين في ربيع 1798 حين عادت قوات ابن سعود بنهب وادي الفرات شمالي الشيوخ. وفي اثر حملة المنتفق الخائبة قاتل ابن سعود عدة عشائر بدوية بضمنها شمر قرب السماوة. وقد مات الشيخ مطلق بن محمد الجرباء في هذه المعركة الشديدة وخلفه اخوه الاصغر فارس شيخا اعظم لشمر[2].

خلال السنوات الثلاث التالية انضمت العشيرة الى عدة حملات حكومية ضد الوهابيين. وكانت اكبر هذه الحملات قد خرجت من بغداد بقيادة الكهيا علي باشا في صيف 1798، وكانت تشتمل على خمسة الاف ينكشري وجماعات من عشائر العقيل والعبيد وشمر.

وصل الجيش الى البصرة في كانون الاول، وفي هذه البلدة ضخم

---

[1] لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق (ص213/215).

[2] العزاوي: تاريخ العراق الجزء السادس ،ص125/126

المحاربون من الظفير والمنتفق وبني خالد عدد المساعدين العرب الـــى اكثر من عشرة الآف مقاتل. خرج علي باشا من الزبير وذهب في حملة طالت سنـــة واحدة بدون ثمرة لم تسفر الاعن هدنة ضعيفة بين الفريقين المتحاربين[1]. وبعد اقل من سنة استؤنف القتـــال حيـــن التقـــت قـــوات عشائرية بقيادة محمد الشاوي وفارس الجرباء بالوهابيين فـــي معركـــة غير حاسمة قرب كربلاء[2].

---

[1] لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق (ص215/216).

[2] رسول الكركوكلي: دوحة الوزراء (ترجمة من التركية موسى كاظم نـــورس، بـــيروت 1963) ص 214.

شمر الجرباء في الجزيرة

1800 - 1818

شمر الجرباء بقيادة الشيخ فارس، وقد اخرجها الوهابييون من ديارها في نجد، لجأت الى داخل ولاية بغداد حيث وجدت مأمنا مؤقتا في جنوب العراق. ثم عبرت العشيرة بعد ذلك نهر الفرات وهاجرت الى الشمال نحو جبل سنجار الذي يحتمل انها وصلته في شتاء 1802 – 1803[1]. لاريب ان شمر وجدت ولاية بغداد تختلف كثيرا عن موطنها الصحراوي السابق في شمال جزيرة العرب. وقد تركت موقعها كالقوة العظمى في نجد، وجدت شمر ولاية بغداد يشغلها عدد من العشائر الكبرى. ولاول مرة وجدت العشيرة نفسها تعيش في ظل حكومة مركزية تستطيع ان تمارس سيطرة ادارية وعسكرية جسيمة. وهكذا كان على شمر واجب مثلث بالحصول على ديرة عشائرية تعيد تثبيت مكانة شمر بين العشائر البدوية الاخرى والعيش تحت حكومة المماليك المركزية، وذلك شغل سيرة فارس الجرباء التي بلغت 18 سنة. ولما كانت شمر تفتقد القوة والنفوذ الذي للعشائر القوية كالمنتفق والخزعل والعبيد فقد بقيت مقدرتها من 1800 الى 1818 تستند على

---

[1] كالسابق: ص 225/223.

دعم باشوات المماليك. والشيخ فارس قد اقنع سليمان باشا باطلاعه المباشر على شؤون الوهابيين ودفاع عشيرته النشيط عن العراق الجنوبي فصار يتمتع بتأثير سياسي محسوس حين خف الضغط الوهابي على العراق الجنوبي سنة 1801[1]. وفي هذا الوقت يظهر ان شمر قد أحتفظت بعلاقات طيبة مع كل العشائر العراقية فعلا. وفي مناسبات متعددة حارب رجال العشيرة مع عشائر المنتفق والعبيد وخزعل والظفير والزبير ضمن قوات ابن سعود[2].

حصل نزاع شديد على الخلافة اوقف مؤقتا شؤون الولاية سنة 1802 عند وفاة سليمان باشا الكبير بعد حكم امتد 22 سنة. وكان النجاح حليف علي باشا الكهية في عهد الباشا المتوفي على اثر صراع واسع بين المنافسين، وبدا هذا الحكم خمس سنوات في منصب ولاية بغداد[3]. وفي اواخر نفس السنة سحب فارس الجرباء وعشيرة العبيد بقيادة محمد بك الشاوي الوالي الجديد في حملة ناجحة على اليزيدين في جبل سنجار[4]. وبينما كان الجيش المنتصر معسكرا في

[1] فون اوينهام: البدو، الجزء الاول ص145.

[2] العزاوي: تاريخ العراق الجزء السادس ص125/128.

[3] جون غوردن لوريمر: جغرافية الخليج العربي وعمان وجزيرة العرب الوسطى، الجزء الاول أ ب (لندن 1913) ص1298/1299.

[4] احتل نفوذ العبيد السياسي والعسكري في الجزيرة الى بعد نحو مئة سنة من قبل. ففي اوائل القرن التاسع عشر وطدت العشيرة موقع قوتها بالسيطرة على العشائر العربية

تلعفر عند عودته الى بغداد، اعتقل علي باشا زعيم رؤساء العبيد محمد بك الشاوي واخاه الاصغر الحاج عبد العزيز بك وأعدمهما فورا[1].

شرح ذلك احد المؤلفين قائلا :

" ان محمد بك اعظم رعايا الولاية العرب قتـــل بســـبب الحســـد والخـــوف وذكرى الخيانة المرتاب فيها حين تراسل مـــع العـــدو فـــي الحملة على نجد سنة 1799 "[2].

خاف جاسم بك ابن محمد بك على حياته ففر مع رجال عشيرتـــه العبيد نحو نهر الخابور. وانضمت شمر الى علي باشـــا فـــي حملتيـــن خاسرتين ضد ثوار العبيد سنة 1803[3]. وبعد سنتين في 1805 قـــامت

الاضعـــف منها الجبور وطي، وخدمت الاسرة الشاوية، التي قدمـــت الرؤســـاء الكبـــار لعشيرة العبيد، بعد ذلك باشوات بغداد بصفة جنود ومستشارين وسياسين. وهـــذا التدخـــل الوثيق في شؤون الولاية كثيرا ماترك ال الشاوي ورجال عشيرة العبيد في الجهة الخاسرة في منازعـــات السلطة في البلاد. وخلال النصف الاخـــير مـــن القـــرن الثـــامن عشـــر اضطهدت العشيرة مرتين اضطهادا شديدا من قبل اعدائها السياسيين، وفي سنة1800 كـــان محمد بك الشاوي يشغل منصب باب العرب المهم في عهد سليمان باشا. وهذا المنصـــب جعل منه "الوكيل" في بـــلاط الباشـــا عـــن شيـــوخ جميـــع العشـــائر التابعـــة للولايـــة (لوريمر،الجغرافية، الجزء الاول أ ب،ص 1298).للحصول على معلومات اخـــرى عـــن قبيلة العبيد راجع فون اوبنهايم: البدو (الجزء الاول) ص 189/195.

[1] الكركوكلي: الدوحة ص 223/225.

[2] لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص 223.

[3] الكركوكلي: الدوحة ص 224/225.

قوة حكومية كبيرة بضمنها مساعدون من شمر بامرة فارس الجرباء لدحر عشيرة العبيد نهائيا في ملتقى نهري الخابور والفرات[1]. وهكذا عشيرة العبيد، التي كانت في حين ما قوية، قد ضعفت عسكريا وفقدت نفوذها السياسي السابق فعبرت نهر دجلة فتوطنت بين الزاب الاصغر ونهر ديالى[2].

وفي اعقاب سقوط العبيد اصبحت شمر الجرباء العشيرة الرئيسية في الجزيرة فقط، بل حصلت ايضا على درجة جديدة من النفوذ السياسي في بغداد[3]. وقد ساعد الشيخ فارس مرارا علي باشا في الحملات المحلية حتى اغتيل هذا الاخير في آب 1807[4].وفي ربيع سنة 1808 خلف سليمان باشا المعروف بالصغير عمه المتوفي على ولاية بغداد.ومع انه كان نبيها وذكيا وشجاعا شيئا ما فانه، وعمره لا يتجاوز الاثنتين والعشرين، لم تكن لديه الخبرة العملية، وسمح بعد ذلك لفارس الجرباء ان يوثر على شؤون الحكومة[5].

في سنة 1809 اقنع رئيس شمر الاعلى الباشا الشاب بالقيام

---

[1] كالسابق: ص230.

[2] فون اوينغايم: البدو الجزء الاول ص 191/181.

[3] كالسابق: ص 191.

[4] لوريمر: الجغرافية، الجزء الاول أ ب، ص 1300.

[5] لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص225/224.

بحملة عسكرية كبيرة الكلفة تؤمن لشمر السيطرة على الجزيرة العليـــا من جبـــل سنجار الى نهر بليخ.ولما كانت شمر تحاول مـــد ســيطرتها الى الغرب ابعد من نهر الخابور فقد لقيت تحديا شديـــدا مـــن عشـــائر الظفير والدريع (عنزة)[1].اقنع فارس سليمان باشا بشن هجوم حكومـــي علـــى العشائر التى ادعى بانها نهابة[2]. وقد غادر الباشا الشاب بغـــداد في اذار 1809 على راس جيش كبير. وانضمت اليه قوات من اربيـــل ومندلي وتكريت فضلا عن مساعدين عرب من عشيرتي البو حمـــدان وطي،فسار سليمان باشا من تكريت نحو جبل ســـنجار عـــن طريـــق الحضر. وبعد التغلب على القرى اليزيدية المتمردة حول جبل ســـنجار، مضى الجيش ثانية الى الغرب نحو بدو الظفير المشاغبين بجوار نـــهر الخابور[3].

لما علم الظفير بان القوات الحكومية قادمة الى جهتـــهم هربـــوا وطلبوا الامان وراء نهر بليخ بعيدا الى الغرب. وفي هذا الوقت ارســـل

---

[1] ان الضغوط الوهابية ارغمت اقساما متعددة من عشيرة عنزة القوية على الهجرة مـــن نجد نحو سورية في نهاية القرن الثامن عشر. وعند وصولها الى بادية الشام حلت عـــنزة محل الوالي بسرعة واصبحت اهم القبائل البدوية. ومنذ ذلك الحين اقام اقســـام الفدعـــان والسباع والعمارات في بادية الشام حيث استمروا على منافستهم التقليدية للشمـــر. عـــن العنزة راجع غراف:عنزة (في المعلمة الاسلامية،2)الجزء الاول ص482/483.

[2] الكركوكلي: الدوحة ص 245.

[3] العزاوي: تاريخ العراق، الجزء السادس ص189/190.

سليمان باشا شمر والاكراد المليين مع فرقة من القوات التركية لملاحقة البدو بينما تقدم الجيش الرئيسي نحو راس العين. لكـــن قـــوات شمـــر دحرت بعد ذلك نهائيا قرب نهر بليخ، دحرتها قوة مشتركة مـــن بـــدو الظفير والرولة والدريع[1]. وبالرغم من هذا الاندحـــــار حـــافظ فـــارس الجرباء على تاثيره السياسي في بغداد الى سنة 1813[2].

فى تلك السنة وجد عبد الله باشا، الذى حل محل ســـليمان باشـــا الصغير واليا لبغداد سنة 1810، ان منصبه يتحداه سعيد باشـــــا (ابـــن سليمـــان باشا الكبير والي بغداد من 1780 الى 1802) البالغ عمـــــره 19 سنة. بدأ هذا التحدى حين غادر سعيد باشا بغداد وانضم الى عشيرة المنتفق التى يرأسها الشيخ حمود الثامر. وغادر عبد الله باشـــــا بغـــداد يصحبـــه جيش كبير لاخضاع غريمه الذي تسنده المنتفق. لكـــن بعـــد فرار جمـــاعي من جيشه الى جانب المنتفق وجد الباشا نفســـــه وحيـــد فعلا. وبعد امد قصير اغتيل عبد الله باشا وجماعته بعد ان قبلوا عرضا بالامان الشخصي من الشيخ حمود الثامر[3].

فى 16 اذار 1813 دخل سعيد باشا يصحبه حمود الثـــامر الـــى بغداد ليحتل منصب الولاية. وفى خلال حكمه الذي دام اربع سنوات قام

---

[1] كالسابق: ص190

[2] فون اوينغايم: البدو، الجزء الاول ص 146.

[3] لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص 234.

داود افندي الذي شغل فى اول الامر منصب الكهيا والدفتردار المزدوج بارشاد الحاكم الشاب بمقدرة [1] وبروز عشيرة المنتفق بزعامة الشيخ حمود الثامر كالعشيرة الرئيسية فى شؤون الولاية احدث تبديلا محسوسا فى سياسة المماليك العشائرية. فهذا التغيير اصبح واضحا حين وجدت شمر الجرباء والخزاعل، وكلتاهما كانتا على علاقات ودية مع علي باشا وسليمان باشا وعبد الله باشا من 1802 الى 1812، انهما بعيدان عن العطف[2].

زاد التوتر بين الحكومة وشمر سنة 1813 حين رفض سعيد باشا ان يمنح فارس الاحترام والمزايا التى كان يتمتع بها عادة. وامام صدود الحكومة شنت شمر غارات على عدة مدن عراقية فى ربيع 1814[3]. ولم تات السنة التالية حتى تمزقت العلاقات بين الحكومة والعشائر تمزقا شديدا الى درجة ان العشائر الكبرى فى العراق الغربي – الخزاعل وزبير وشمر الجرباء عقدت اتحادا ضد سعيد باشا[4]–.

فى سلسلة من الغارات حاصر رجال شمر والخزاعل الحلة

---

[1] كالسابق.

[2] الكركوكلي: الدوحة ص 263.

[3] العزاوي: تاريخ العراق (الجزء السادس) ص227.

[4] كالسابق ص 269/268.

ونهبوا بلدانا اخرى على طول الفرات. واشتد القتال فاستعان سعيد باشا بحمود الثامر واتباعه المنتفق للقضاء على التمرد المنتشر. وقد استدعى حمود الثامر عشائر الظفير والدريع والعبيد لمساعدته ضد اعدائها المكروهين شمر وخرج، يسنده جيش المماليك ورجال المنتفق المحاربين من اتباعه، لاعادة الامن الى العراق الاوسط[1]).

خسرت شمر الجرباء خسارة كبيرة بقتل الشيخ بنية بن قرينس ابن اخي فارس الجرباء في المعركة. واكتشفت عشيرة الدريعي ان شمر مخيمة في ديرة الخزاعل على الشاطىء الغربي من الفرات. ولما علمت ان بنية يكون معزولا عن الاقسام الاخرى من عشيرة شمر قامت الدريع فورا بانتهاز فرصة عزلته وطلبت من الشيوخ حمود الثامر سندا عسكريا اضافيا.

فانضمت جماعة كبيرة من مرتزقة العبيد وعقيل الى الدريع في الهجوم على اتباع الشيخ بنية المعزولين. وبالرغم من الدفاع المتحمس قاتلت شمر قتالا خاسرا ضد خصومها الكثيرين. وبعد قتل الشيخ بنية ارسل البدو المنتصرون راسه الى سعيد باشا في بغداد اثباتا لانتصارهم على شمر الجرباء[2]. وشمر هذه، بعد ان ضعف شأنها بفقدانها عطف الحكومة سنة 1813 ووفاة الشيخ بنية سنة 1815، اصاب نفوذها في

---

[1] كالسابق: ص 227.

[2] أمين بن حسن الحلاوي المدني: مطالع السعود (ابو ضبي 1885) ص123/122.

الجزيرة ضربة شديدة اخرى عند وفاة الشيـــخ فـــارس ســنة 1818. وبالنظر الى ابتلائها بهذه المصائب الثلاث صارت عشيرة شمر التـــي كانــت من قبل قوية تلعــب دورا ضئيــلا فــي الشــؤون العشائريــة والسياسية خلال السنوات الاربع التالية[1].

---

[1] فون اوبنهايم: البدو (الجزء الاول) ص 146.

تأثير نزول شمر على الجزيرة

ان المظاهر السياسية والعسكرية للاحتلال الشمري وهي على هامش تأريخ المنطقة، وقد سبق شرحها بتفصيل واف، مثلت جانبا واحدا فقط من تأثير العشيرة على الجزيرة. والجزيرة التي كانت عهدا طويلا منطقة لجوء عرقي ثقافي للعرب والاكراد واليزيديين والاتراك وجماعات صغرى اخرى، قد شهدت تعديلا اجتماعيا اساسيا بعد احتلال شمر. فهذه الهجرة بدلت بصورة محسوسة الهيئة العشائرية في الجزيرة. ان طرد شمر لعشيرة العبيد من الجزيرة شكل اوضح مثال لهذا التغيير.

ولان ديرتها امتدت ابعد الى الشمال من ديرة العبيد فان شمر ارغمت عشيرتين عربيتين نصف متوطنتين على مغادرة مواطنها التقليدية.

احدى هاتين العشيرتين طي عاشت من قبل بجوار الموصل غربي دجلة مئات السنين حتى ارغمها قدوم شمر الى المضي شمالا نحو ماردين كذلك الجبور العشيرة نصف المتوطنة تركت ديرتها التقليدية حين جاءت شمر الى الجزيرة العليا. واحد اقسام الجبور انتقل الى الشرق نحو دجلة، وقسم اخر لجأ على طول نهر الخابور حيث يقيم حتى اليوم. واثرت هجرة شمر الى درجة أيضا على يزيدية

جبل سنجار والاكراد المليين الرحالة الذين كانوا يعيشون الى مسافة الى الشمال[1].

وشمر التي جاءت حديثا اختلفت أيضا في عاداتها وحياتها الاجتماعية عن عشيرتي العبيد وطي اللتين سكنتا الى جوار الثقافة المتوطنة لعدة قرون.

وبنتيجة اتصالها بالمجتمع المدني تغيرت ثقافتها البدوية على وجه محسوس. وشمر التي نزلت الى جانب هذه العشائر خرجت من منطقة نجد في جزيرة العرب حيث عاشت عيشة متنقلة بسيطة. وحادثان خاصان يؤكدان الفرق بين ثقافة شمر الجرباء وثقافة بدو الجزيرة الاقدمين.

ان سكان المنطقة المستوطنة وجدوا اللباس الغريب للشمريين القادمين حديثا ممتعا بصورة خاصة. وعند زيارة الشيخ بنية لوالي الموصل ازعج مظهره الغريب الاهالي المحليين الى درجة ان الباشا اضطر ان يهيئ عدة جنود لحماية ضيفه[2]. واحد المؤرخين المحليين عبد السلام افندي من بلدة ماردين، يعطي صورة من الدرجة الاولى لنتائج هجرة شمر. ان غزوات شمر بدون تمييز اخلت باحوال الامن السائدة نسبيا في الجزيرة، حتى ان عبد السلام افندي وصف العشيرة

---

[1] كالسابق: ص183/173.

[2] جون روس: ملاحظات عن رحلتين من بغداد الى خرائب الحضر في العراق سنة 37/1836 (في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية، 9 (1839) ص455/453.

كوباء لا يقل سوءا عن الجراد[1].

[1] فون اوينهايم: البدو (الجزء الاول) ص136.

الفصل الثاني

بروز شمر في الجزيرة: عهد صفوك أبن فارس

1818 – 1847

بالرغم من فقدان زعيم فعال لشمر واستمرار اضطرابها نتيجة حملتي الحكومة الناجحتين سنة 1817 – 1818 فان العشيرة سرعان ما بلغت مكانة مرتفعة جديدة من القوة والنفوذ[1].

وهذا المجد الجديد جاء على يد صفوق بن فارس نجل فارس الجرباء. والشجاعة المتناهية والفصاحة مقرونتان بالبسالة الحربية مكنت الشيخ الشاب من كسب طريقه الى النجاح ،حين يتفحص الانسان سيرة صفوق التي دامت ثلاثين سنة وهو رئيس شمر الاعظم يجد عهدين مختلفين. العهد الاول والاقصر امتد من 1818 – 1830. في خلال هذه السنوات الاثنتي عشر تنافس صفوق مع داود باشا للسيطرة على الجزيرة. وبعد خلع داود سنة 1830 دخل صفوق المرحلة الثانية من سيرته. خلال الـ 17 سنة التالية تفادى مهاجمات الولاة العثمانيين بنجاح.كيف قام هذان النظامان، الاول مملوكي والثاني عثماني، بادارة علاقاتهما بصفوق وعشيرة شمر، ذلك ما سوف يذكر بوضوح.

[1] لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص 241/240.

بروز داود باشا

1817

ارتقى داود باشا منصب والي بغداد سنة 1817 وعمره خمسون سنة[1]. بعد خدمة طويلة (رجل دين) وموظف في الولاية، تسلم سدة الاحكام وحكم 13 سنة قبل ان يعزله علي رضا باشا سنة 1830. كما كان متوقعا دوخت مشاكل العشائر داود باشا طول مدة حكمه[2]. ومشكلة تفوق قوة العشائر العسكرية، خصوصا البدو الرحالة مثل شمر الجرباء، وزيادتها على قوات الحكومة تستحق دراسة دقيقة بالنظر الى الدور المهم الذي لعبته في تاريخ العراق في القرن التاسع عشر. ووالي بغداد، بصفته الاداري المركزي للولاية، يتحمل مسؤولية تأمين الامن والنظام في الارياف. ان انتشار السلام والامن في الولاية عموما يهيء ازدهار التجارة والزراعة، والاقتصاد المتين يدر ايرادا واسعا من الضرائب على الحكومة المركزية. خلاف ذلك حين كانت الغارات العشائرية تخل بالامن في الارياف العراقية وتجعل التجارة والزراعة صعبة تهبط واردات الحكومة من الضرائب والرسوم هبوطا ملحوظا،

---

[1] العزاوي: تاريخ العراق، الجزء السادس، ص239/237.

[2] عبد العزيز سليمان نوار: داود باشا والي بغداد (القاهرة 1967) ص 98/91.

وهذا الهبوط في الايراد يجعل من الصعب دفع رواتب جيش الولاية.

واجه داود باشا التمردات العشائرية بقوتين عسكرتين مختلفتين : جنود اتراك ومجندون من العشائر. في مركز القوات التركية كان الحرس الكرجي لداود باشا وعدده نحو 1700 رجل في سنة 1830. بالاضافة الى حرسه الشخصي كان للباشا ايضا 1500 من المشاة و500 مدفعي و 500 بندقي. وكانت قوة اضافية تتألف من 5000 رجل من العقيل تشترك في اكثر الاحيان في الحملات الحكومية الكبرى[1].

والجماعات الكردية ايضا اشتركت في الحركات الشمالية[2]. ويقول المؤرخ التركي ثابت افندي سنة 1830 ان داود باشا كان يقود قوة مقاتلة قوامها 12500 رجل[3].

يظهر ان باشوات المماليك كان لهم، في الاعداد المجردة جيش قوي، لكن لدى الفحص الدقيق يجد هذه الاعداد خادعة شيئا ما. فالجنود الاتراك النظاميون فقدوا الانضباط وكان تدريبهم سيئا وجهازهم رديء احيانا كثيرة. ومثال ذلك ان المجندين من العشائر العقيل لم يكونوا ذوي فعالية كبيرة بالنظر الى انشغالهم بالحصول على الغنائم.

---

[1] كليمان هوارت: تاريخ بغداد (باريس 1901) ص 205

[2] جان روسو: وصف باشوية بغداد (باريس 1809) ص29.

[3] هوارت: بغداد ص 205.

وفي اكثر الاحيان كان هؤلاء المرتزقة يغيرون علـــى نفـس القـرى والعشائر الصغيرة التي يرسلون لحمايتها[1].

والخلاصة ان القوات العسكرية للمماليك على وفرة عددها لم تكن لديها العزيمة لدحر منافسيها من العشائر.

[1] وزارة الخارجية: 334/195، بغداد، كمبال الى كاننغ رقم 50، 1850/12/18.

تفوق البدو العسكري

هيأ المجتمع البدوي بودقة لصنع مقاتلين شجعان، فان البسالة في المعارك منحت البدوي الشاب غير الهياب اعترافا رفيعا في داخل عشيرته. علاوة على العادات والقيم العشائرية التي تؤكد البسالة العسكرية، كانت حياة البدو في الصحراء تهيئة للقتال. كان الصبيان البدو من طراوة عودهم يتعلمون ركوب الخيل والجمال على السواء ويتميزون في ذلك. وكان كل شاب بدوي يفخر بمقدرته في الفروسية ويحاول التغلب على رفاقه من الشباب[1].

وحياة البدو هيأت ايضا الفرصة الطيبة للمقاتل الشاب للحصول على المهارة القتالية في استعمال بندقيته ورمحه فضلا عن سكينه. وكان الغلمان كثيرا ما يرافقون ابائهم في القنص والغارات ويلعبون العابا مختلفة تعزز مقدرتهم على استعمال اسلحة مختلفة[2]. وفي اوائل القرن التاسع عشر كان الرمح السلاح المفضل لدى المقاتل البدوي[3].

خلافا لجنود المماليك الذين يقيمون في بغداد في الفترات بين

---

[1] فون اوينهام: البدو، الجزء الاول ص29/28.

[2] الويس موسل: العادات والاساليب لبدو الدولة (نيويورك 1928) ص258/256.

[3] كالسابق: ص 133/132 سخاء رحلة في سوريا والعراق (ليبزيغ 1883) ص306.

المعارك في الريف كان المقاتلون من البدو يقيمون بالنشاط العسكري طوال السنة على شكل غزو للعشائر المجاورة. وهذه الغارات، ولو انها تكون في احيان كثيرة مجرد العاب رياضية، تهيئ الفرصة لتقوية المهارات الحربية. ففي الغزو كان للمقاتل فرصة لابداء بسالته والحصول على الشرف الكبير لشجاعته. وكان البدو، بالاضافة الى مقدرتهم الحربية المتفوقة، يستعينون بمعرفتهم الممتازة لجغرافية البادية للتخلص من جنود الحكومة[1].

---

[1] هارولد ديكسن: عرب البادية (لندن،1949) ص 363/31.

طرائق المماليك للسيطرة على البدو

يظهر لاول وهلة ان ولاة بغداد من المماليك قد واجهوا ما يبدو انه عدو بدوي متفوق عسكريا. لكن في نهاية الامر وجدت عوامل منعت البدو من استعمال طاقتهم العسكرية بصورة كاملة. مثلا كانت الهجرة التي تضيع الوقت تحدد االامد الذي تستطيع فيه العشيرة القيام بالغزو على مقياس واسع[1]. وكانت القوات الحكومية تقوم بتوقيت حملاتها بدقة لتتمكن من مهاجمة العشيرة البدوية في اوان ضعفها[2].

يضاف الى ذلك ان طبيعة المجتمع البدوي استلزمت خطة قتال قوامها الضرب والهرب، فكان عسيرا على العشيرة ان تقيم حصارا طويلا حول المدن كبغداد والموصل. وكان للحكومة المركزية ميزة اخرى هي ان العشائر كان عليها شراء الحبوب لزيادة طعامها الضئيل. وقامت الحكومة بأغلاق اسواق الحبوب في الموصل وبغداد وتكريت والبصرة تستطيع ان تنشر المجاعة لدى العشائر وتخضعها. واستمرت هذه الخطة لتكون انجح وسيلة تستعملها الحكومة ضد العشائر المتمردة حتى بعد حلول القرن العشرين[3].

---

[1] العراق والخليج العربي في سلسلة الكراريس الجغرافية، شعبة الاستخبارات البحرية (لندن 1939/1945) ص361/363.

[2] وزارة الخارجية: 301/195 الموصل، رسالة الى كاولي رقم 33، في 847/7/10.

[3] وزارة الخارجية: 334/195 بغداد كمبنى الى كانغ رقم 50 في 1850/12/18.

بروز صفوق بن فارس
1818-1825

حين تسنم صفوق بن فارس مشيخة شمر سنة 1818 او 1819، كانت العشيرة قد فقدت مؤقتا الكثير من وضعها المتفوق السالف في الجزيرة. لكن شمر بقيادة الشيخ الجديد سرعان ما انتهزت فرصة دقة وضع داود باشا الذي كان منشغلا باعداد العدة لمواجهة هجوم فارسي (ايراني) مهدد به ولاسترجاع قوته ونفوذه.

خلال السنين تناوبت العلاقات بين بلاد الفرس وولاية بغداد بين الصداقة المعتدلة والعداء العلني. وفي سنة 1818 سادت حالة حرب بين المنطقتين. بدات المعارك حين قام محمد علي مرزة حاكم كرمنشاه العام بدعم الحاكم الكردي محمود بابان في نزاع له مع داود باشا. وتفاقمت الامور كثيرا حين طلب محمود البابانى مساعدة الفرس وتسلم قوة قوامها 10000 رجل. شعر داود باشا بالخطر المحتمل لهذا الوضع فأرسل فورا جيشه الخاص بقيادة عمه عبد الله باشا الى كركوك. وحين وجد الفرس (العجم) مسيطرين على المنطقة حول كركوك، وافق داود باشا على طلب الشاه باعادة محمود بابان الى

بروز صفوق بن فارس
1818-1825

حين تسنم صفوق بن فارس مشيخة شمر سنة 1818 او 1819، كانت العشيرة قد فقدت مؤقتا الكثير من وضعها المتفوق السالف في الجزيرة. لكن شمر بقيادة الشيخ الجديد سرعان ما انتهزت فرصة دقة وضع داود باشا الذي كان منشغلا باعداد العدة لمواجهة هجوم فارسي (ايراني) مهدد به ولاسترجاع قوته ونفوذه.

خلال السنين تناوبت العلاقات بين بلاد الفرس وولاية بغداد بين الصداقة المعتدلة والعداء العلني. وفي سنة 1818 سادت حالة حرب بين المنطقتين. بدات المعارك حين قام محمد علي مرزة حاكم كرمنشاه العام بدعم الحاكم الكردي محمود بابان في نزاع له مع داود باشا. وتفاقمت الامور كثيرا حين طلب محمود البابانى مساعدة الفرس وتسلم قوة قوامها 10000 رجل. شعر داود باشا بالخطر المحتمل لهذا الوضع فأرسل فورا جيشه الخاص بقيادة عمه عبد الله باشا الى كركوك. وحين وجد الفرس (العجم) مسيطرين على المنطقة حول كركوك، وافق داود باشا على طلب الشاه باعادة محمود بابان الى

منصبه السابق[1].

نشبت المعارك مجددا على جبهتين سنة 1821. في قتال واحد اشتدت الحرب بين محمود بابان الذي نال دعم داود باشا وعبد الله بابان التابع لمحمد علي مرزه للسيطرة على السليمانية. ودحر الجيش الفارسي بصورة حاسمة قوات المماليك التي يقودها الكهيامحمد اغا. وفرار محمد اغا الى العدو بعد اندحاره المهين اعتبره البعض عمل خيانة متعمدة. ولما مني داود باشا بعمل عسكري خطير وفقد الكهيا القدير، اخذ باعداد بغداد لحصار طويل. ولحسن حظ الباشا ان الجيش الفارسي سقط ضحية وباء الهيضة قبل ان يتمكن من محاصرة بغداد.

وحتى في حالتهم الضعيفة ارسل الفرس عدة جماعات غازية نحو عاصمة المماليك[2].

التقت هذه الجماعات بجماعة من شمر يقودها صفوق بن فارس، فدحر المقاتلون الشمريون هذه القوة الفارسية الكبيرة في سلسلة مقابلات من الهجوم والانسحاب. وبالنظر الى انتصارات شمر والمشاكل التي خلفها وباء الهيضة، حسم محمد علي مرزه القائد الفارسي خلافاته مع

---

[1] نوار: داود باشا ص 170/114.

[2] العزاوي: تاريخ العراق الجزء السادس،ص280/279 محمد امين زكي:تاريخ السليمانية (بغداد/1951)ص 147، نوار داود باشا ص 180،لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص245/242.

داود باشا وانسحب من كردستان الغربية[1].

بالرغم من التسوية التي جرت بين داود باشا ومحمد علي مـــرزه حول العراق الجنوبي بقيت القوات العثمانية تواجه جيوش الامير محمد علي مرزه ولي العهد والحاكم العام لمقاطعة اذربيجان.

ومنشأ هذا القتال الثاني يعود الى نزاع حـــول السـيطرة علـى عشيرتين فارسيتين رحالتين لجأتا الى باشـــا ارضـــروم ولمـــا طلـــب السلطان مساعدة ولاة ديار بكر والموصل وبغداد ضـــد الفـــرس ســـنة 1822 قام داود باشا بواجبه في ارسال جيش كبير لمساعدته. وتولـــى الكهيا الجديد الحاج طالب اغا قيادة قوة قوامـــها 10000 رجـــل الـــى الشمال عونا للسلطان. وفي نفس الوقت تولى محمد حسين مرزه قيـــادة 40000 جنـــدي فارســـي عبر الحدود وطرد الجيش التركـــي الـــى قزل رباط. وقد شعر القـــادة الاتـــراك بالفاجعـــة القريبـــة فخططـــوا للانسحاب[2].

لكن القوة الفارسية المهاجمة اوقفت لامد من قبل الشيخ صفـــوق واتباعه المقاتلين من شمر بين شهربان والخـــالص. وبنتيجـــة الخطـــة السوقية المتفوقة استطاع الزعيم الشمري ان يقســـم القـــوات الفارســـية

---

[1] العزاوي: تاريخ العراق، الجزء السادس، ص280/ 283.

[2] لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص 246. وجدير بالملاحظة ان محمد حســـين مرزه هو ابن محمد علي مرزه وخلفه.

ودحر قوة تفوقه كثيرا. وقامت العشيرة بعد انتصارها بنهب المعسكر الفارسي وانسحبت بغنائم وفيرة[1].

استعملت عشائر بدوية اخرى ايضا نفس الخطط وثلمت الهجوم الفارسي. واصيب الجيش الفارسي بتجدد وباء الهيضة بعد ذلك وعبر الحدود[2]. وهكذا قرر للهجوم الفارسي الثاني ان ينتهي بعد ان دحره مزيج غير محتمل من كارثة طبيعية ومقاتلين بدو. وتنفس العراق نفس ارتياح ومضى لاصلاح أنظمته الاقتصادية والزراعية واعادة الانتاج.

بلغ نفوس شمر وزعيمهم الشاب صفوق بن فارس اوجه بعد دحر الفرس. ولولا زعامة الشيخ صفوق القديرة لاستطاع الغزاة الفرس ان يحققوا تدميرا اكثر في العراق. وقد قدر داود باشا كل التقدير مساعدة شمر في دحر الجيش الفارسي وكافأ صفوق بلقب وزير. ومنح الزعيم الشاب ايضا حق ادارة مقاطعة عنه على شاطئ الفرات. ولا شك ان هذه المكرمة الاخيرة اعطت ايرادا سنويا عظيما من الضرائب. والنجاح العسكري والتكريم الحكومي زادا من شهرة صفوق بين رجال عشيرته شمر[3].

---

[1] السابق: المدني مطالع السعود ص 149/148.

[2] لونغريغ: اربعة قرون ص 246.

[3] العزاوي: عشائر العراق، الجزء الاول ص153.

في سنة 1823 امتد نفوذ شمر من نهر الفرات في الجنوب الى ماردين وفي الشمال ومن الموصل ودجلة في الشرق الى ابعد من نهرالخابور في الغرب وديرة شمر العشائرية الواسعة سببت لهم التصادم مرارا مع عشيرة عنزة في بادية الشام. ولم يكتف شمر بنهب غزاة عنزة سنة 1823 [1]فعبرت الفرات في موسم الحرب التالية. وشمر، التي توقعت نصرا هينا جديدا على منافسيها من البدو، اخذت على حين غرة ودحرت بسرعة. وعلى اثر انتصارهم سنة 1824 نهب رجال عنزة العشيرة المغلوبة وقاموا فضلا عن ذلك بأهانة شمر بسلب خيولهم العربية المطهمة. وارسل داود باشا قوات حكومية لمساعدة الشيخ صفوق ضد عنزة. وبعد ذلك بالرغم من اندحار شمر المهين أكد الباشا المملوكي تاييده للشيخ صفوق وسمح له بالاستمرار على حكم عنه[2].

---

[1] العزاوي: تاريخ العراق، الجزء السادس، ص285/286.

[2] السابق:

العلاقات بين الحكومة وشمر

سنة 1825 – 1830

حافظت شمر على علاقاتها الودية مع والي بغداد خلال سنة 1825 كما يدل على ذلك اشتراكها في حملة حكومية لاعادة الامن في الريف العراقي[1]. لكن في السنوات الاخيرة من العقد 1820 فقد الشيخ صفوق دعم داود باشا. والحقيقة ان زعيم شمر الكبير اصبح الد اعداء الوالي الداخليين. ومع الاسف ان المراجع العربية التاريخية وتقارير الرحلات الاوربية كلاهما لاتعطيان معلومات مفصلة عن نشاط شمر بين سنة 1826 و1830.

على اساس تحليل علاقة صفوق مع الولاة العثمانيين بعد سنة 1830، يمكن الافتراض ان الزعيم الشاب وجد من الصعب جدا مواصلة علاقاته الوثيقة لداود باشا. في طبيعة الامر ان الموقف المفضل مع حكومة بغداد منعت شمر من متابعة غزواتها البدوية واعمال النهب. ومواصلة التعاون مع بغداد يحتمل انها ارغمت العشيرة على ترك غزواتها المعتادة لانها قد تكون تخصص معظم نشاطها لكبح

---

[1] لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص247.

جماح سائر العشائر البدوية والكردية واليزيدية. وكما ســوف يشــرح بتفصيل اكثر في الفصول الاتية، لم تكن شمر لتســتطيع اجــراء هــذا التعديل.

سقوط داود باشا

حكم داود باشا الولاية حتى سنة 1830 حين طلب السلطان تنازله. فمنذ سنة 1826 باشر السلطان محمود الثاني (1808 – 1839) منهاجا لاعادة فرض السيطرة الملكية على الامبراطورية التي اختلت مركزيتها. بقيت ولاية بغداد نسبيا بعيدة عن تأثير هذه الاصلاحات لمدة اربع سنوات تقريبا. ولكن في سنة 1830 بأء داود باشا بغضب محمود الثاني. وسبب ذلك اعمال تمرد مختلفة مقرونة باشتراك رمزي فقط في الحرب الاخيرة مع الروس. اغتاظ السلطان من نجل الباشا المملوكي فاوفد صادق افندي، الموظف الحكومي الموثوق به، للحصول على استقالة داود باشا[1].

وصل المندوب السلطاني الى بغداد ورفض بازدراء عروض الضيافة المتكررة، وقدم الفرمان (المرسوم السلطاني) الداعي الى استقالة داود باشا. لكن هذا الباشا المراوغ الذي غاظه الطلب رتب اغتيال صادق افندي واخبر الشيخ السلطان محمود ان رسوله مات بالهيضة[2]. وكان جواب السلطان انه نظم جيشا قويا بقيادة علي رضا

---

[1] السابق: ص262/260.

[2] السابق: ص 264.

باشا لتنفيذ عزل داود باشا.

غادر علي رضا باشا حلب في اوائل 1831 وتوقف مؤقتا في شمال العراق للحصول على دعم قاسم باشا العمري والي الموصل وعدة عشائر بدوية، ومنها شمر الجرباء، قبل التحرك الى بغداد[1]. وحين كان الجيش العثماني لابثا في الشمال، اصيبت بغداد بفاجعتين طبيعيتين : اولهما حدوث وباء اجتاح العاصمة، ثم عقبه فيضان ربيعي هائل. وكانت نتيجة هذين الحادثين السيئين ان داود باشا وجد نفسه في موضع ضعف[2].

وفي نفس الوقت وصل الى اسوار المدينة قسم من جيش علي رضا باشا بأمرة معاونه قاسم باشا العمري والي الموصل[3]. وشد ازر القوات العثمانية شمر الجرباء بأمرة صفوق والعقيل التابعون لسليمان غنام. كان اعيان بغداد غير مستعدين لحصار طويل فوافقوا على تسليم داود باشا الى قاسم باشا. ولكن لما دخل مرتزقة العقيل والشمر الى بغداد بسرعة واخذوا بالنهب بدل الاعيان رأيهم. صمد البغداديون وراء اسوار المدينة معتزمين مقاومة تقدم علي رضا باشا. وغادر القائد العثماني الموصل سريعا حين علم ان قواته بلغت العاصمة، وحثته

[1] ج.ب. فريزر: رحلات في كردستان والعراق، الجزء الاول (لندن 1840) ص261.

[2] لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص264 ـــ 267.

[3] فون اوبنهايم: البدو، الجزء الاول ص147.

الاخبار عن مقاومة المملوك على تسريع مسيرته نحو بغداد[1].

وجد علي رضا باشا عدوا شديد العزيمة فامر بالقصف اليومي المتواصل الذي دام عشرة اسابيع. وفي اوائل ايلول طلب الطرفان المتقاتلان كلاهما نهاية سريعة للحصار. فبعد ثلاثة اشهر تقريبا من النار العثمانية المستمرة، كان اهالي بغداد الذين يعانون الجوع والضعف المعنوي على استعداد لقبول أي عرض معقول. وعلى مثال ذلك كان علي رضا باشا، وهو تحت وطأة عبء مزدوج من عدم تمكنه من دفع رواتب جنوده وضغط الاستانة عليه لوقف الحصار الطويل، هو ايضا مرغم على ايجاد نهاية عاجلة للحرب. ومن خلال خيانة عدة وجهاء بغداديين فتحت اسوار المدينة اخيرا امام العثمانين المنتصرين.

ارسل علي رضا باشا داود باشا الى الاستانة حيث بقي مبعدا سنوات عديدة واخيرا هيئ له ان يخدم السلطان في مناصب مختلفة الى وفاته سنة 1851. ومع ان الباشا الجديد سيطر على مدينة بغداد، فان وضعه العام بقي ضعيفا، فأن عددا كبيرا من المماليك الموظفين والزعماء العسكريين المتمردين مازالوا يقيمون في بغداد والانحاء الخارجية من الولاية. وعالج الباشا هذه المشكلة بدعوة المماليك الاحياء الى اجتماع في بغداد حيث اعدموا بعد ذلك[2].

---

[1] فريزر: الرحلات ص262.

[2] لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص275.

علي رضا باشا والعشائر العربية

وجد الوالي العثماني سريعا لانزعاجه الشديد ان السيطرة على العشائر البدوية الكبرى اصعب جدا من القضاء على المماليك المتبقين. وزادت هذه المشكلة تعقيدا ان الفرمان الصادر بتعيين علي رضا باشا لـولاية بغداد امره، لا ان يحكم بغداد وحدها، بل ايضا حلب وديار بكر والموصل. ولم يسبق ان عهد الى وال واحد بحكم مثل هذه المنطقة الواسعة[1].

واصبح الشيخ صفوق عدوا لدودا لعلي رضا باشا خلال حكمه الذي بلغ 11 سنة لولاية بغداد. في بادىء الامر دعت ظلامة معينة شيخ مشايخ شمر الى ترك صداقته مع الوالي العثماني الاتي حديثا. لكن في نهاية الامر تركز صراعهما على محاولات الحكومة المتكررة لانشاء سيطرة مباشرة على ولاية بغداد. لكن الشيخ صفوق المتعود على الغزو متى شاء والمدير للشؤون العشائرية الداخلية دون ان يصغي الا في أحايين قليلة الى اوامر الحكومة، وهو اقوى زعماء البدو في الجزيرة، استاء كثيرا من تدخل الوالي المتزايد.

يظهر ان الصعوبات الاولية بين الرجلين قد بدات في اواخر

---

[1] السابق: ص 275.

1831 او اوائل 1832. بينما كان علي رضا باشا في مسيرته من حلب الى بغداد في شباط 1831 عرض على صفوق مغريات مختلفة مقابل دعم شمر ضد داود باشا[1]. وقد قبل صفوق فورا العرض بالطريقة البدوية. وخلال المدة حين كان الوالي الجديد يثبت مركزه في بغداد، كلف صفوق بضمان سلامة القوافل والمسافرين الذين يمرون خلال ديرة شمر لقاء منحه مكافأت اقليمية و " خلعة " ملابس[2].

هذه الحالة من التعاون المتقابل لم تستمر سوى امد قصير لان علي رضا باشا حين ثبت مركزه في بغداد، كره تنفيذ تعهده السابق لصفوق. بالامتناع عن منح صفوق مكافأته الموعودة يجوز ان علي رضا باشا حاول تقليص نفوذ الشيخ القوي الذي كما يظهر من احد المصادر، اصبح يسيطر على احسن الامكنة على قناة الدجيل شمالي بغداد فضلا عن اغلب انحاء الجزيرة[3].

اغتاظت العشيرة من اخلاف علي رضا باشا لوعده، بدات العشيرة بأزعاج قرى متعددة بطلب اتاوات غير قانونية. علاوة على

---

[1] لويمر: الجغرافية، الجزء الاول، ا ب، ص 1316.

[2] وزارة الهند: ل/ب اندس/ 9، رسائل سرية ومرفقاتها من ايران، الجزء 7ل، تايلر الى سكرتير الحاكم، 1832/7/10.

[3] لوريمر: الجغرافية، الجزء الاول، ا ب ص 1316.

ذلك استولت على رسوم باهظة من القوافل المارة بديرتها[1]. ولما طلب صفوق امتيازات اخرى من الباشا في اواخر 1832 او اوائل 1833، رفض علي رضا طلبه فغضب صفوق من جوابه السلبي واعلن تمرده[2].

ولم يأت شهر تموز 1833 حتى كان زعيم شمر وحليفه يحيى باشا والي الموصل قد اخذ يهاجمان العشائر اليزيدية في جبل سنجار التي كانت تغير على القوافل في طريق التجارة الشمالي بين الموصل وماردين. واذا بمحمد باشا امير راوندوز الذي كان معروفا بلقب " ميركور " (الامير الاعمى) الذي لم يرغب في فقدان الحصول على غنيمة باردة، يقوم هو ايضا بالهجوم على اليزيدية.وتحت قيادة الرؤساء الثلاثة الاقوياء المستقلين في الجزيرة حدث تمرد سنة 1832 – 1833 كان مبدء صراع طويل بين العثمانيين الذين رغبوا في توطيد سيطرة مباشرة على العراق الشمالي وبين زعماء المنطقة الاشداء، مثل الشيخ صفوق، الذين رغبوا في الاحتفاظ باستقلالهم [43].

بما ان علي رضا باشا كان واليا غير محبوب نسبيا وله دعم

---

[1] وزارة الهند: ل/ب اندس/9، رسائل سرية ...1843/12/7.

[2] فريزر: الرحلات، الجزء الاول ص271.

[3] وزارة الخارجية: 113/159 بغداد، تاسير الى الدائرة السياسية رقم 56 في 1833/7/29.

[4] وزارة الخارجية:113/195 بغداد، تايلر الى الدائرة السياسية رقم 56 في 1833/7/29.

عسكري غير كاف فقد عامل شمر بحذر. ولما كان العدد المحدود من القوات التي لديه منشغلة بتمرد عشائري قرب الحلة فقد طلب الوالي الجديد اضعاف شمر القوية بخلق نزاع في داخل العشيرة[1]. وقد نفذ خطته في اول الامر بسحب اعترافه بشيخ صفوق كزعيم تؤيده الحكومة، ثم عين الشيخ شلاش ابن اخي صفوق رئيسا منافسا له. علم شلاش انه ضعيف فعلا بدون مساعدة علي رضا باشا وتعاون تعاونا وثيقا مع المحسن اليه[2].

لما علم صفوق بمحاولة الحكومة للاخلال بمنصبه كشيخ شمر الاعظم فقد ضرب الحصار على بغداد في ايلول 1833. وبدا مقاتلوا شمر من مسافة نحو 20 او 30 ميلا بتوقيف كل القوافل والتجهيزات والمعلومات التي تقصد العاصمة. كان الحصار في بادىء الامر مزعجا قليلا فقط، ثم اشتد بعد ذلك حتى استولت شمر على كل المراكز الخارجية التركية حول المدينة[3]. وبنتيجة هذا الضغط المتزايد طلبت القوات التركية وسكان الارياف اللجوء الى داخل البلدة.وقد جعل الحصار بغداد في اشد الضيق، فأمر علي رضا باشا قائده العسكري

[1] وزارة الهند: ل/ب اندس/9، رسائل سرية... الجزء 7ل، تايلر الى الدائرة السياسية رقم83 في 1833/10/24.

[2] وزارة الهند: ل/ب انرس/ 9 رسائل سرية.. الجزء 51.

[3] وزارة الخارجية: 113/195 بغداد، تشير الى الدارة السياسية رقم 56، 1833/7/29.

محمد باشا بترك حملته الجنوبية.

عاد محمد باشا الى العاصمة ومعه نحو 5000 رجل، لكنه لم يستطع كسر حصار شمر. واخيرا تنفست بغداد الصعداء حين ترك صفوق الحصار بعد ذلك. ان مقاتلي شمر المعتادين على الغارات البدوية السريعة لم يكن لديهم الانضباط اللازم لمواصلة هذا الحصار الطويل. يضاف الى ذلك انه في نفس الوقت تقريبا احتاج حليف صفوق يحيى باشا والي الموصل الى مساعدته في الشمال [1]. لكن صفوق قبل مغادرته هدد بغداد بحصار جديد. وما ان رفع الحصار حتى ارسل علي رضا باشا فورا جيشا لمهاجمة شمر على طريق الموصل. وحين اتصل الجيش التركي اخيرا بشمر دحرهم في معركة حاسمة[2].

ان والي بغداد، الذي سبق له ان امسك في كماشة حصار شمري، رغب ان يتحاشى تكرار كارثة سنة 1833 لقد توقع حصارا اخر من جانب شمر سنة 1834 فطلب مساعدة عشيرة عنزة. وكانت عنزة مستعدة كل الاستعداد لقبول عرض علي رضا باشا لان الاحتلال المصري لسورية سنة 1832 قد ارغمها على الخروج من ديرتها الاعتيادية في بادية الشام والدخول الى الجزيرة وفي الاحوال الاعتيادية

---

[1] لوريمر: الجغرافية، الجزء الاول، أ ب، ص 1311.

[2] العزاوي: تاريخ العراق، الجزء السابع، ص28.

كان على شمر والحكـومة العثمانية ان تتعاونا لمقاومة هجرة عنزة الى الجزيرة. لكن للاسباب التي سبق شرحها رحب علي رضا باشا بعـنزة ومنحها مراعـي شمر الغنية اذا ساعدته في التغلب على صفوق بـن فـارس. ولما رأى صفوق مقـاتلي عـنزة البـالغ عددهـم 35000 ينتظرون ضرب أي هجوم لشمر على بغداد فقد حكم عقلـه واحتفـظ بعشيرته في العراق الشمالي[1].

عندما زال خطر هجوم شمر اخبر علي رضا باشا رؤساء عـنزة ان الحـاجة الى خدماتهم انتهت. لكن العشيرة رفضـت العـودة الـى ديرتها الـى الجانب الغربي من الفرات، وادعت انها قـامت بواجبـها وهي تطلب الان المكافأة الموعود بها. ولاجل تأكيد هذا الطلب نقلـت العشيرة خيامها الى مكان أقرب الى بغداد. وقد خاف علي رضا باشـا مغبة وجود نحو 35000 مقاتل عنزي غضبان معسكرين على مقربـة من عاصمته، فدعا تابعه الشمري الشيخ شلاش لمساعدته. وقد صـدع بهذه الاوامر الوالي العثماني وحرك محاربيه نحو بغداد. وفي الوقـت نفسه اخذت صفوق العزة بعشيرته فنسى مصاعبه مع شـلاش وعلـي رضا باشا وارسـل 2000 رجل لقتال عنزة لكن بالرغم مـن عـزم قـوات العثمانيين وشمر وشجاعتهم، انتصرت عنزة بتفـوق عددهـا وقتلت شلاش وحاصرت بغداد ونشرت الفوضى في انحـاء الجزيـرة.

---

[1] فريزر: الرحلات ص272

وعشيرة عنزة المنتصرة اعادت عبور الفرات سنة 1835 وتركت شمر مرة اخرى مسيطرة على الجزيرة[1].

خلال مدة سبعة عشر عاما ارتفع صفوق بن فارس من زعيم صغير سنة 1818 حتى اصبح اقوى شيوخ الجزيرة سنة 1835. وقد لقب " سلطان البر " أي ملك البادية وحكم اقساما من العراق وسورية وتركية الحديثة[2]. اصبح اسمه مخيفا ونزواته نافذة وكلمته قانونا. كان حاميا لعشائر صغرى عديدة، وحليفا لوالي الموصل، جابيا للضرائب في مئات القرى، ومسيطرا على طرق القوافل، ومحاربا مشهورا. وقد اسندته قبيلة متحدة رات فيه الزعيم الصنديد. وهكذا بلغ صفوق اوج عظمته.

---

1 كالسابق ص 271-274

2 العزاوي: عشائر العراق، الجزء الاول ص 153-156

سياسة الحكومة في الحكم المباشر

حملة رشيد باشا سنة 1835

قبل سنة 1835 كان الشيخ البدوي من طــراز صفــوق متــاكدا بصورة معقولة من المحافظة على قوته خلال سنوات طويلة قادمة. لكن لسوء حظ صفوق ان السنوات الاثنتي عشر التاليــة اصبحــت مــلأى بمآزق غير متوقعة ادت الى اضعاف مركزه كقوة يحسب لها حساب في الجزيرة. في سنة 1835 اخذت ولاية بغداد تشعــر بثقــل الاصـــلاح الاداري العثماني بكل ثقله.

كان عهد السلطان سليم الثالث (1789- 1807) البداية التــــي يمكن اعتبارها عهد الاصلاح " الحديث في الامبراطورية العثمانية. وقد تركزت جهوده على اصلاح المدارس والخدمات الطبية، والاهم من ذلك الجيش العثماني. بدات الحركة بحماسة شديدة، لكن هــذه الاصلاحــات التـــي كثيرا ما استخدم فيها مستشارون اوربيـــون اصبحــت بمضـــي الوقت محدودة الاثر. وفي سنة 1807-1808 حــدث تمــرد محــافظ افضى الى خلع سليم الثالث وقتله بعد ذلك.[1] وبموت سليم الثالث فقــدت

[1] ستانفورد شاو: بين القديم والحديث: الامبراطورية العثمانية، الســلطان ســليم الثــالث 1789-1807 (كمبريدج 1971).

حركة الاصلاح العثماني نشاطها وبقيت خامدة نحوا من عشرين سنة حتى شعر محمود الثاني ان العناصر الرجعية في داخل الامبراطورية لابد من القضاء عليها قبل الشروع بالاصلاح. وبدأ عمله باستخدام عدة جماعات مدربة تدريبا عسكريا اوربيا للمساعدة في ازالة فرقة الينكشارية المتفسخة. وقد قتل كل الينكشارية في الاستانة ووحداتهم المختلفة في الولايات[1] لكن جهود محمود الثاني الاصلاحية لم تقتصر على الجيش، بل ان كل الاوقاف الدينية وضعت تحت رقابة الدولة، واستعيدت كل المنح الاقطاعية التي اعطيت خلال القرون القليلة الماضية. ولم يكف السلطان المصلح ان يحقق هدفه في تركيز سلطته في الاستانة، بل كان عليه ان يكسر شوكة الحكام المستقيلين في الولايات[2].

على اثر انتصار الجيش المصري على الامبراطورية العثمانية سنة 1832 شن محمود الثاني حملات عسكرية مباشرة على الحكام المستقلين في شمال العراق الذين رفضوا دعم جهوده العسكرية. فوالي الموصل كوالي بغداد قبل نحو خمس سنوات، وضع تحت السيطرة الادارية العثمانية المباشرة سنة 1835 حين حل محمد باشا

---

[1] رودريك هـ. ديفدس: الاصلاح في الامبراطورية العثمانية 1856 –1876 (برنستن 1963)ص 23–26.

[2] برنارد لويس: بروز تركيا الحديثة (لندن 1961) ص80–81.

اينجه بيرقدار محل الاسرة الجليلية المتغطرسة سابقا[1]. وحدثت تغييرات جسيمة اخرى حين خرج رشيد باشا الصدر الاعظم السابق من ديار بكر على راس قوة عظيمة سنة 1835[2]، وتحرك نحو ماردين فضرب المدينة الثائرة، ثم مضى جنوبا الى الجزيرة. وكجزء من حملات على الحكام المحليين المستقلين اغرى رشيد باشا الشيخ صفوق بالقدوم الى معسكره بوعد الامان واعتقله مع ولده الشاب فرحان[3].

بقي صفوق وفرحان معتقلين في الاستانة نحوا من ثلاث سنوات. وهذه المدة من الغياب الاجباري سجلت عهدا خاصا مهما في تاريخ شمر. ففي خلال اربعين سنة تقريبا تأقلمت شمر تدريجيا للعيش في منطقة تتضمن مدنا كبيرة وحكومة مركزية متزايدة القوة. وقد مرت ثقافة شمر البدوية بتغييرات متعددة بنتيجة الاتصال المتنامي.بالثقافة المتوطنة.

هيأ الاعتقال الاجباري لرئيسي شمر في الأستانة مثلا معينا كيف ان الثقافة المتوطنة تنفذ خلال الثقافة البدوية. يحتمل ان اراء الشيخ صفوق البدوية وهو زعيم ناضج داهية، لم تتغير بحكم بقائه في

---

[1] سليمان صائغ : تاريخ الموصل(القاهرة 1924) ص310-311.

[2] لونغريغ : اربعة قرون من تاريخ العراق، ص285.

[3] روس: بغداد الى الحضر(في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية)،9،ص456 .

الاستانة، لكن قوة البلاط العثماني وثروته لاشك انهما اثرا في نفسه. وخلافا لابيه، يبدو ان فرحان تأثر بصورة محسوسة بزيارته. درس فرحان في مدرسة عثمانية حيث تعلم الكلام بالتركية وتذوق العادات والملابس التركية. وقد احب العيش في امارته، ووجد كما يبدو تلائما مع الثقافة التركية[1].

وفي الحقيقة ان النتيجة المهمة للسنوات التي قضاها صفوق في الاستانة هي ان شيخ شمر وافق على مساندة السلطان ضد المصريين في كل الحروب التالية. وبعد ان قدم هذا الوعد سمح الباب العالي لصفوق ان يعود الى الجزيرة[2]. ولولا زعامة صفوق القديرة لأضاعت شمر الجرباء معظم قوتها السالفة في سلسلة منافسات عشائرية. وكما سيظهر بوضوح في الفصول الاتية كانت الزعامة القوية ضرورية جدا للعشيرة المتحدة المتنفذة[3].

على اثر اعتقال زعيمها المفضل سنة 1835 عادت العشيرة الى نشر الفوضى في انحاء الجزيرة من الفرات الى دجلة. وفي اثناء غاراتها سنة 1835 دمرت شمر المزارع الخصبة حول بلدة تكريت

---

[1] بلنت: العشائر البدوية ص231.

[2] ادوارد متفورد: مسيرة برية من انكلترا الى سيلان قبل اربعين سنة (لندن1884) ص252–253.

[3] وزارة الهند ل/ب اند س/9، رسائل سرية ... حلب، ويري الى بونسنبي، 12/3 1836.

على دجلة[1]. وعندما كان صفوق في الاستانة ايضا استانفت المعارك التقليدية بين عنزة وشمر سنة 1836. وهذا القتال بالرغم من تدخل القوات المصرية ضد عنزة، وجعل السفر والتجارة في وادي الفرات صعبا الى اقصى حد.

حكم محمد بن فارس على مايقدر ب 12 الف عائله بصفته الرئيس الاعلى لشمر من قبل الحكومة بينما كان اخوه معتقلا في الاستانة. وفي سنة 1836 صرح رحالة اوربي إن فرق العبدة والاسلم والعليان وزوبا ايدت الشيخ محمد [2] لكن في اواخر 1837 اصبحت فرق متعددة مستاءة من الشيخ الذي تسنده الحكومة وتمردت[3]. وحين عاد صفوق الى الجزيرة سنة 1838 فقدت عشيرة شمر الوحدة التي تمتعت بها سنة 1835. وفي السنوات العشر التالية بذل صفوق قصارى جهوده لاعادة وحدة شمر.

بعد سنوات الاسر الثلاث الطويلة ايد صفوق السلطان ضد المصريين حين نشبت الحرب مرة اخرى بين هذين الخصمين. وقد أعيد صفوق لقاء تاييده رئيسا اعلى من قبل الحكومة. وبعد ان اصبح

---

[1] وزارة الهند ل/ب اند س/9، رسائل سرية ... حلب، ويري الى بونسنبي، 12/3 .1836

[2] كالسابق

[3] وزارة الهند ل/ب و س /9 رسائل سرية ... حلب ، ويري الى اللجنة السرية، .1837/11/15

معززا بتكريم الحكومة والدعم الرسمي فضلا عن الاعانة الضخمة التي يحتمل انه حظي بها، سرعان ماخضع هذا الرئيس الاعلى فرق شمـــر العاصية. واظهر دليلا اخرا على ولائه المجـــدد للعثمـــانيين فـــي اذار 1840. فقد غادرت شمر المدينة (جنوبي بغداد) وسارت الى الشمال نحو اورفة حيث ساعدت مجهود الحرب العثمـــاني بازعـــاج الحـــدود المصـــرية[1], ومع ان شمر لم تكن سوى شوكة في الجناح المصـــري، فان مجرد اشتراكها في القتال ضد المصريين دل على ان صفوق لـــم يعد صرف النظر عن طلب السلطان للمساعدة في فعل سنة 1832.

[1] متفورد : مسيرة بحرية ص252-257.

عهد تردد

1840-1845

تذبذبت العلاقات بين شمر والحكومة خلال السنوات القليلة التالية بين الصداقة المتينة والعداء السافر. حاول الشيخ صفـــوق بيـــن ســـنة 1840 و1845 ان يستعيد مركزه السابق كاقوى الزعماء العشـــائريين في الجزيرة. وبمضي الوقت وجد هذا الشيخ الشمري، الذي كان مـــن قبل متفوقا، ان من العسير السيطرة على العشـــيرة وممارســـة نفـــوذه الاعتيادي لدى الحكومة المركزية. يعود هذا التهافت الى ثلاثة عوامـــل عامة ادت الى هبوط السمعة الشخصية لرئيس مشايخ شمر.

اولا : يظهر ان صفوق اخل بمبدأ مهم لرئيس بدوي قوي. لقـــد نفر اقساما كبيرة من العشيرة[1].

ثانيا : حدثت مجاعة شديـــدة خـــلال الســـنتين 1845 و 1846 اضعفت العشيرة عموما فضلا عن استنزافها لـــثروة الشيـــخ صفـــوق الشخصية. وبدون موارد الثراء الملازمة للشيخ القوي. اضاع صفـــوق

---

[1] اوستن هنري لايارد: اكتشافات في خرائب نينوى وبابل، نشره هـــ و ف ساغس (لندن 1970) ص114.

اكثر نفوذه على العشيرة[1].

ثالثا : كنتيجة لضعف شمر وزيادة قوة الحكومة العسكرية استطاعت بغداد ان تسيطر سيطرة اقوى على شمر الجرباء. ومقدرة نجيب باشا الملحوظة في التدخل في شؤون العشائر الداخلية تعطي مثالا للهيمنة العثمانية المتزايدة في الجزيرة[2].

مع ان شمر قامت بغزوات صغيرة من 1840 – 1843 فان صفوق بقي عموما خارج مجرى الشؤون في الولاية وادت الدسائس السياسية بين والي بغداد والموصل بصورة محسوسة الى العلاقات المتوترة بين الحكومة وشمر[3].

بدأت الصعوبات بين علي رضا باشا والي بغداد ووالي الموصل عن قضية السماح اوعدم السماح للشيخ صفوق ان يستمر في حكم منطقة عنه على نهر الفرات[4]. وكان صفوق قد حصل على عنه في الاصل مكافأة لخدماته ضد الايرانيين في اول العشرينات من القرن الثامن عشر.

وافق علي رضا باشا كارهاعلى السماح لصفوق بالاحتفاظ بهذا

---

[1] كالسابق ص115-116.

[2] وزارة الخارجية 204/195 الموصل، رسام الى تايلر،1843/11/23.

[3] وزارة الخارجية 228/195 الموصل، رسام الى كاننغ، 1844/11/29.

[4] وزارة الخارجية 228/195 بغداد، رسام الى كاننغ، رقم 29،1846/9/15.

المنصب. لكن باشا الموصل الذي اراد عنه ان تكون له، احتج بمرارة على هذا القرار. وبعد مناقشة طويلة اقنع علي رضا باشا بعزل صفوق في اواخر 1841 او اوائل 1842 واسترجاع عنه منه ورد صفوق على ذلك بشن عدة غارات قرب نهر الخابور. وحصلت صعوبات اخرى للشيخ المطوق حين حاولت عدة عشائر الخروج من سيطرة شمر. وقد امل صفوق ان يحتفظ بولاء هذه العشائر، فارسل الشيخ فرحان الى بغداد للمفاوضة لعقد تسوية مع الوالي، ثم عاد الى منطقة الموصل ليجتمع بالعشائر المنفصلة وقد قام نامق باشا والي بغداد الجديد باعادة تعيين الشيخ صفوق رئيسا اعلى لشمر في تشرين الثاني 1843[1].

رغبة منه في الاحتفاظ بدعم الحكومة، قاد صفوق حملة ناجحة ضد عنزة قرب حران في ايار 1844[2]. لكن في خريف 1844 فقد صفوق مرة اخرى اعتراف الحكومة حين عين نامق باشا شيخا منافسا له لمنصب رئيس العشيرة الاعلى. وحاول صفوق انهاء هذا التحدي لسلطته كرئيس العشيرة باعادة توطيد علاقاته الودية مع والي بغداد.

ولم يكد يمر الوقت حتى حصلت الفرصة للرئيس الشمري الخاطيء لاسترجاع الدعم الحكومي. في خلال صيف 1844 قامت

---

[1] وزارة الخارجية 204/195 بغداد، تايلر الى رسام، 1843/11/28.

[2] ج ب باجر : النسطوريون وطقوسهم (لندن 1852) ص334.

عشيرة عنزة، التي طردت من ديرتها بكارثة حريق، بغـزو الجزيـرة طلبا للمرعى بعد ان عثرت على العشب اللازم لمواشيها بـدأت فـي الغارة بين بغداد والموصل[1].

طلب نجيب باشا ومحمد شريف باشا والـي الموصـل كلاهمـا مساعدة شمر لوقف غارات عنزة. وقد قبل صفـوق بسـرور طلـب الحكومة هذا وخرج الى الميدان بصحبة الف مقاتل شمري. واتصلـت شمر نهائيا بقوة عنزة التي تعد 20 الف مقاتل بقيادة الشيخ ادهـم بـن جحيش شمال غربي الموصل. واستطاعت شمر بمساعدة خيالة اكـراد يقودهـم بدر خان بك ان تطرد قوة عنزة الكبيرة الى الجنـوب نحـو تلعفر واسكي موصل[2].

بعد سلسلة من المراسلات الدبلوماسية حاول بها ادهم بن جحيش تحسين علاقاته مع والي الموصل، استؤنفت المعارك بيـن عشـيرتي عنزة وشمر في خريف 1844[3].

وفي اعقاب عدد من معارك غير فاصلة عادت عنزة الـى نـهر الارياف حول الموصل في اواخر 1844 واوائل 1845. وشعر ادهـم بـن جحيش بان عشيرته تواجه اشد المصاعب التي تفوق قدرتها فوافق

---

[1] كالسابق.

[2] كالسابق.

[3] كالسابق.

على شروط الصلح التي الزمت عنزة بالعودة الى البادية السورية ودفع اتاوة قدرها 15000 غنمة واكثر من 3000 بعير و 8 افـــراس. لكـــن اتفـــاق الصلح هذا لم ينه الصراع بين شمر وعـــنزة. فـــان صفـــوق، باوامر من محمد باشا، هاجم عنزة حين عبرت نهر الفرات واســـتولى على اكثر من 7000 غنمة. ورد ادهم بن جحيش على هـــذه الخديعـــة التي املاها العثمانيون بالغارة على انحاء نهر الزاب الاصغر واخـــيرا طردت شمر عنزة الى خارج ولاية بغداد الى البادية السورية في اواخر سنة 1845[1].

---

[1] وزارة الخارجية 237/195 بغداد راولنسن الى كاننغ، رقم 43، في 1845/10/1.

المعركة التي لابد منها

1846

قام صفوق واتباعه بالعديد من الغارات الصغيرة في اوائل 1846. وحدث اشد هذه الحوادث في تلول سنجار حيث قتلت شمر احد رؤساء اليزيدين وثمانية من مقاتليه[1]. ويظهر ان صفوق استعمل هذه الغارات للاحتفاظ برئاسته على مختلف افخاذ شمر. ومنذ عزله الاجباري من الجزيرة سنة 1835، تدهور تدريجيا وضع صفوق كالرئيس الاعلى لشمر الجرباء (وسلطان البر). ولم يحل خريف سنة 1846 حتى قام صفوق وقد هبط نفوذه وتاثيره بسرعة باخر جهوده لانقاذ وضعه السابق.

لكن خلال اثني عشر شهرا سقط شيخ البادية القوي سابقا قتيلا بيد قاتل عثماني. ومع ان حوادث السنة الاخيرة من حياة الشيخ معلومة لم يحاول الا القليل من المؤلفين، بل لم يحاول أي واحد منهم، شرح هذه الاعمال او تحليل نتائج مقتله على العلاقات بين شمر والدولة العثمانية. والبحث التالي يحاول ان يملأ هذا الفراغ بتقديم عدد من الملاحظات تشرح الأعمال التي عملها صفوق.

نقول في البدء ان شيخ شمر كان رجلا شديد الاعتداد بنفسه. فقد كان يرى نفسه شخصا قويا ومهما وحاول ان يحتفظ بالمركز الذي تمتع به في العشرينات والثلاثينات (من القرن التاسع عشر). كذلك يظهر انه كان يستاء من أي تجاوز على مزاياه الشخصية كزعيم بدوي وبطبيعة حاله رفض ان يخضع لرغبات عشيرته او الحكومة. ولاشك ان هذا الرفض نشا عن حقيقة تذكره العهد الذي شهدته عشيرة شمر كسيدة الجزيرة غير المنازعة. ولذلك لم يستطع الشيخ المسن ان يعدل مسلكه ازاء تدخل الحكومة في شؤون العشيرة[2].

ان حقائق الحياة في الجزيرة سنة 1846 تعطي اختلافا محسوسا لفكرة صفوق عن قوة شمر ودوره بصفته الرئيس الاعلى. لقد تغيرت الاحوال السياسية والاقتصادية في الجزيرة منذ سنوات العشرين والثلاثين (من القرن التاسع عشر). وفي مقدمة هذه الاتجاهات الجديدة الوجود الاداري العثماني النامي دائما مما زاد الضرائب على سكان الجزيرة من ريفيين ومدنيين ورحالة. وصحب الضرائب المرتفعة طلبات متزايدة لرشاوى ومدفوعات ادارية وهذه النفقات المرتفعة منعت صفوق من المحافظة على طراز المعيشة المطلوب من الزعيم البدوي

---

[1] وزارة الخارجية 228/195، الموصل، رسام الى كاننغ، رقم 32، 1926/8/10.
[2] وزارة الخارجية 272/195 بغداد، رولنسن الى كاننغ، رقم 19، 1847/10/27.

الكبير. وبالنتيجة تضاءل نفوذه على افخاذ عشيرة شمر المختلفين[1].

في السنوات العشر التي تلت نفاذها الابتدائي في المنطقة سنة 1831 لم تقم القوة العسكرية العثمانية، باستثناء حملة رشيد باشا الكبرى سنة 1835، بتحدي الحكام المحليين الصغار بصورة فعالة. ولكن خلال سنوات الاربعين اثر الجيش التركي تاثيرا متزايدا في المنطقة عن طريق حملاته الفعالة ضد الدول الكردية شرقي الموصل. وهو ان صفوق لم يكن الهدف المباشر لهذه القوة الجديدة فانه ولاريب، خشى من تعاظمها وحاول تدميرها باعماله العنيفة في سنة 1846 1847[2].

ان مجاعة شديدة بدات سنة 1844 ودامت سنتين عاقت صفوق ايضا في محاولته للاحتفاظ بالسلطة. فالجوع ارغمه على بيع حليته الشخصية ومواشيه لشراء حبوب لعشيرته، حرم الشيخ من ثروته. وحين يفقد زعيم بدوي ثروته فانه يفقد في الوقت نفسه نفوذه لدى عشيرته. وكما ذكر انفا تحدي الشيخ نجرس شيخ شمر المنافس الذي ايدته الحكومة ايضا صفوق واعمال الشيخ صفوق في السنة التي تلت ايلول 1846 سمحت له بتخصيص جهوده لتدمير مزاحميه واحياء ماضيه[3].

---

[1] لايارد : اكتشافات ص171.

[2] وزارة الخارجية 301/195 الموصل، رسام الى كاولي رقم 38، في 1874/7/26.

[3] لايارد : اكتشافات ص114.

في خريف 1846 تحركت شمر الى الشمال من بغداد نحو منطقة الموصل الهادئة. ولكن لما ظهر صفوق في العراق الشمالي تغيرت الاحوال بسرعة. بدات شمر فورا بنهب العشائر الصغيرة جنوبي حمام علي واوقفت المرور على نهر دجلة والغارة على القوافل في طريق حلب الى الموصل. واخيرا دخل صفوق الى منطقة نفوذ بدر خان بك الزعيم الكردي الثائر قرب جزيرة عمر.

ولما وصل صفوق الى منطقة امان نسبي ارسل ابنه فرحان حاملا بعض الهدايا القليلة ووعدا بتقديم هدايا اخرى للتفاوض مع نجيب باشا في بغداد[1]. امل فرحان ان يقنع الوالي باعادة تنصيبه زعيما حكوميا اعلى لشمر، ووافق نجيب باشا على تلبية طلب الشيخ الشاب. وبالخلع على فرحان اعاد نجيب باشا فعلا رئاسة شمر الى صفوق بدون الاعتراف بالشيخ المسن الذي يعلم انه محبوب حقا. بعد هذا التنصيب فقد نجرس تاييد الحكومة. وكذلك وعد نجيب باشا بارسال قوة عسكرية لمساعدة فرحان في المحافظة على الأمن في الجزيرة. ان عمل نجيب باشا الغريب شيئا ما تجاه عدوه المفترض الشيخ صفوق يمكن تفسيره بسهولة بحقيقة ان والي بغداد رغب تامين السلم في الجزيرة. وقد اختار ان يتعامل مع شمر ذات النفوذ على اساس انها

[1] وزارة الخارجية 301/195 الموصل، رسام الى كاولي رقم 38، في 1874/7/26.

تستطيع تامين الامن بين العشائر اذا استطاع احد ذلك[1].

يظهر ان المشاكل التي كانت تواجه صفوق في خريف 1846 كانت معقدة اكثر من تلك التي تجابه نجيب باشا. اولا كان على صفوق ان يحل مشكلة وحدة العشيرة. وكما يرى بعد هذا استعمل كل طريقة تخطر على البال لتحقيق هذا الهدف. ثانيا، كان على صفوق ان يبقى على صفاء مع الموظفين العثمانيين المختلفين لانه بدون دعمهم لايواجه غضبهم فحسب بل يفقد ايضا سطوة الاعتراف الحكومي. وعلى كل حال ان حوادث 1846 و1847 صورت بصورة واضحة مأزق شمر الجرباء في الجزيرة.

ان هذه العشيرة، وقد فرقت بين الحياة البدوية التقليدية والتاثير الجديد المتزايد لسيطرة الحكومة المركزية، طلبت ان تجري التعديلات اللازمة لبقائها قوة عظيمة ومتحدة وقد دار جوهر المشكلة حول قضية بقاء او عدم بقاء شيخ بدوي تقليدي مثل صفوق محتفظا بمركزه في زعامة عشيرته. والجواب على هذا السؤال كما اوضحته الحوادث التالية كان سلبيا.

مرة اخرى قرر صفوق، وهو الشيخ الذي كادت تعترف به الحكومة والمتمتع بحماية حليفه بدرخان بك، ان يعيد وحدة العشيرة

[1] وزارة الخارجية 272/195 بغداد، راولنسن الى كرولي رقم19، 1847/19.

تحت سيطرته بصرف النظر عن العواقب[1]. وكانت علاقاته الطائشة مع الثائر الكردي بدر خان بك تربك نجيب باشا الذي وبخه الباب العـــالي رسميا لاعترافه بفرحان رئيسا رسميا لشمر[2] أمل صفــوق ان يحصــل على رضا الدولة العثمانية بمعاملتهم باحترام وطلب دعمها العســـكري للقضاء على افخاذ شمر العاصية التي امتنعت عن الخضوع لسلطته بعد اعتراف نجيب باشا بفرحان زعيما اعلى.

في محاولة اخرى لاحباط العداء في داخل العشيرة دعا صفـــوق الشيخ نجرس الى مخيمه للبحث في مشاركتهما الرئاسة.

ارغم صفوق على الاعتماد على دعم الاتراك فمضى الى الشمال الغربي نحو ديرك المجاورة لديار بكر. وسرعان ما تجسمت مســـاعدة الحكومة اذ ان مشير ماردين ارسل 600 جندي لشد ازر احـــد ابنـــاء صفوق لاخضاع افخاذ شمر المتمردة. وقد اغتاظ عودة ومقاتلوه لمساندة الحكــومة للشيخ صفوق فاخذوا يغيرون على كل الجهات، وكانت تلعفر غربي الموصل ضحية لهجومهم. ومضى على هذا الفرع من العشـــيرة الى ابعــد من ذلك نحو الشرق فواصل غزواتـــه بطريقــة الضــرب والهــرب على شهربان وسائر الاصقاع[3]. وقاموا ايضا بغلـــق اكـثر

[1] محمد امين زكي : خلاصة تاريخ الكرد وكردستان(بغداد 1961) ص236-239.

[2] وزارة الخارجية 272/195 بغداد راولنسن الى كرولي رقم،1847/19.

[3] وزارة الخارجية 301/195 موصل، رسام الى راولنسن رقم 13، 1847/7/18.

طرق البادية المؤدية الى الغرب. وقد نشر عودة الفوضى الشاملة فطلب صفــوق مساعدة نجيب باشا ليوقفه عند حده. ووافق الوالي على ارسال مفرزة من الجنود الى صفوق[1].

غادرت بغداد مفرزة عثمانية بقيادة كنج اغا في اواخـــر تشريـــن الاول 1847 وقابلت صفوق في مخيمه على بعد ساعات قليلة خـــارج العاصمة. وتحركت القوة المشتركة نحو الجنوب واستعدت للقضاء على عودة المزعج. وقد بدا كل شئ مرضيا حين تقدم الشخص المطلوب الى بعد مسافة ملائمة للضرب. وقد اتحد فرحان بابيه مرة اخـــرى وقـــاد مفرزة من محاربي شمر الى المعركة بينما بقي صفوق فـــي المؤخـــرة بحماية حرسه الخاص. ويفترض ان كنج اغا قائد الجنود الاتراك بقـــي الى الوراء لمساعدة صفوق في حالة الضيق. ولما كان فرحان والقســـم الاعظم من شمر في طريقهم لمقابلة عودة حصلت الفرصة لكنج اغـــا لتنفيذ اوامر نجيب باشا السرية. وباشارة متفق عليها سلفا قـــام جنـــدي عثماني باطلاق النار على صفوق في ظهره وقطع راسه. ولم تمـــض ساعات قليلة حتى قبض نجيب باشا على راس (سلطان الـــبر) ولمـــا علم فرحان بموت ابيه هرب الى عشيرة عنزة وطلب حمايتها الانية[2].

من المناسب خصوصا ملاحظة طبيعة تدخل الاتراك في شـــؤون

---

[1] كالسابق

[2] وزارة الخارجية 301/195 الموصل، رسام الى كراولي رقم 38.

شمر. وجد والي بغداد نفسه لا يستطيع تحدي العشيرة عسكريا سنة 1847 بعد ان اقامت في الجزيرة نحو عشرين سنة، فحاول ان يضعف قوة شمر بوسائل غير مباشرة. ولاجل تحقيق هذا الهدف اعتمد نجيب باشا على شكل من سياسة المماليك العشائرية ونفذها الى النهاية.

يجوز انه اعتقد ان اغتيال صفوق يهيئ حلا لمشكلة شمر. لكن في نهاية الامر لم يكن ما حسمه سوى مشكلة صفوق. والحقيقة ان صفوق كان آخر شيخ شمري في القرن التاسع عشر شغل منصب سلطان البر " بلا منازع. وقد بلغت شمر بقيادته اوج قوتها العسكرية. ولسوء حظ شمر ان طمع صفوق الشخصي وعدم امكانه التكيف لاحوال متغيرة سبب سقوطه. وقد كان على صفوق للاحتفاظ بسلطته ان يحل مشكلتين اساسيتين :

(1) وحدة العشيرة و (2) التدخل المتزايد لسلطة الحكومة العثمانية المركزية. اخفق صفوق في الحفاظ على وحدة العشيرة وبدون تأييد عشيرة متحدة لم يكن شيخ شمر المسن ليستطيع ان يدرأ التحدي من جانب الوجود المتزايد الاداري والعسكري العثماني في الجزيرة. وفي احسن الاحوال، حتى مع وجود عشيرة متحدة، لم تكن جهوده ضد الاتراك سوى مجرد اجراء مؤقت لملئ الفراغ لان الفنون العصرية في نهاية الامر ومرور الوقت من شأنهما تقوية موقف الحكومة المركزية.

الفصل الثالث

عهد تعديل : تحفظ العلاقات

بين العثمانيين وشمر

1868 - 1848

في شتاء 1847 – 1848 تمتع نجيب باشا بانتصاره الحديث على شمر الجرباء. وخلال مدة قصيرة بدا وكأن الحالة في الجزيرة خاصة وفي العراق عامة قد هدأت لصالح الوالي التركي. والحقيقة ان نجيب قد ابعد الشيخ الشمري المشهور في القرن التاسع عشر عن مسرح التاريخ. لكن المعنى الحقيقي لهذا الحادث في ذلك الوقت كان واضحا[1]. وعند تحليل احداث العشرين سنة التالية من العلاقات بين شمر والعثمانيين يتضح كل الوضوح ان وفاة صفوق وعمل نجيب باشا لم يمنح العثمانيين النصر الكامل الذي ارادوه. وبدلا من تحقيق خوف البدو وتهدئة عداءهم للحكومة المركزية، جاء اغتيال الاتراك للشيخ صفوق لمجرد توسيع شقة الخلاف بين الطرفين.

واذا نظرنا الى ابعد من حوادث سنة 1847 نجد ان العقدين اللذين عقبا موت صفوق وقدوم مدحت باشا واليا لبغداد سنة 1868 ربما كانا من انسب وأهم العهود في العلاقات بين البدو والاتراك في ولاية بغداد[2] ففي هذا العهد بدأ الاتراك بوضع الخطوط الغامضة لسياسة عشائرية منتظمة غايتها الحد من غزوات شمر وسائر القبائل البدوية[3]. وفي

[1] وزارة الخارجية 272/195 بغداد راولنسن الى كرولي رقم،19، 1847/10/27.

[2] علي حيدر مدحت: مدحت باشا حياته وعمله(باريس 1908) ص14 –27.

[3] البرتين جويدة: مدحت باشا ونظام الاراضي في العراق الاسفل(في مجلة شؤون الشرق

هــذه الخطة عامل الاتراك البدو وكانهم مجرد متوحشين يجب ازالتهم من الولاية.

هذه السياسة الشديدة حلت محلها شيئا فشيئا طريقة اكـــثر تعقيــدا للتعامل مع العشائر البدوية. يضاف الى ذلك ان في عقـــدي الخمســـين والستـــين من القرن التاسع عشر شرعت الفنون الحديثة (التكنولوجية) بتأثير اثرها في العلاقات بين الاتراك والبدو. كيف استعمل الطرفـــــان هذه التجديدات الفنية ؟ ذلك ما يقدم احدى المشاكل الرئيسية في تحليـــل الصـــلات الشمرية - الحكومية. ويجب الاشارة هنا الى انـــــه حدثـــت خلال نفس المدة عدد من التغييرات في داخل عشيرة شمر.

الاوسط، رقم 3،المحرر البرت حوراني ((وثائق سنت انطوني رقم 16 (كربونديــل، بــلا تاريخ) ص112-114.

المواقف بين الاتراك وشمر

نعود الى احداث اواخر سنة 1847 لنجد نجيب باشا يتمتع بوضع قوي بعد اغتياله لصفوق بن فارس. لا ريب ان نجيب باشا قد اعتقد انه خفف من انتقاد الباب العالي حول اعترافه السابق بصفوق كرئيس اعلى لشمر وقيام صفوق بعد ذلك بالعصيان على المحسن اليه[1]. وفي الوقت الذي قضى نجيب باشا على احد خصومه الكبار فهو دون ان يشعر سمم علاقاته بسائر العشائر البدوية. كان الرأي العربي في اوائل عقد الاربعين يعتبر الموظفين الاتراك في ولاية بغداد رجالا خونة لا يوثق بهم.

كانت مواقفهم بلا ريب متأثرة بمثل هذه الاعمال كأغتيال الشيخ سليمان غنام رئيس العقيل من قبل الاتراك في اوائل الاربعينات. وقبل سنة 1847 فورا ابدى الرأي العربي تحسنا ملحوظا عن الاتراك. فالمعاملة الحسنة لزعيمين كرديين ثائرين، بدرخان بك امير بهتان وحليفه محمود خان امير موك، كما يظهر، دعت الى هذا التقدير. لكن بقتل الشيخ صفوق وتر نجيب باشا مرة اخرى ولاء العرب تجاه

---

[1] وزارة الخارجية 272/195 بغداد، راولنس الى كاننغ، رقم 19 في 1847/10/27

سادتهم الاتراك[1].

لا شك ان شمر رأت صفوق مذنبا بانتهاكه حرمة العرف الاساسي البدوي باغتياله ضيفه الشيخ نجرس بعد ان اعطاه صك الامان[2]. وقد اثارت خيانة صفوق رد فعل شديد بين اتباعه الشمريين فضلا عن العشائر البدوية الاخرى. في عرفهم كان الشيخ المهان يستحق نفس النهاية الخيانية التي اوقعها بالشيخ نجرس. لكن نفس هؤلاء البدو خالفوا قيام نجيب باشا بايقاع نفس العمل. فبصفته الممثل الظاهر لسلطة الدولة جاء الاستياء من عمله كاغتصاب لا داعي له لحقوق شمر[3].

---

1 كالسابق.

2 لايارد، نينوى (2)ص.

3 وزارة الخارجية 272/195 بغداد،راولنس الى كاننغ رقم 19،1847/10/27.

التحزب داخل العشيرة

بالاضافة الى سياسات نجيب باشا الاستغلالية حدثت ازمة رئاسة لشمر الجرباء بعد مقتل صفوق فمنعت العشيرة من ادراك قوتها الكامنة بتمامها خلال العقدين التاليين من السنين[1]. فطبيعة العشيرة البدوية اذا انقسمت الى عدد من الافخاذ، وكل فخذ له شيخ خاص، واقترن ذلك بالتحاسد البدوي المتواجد، تجعل من العسير جدا" الاحتفاظ بوحدة العشيرة.

ان وجود رئيس عام قدير يمتلك شخصية بارزة وبسالة حربية واحترام ابناء عشيرته يستطيع ان يسيطر على التنافسات الداخلية الى حد ما لكن حتى الرئيس المثالي، كما كان صفوق في ايام شبابه، يجد منصبه في احيان كثيرة موضع التحدي من رؤساء افخاذ مختلفين لكن صفوق نجح في توطيد وحدة شمر الى وقت قليل قبل وفاته.

ولاجل ان تبقى العشيرة قوية لا بد ان يرأسها زعيم متسلط. وهكذا اثبتت الزعامة القبلية القوية انها العامل الاساسي في الحفاظ على قوة شمر خلال القرن الذي عقب سنة 1850[2]. وآل محمد وهي الاسرة

---

[1] العزاوي تاريخ.

[2] ستين : شمر الجرباء ص17-20.

التي اخرجت عادة رؤساء شمر الجرباء الكبار، اصبحت منشقــــة بعــد وفاة صفوق. لم يكن احد ابناء صفوق يمتلك صفات ابيـــه ولذلـــك لـــم يستطع احدهم ان يحظى بدعم رجال شمر. كان فرحان، اكـــــبر ابنـــاء صفوق السبعة الاحياء، يمتلك على قدر الامكان افضل الصفات التـــــي تؤهله للرئاسة العليا. وكان يتمتع بعلاقة متينة مـــع الـــولاة العثمـــانيين المختلفين وخدم اباه مدة طويلة كمساعده الوثيق[1]. لكن فرحان اســـتذوق ايضا" بعض نواحي الثقافة التركية باعدت عنـــه الكثـــير مـــن رجـــال عشيرته البدوية[2].

كان لسائر اولاد صفوق ايضا القابلية لتحدي فرحان في زعامـــــة شمر. كان هؤلاء الاولاد عبد الكريم وعبد الرزاق وفـــارس ومعجـــون وعبـــد الرحمن وهذال[3]. ومثلما احدث قدم عبد الكريـــــم ثـــاني ابنـــاء صفوق اقوى تحدي لفرحان. كان عبد الكريم محاربا باسلا ومحبا للحياة البدوية في القنص والغزو فترأس جماعة قوية في الستينات من القــــرن التاسع عشر. وكانت نفسيته المتهيجة تضعه دائما علــــى خـــلاف مـــع السلطات التركية[4].

---

1 لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص309.

2 اوستن كهنري لايارد: اكتشافات بين خرائب نينوى وبابل (نيويورك 1853)ص 332.

3 فون اوبنهايم: البدو (الجزء الاول) ص 145-155.

4 بانت: البدو ص 226-235.

اما ابناء صفوق الاربعة الاخرون، وهم اصغر سنا"" من اخويهم الكبيرين، فلم يؤثروا بصورة محسوسة في شؤون شمر الا في مدة متأخرة من القرن. والمنافسات، كهذه التي جرت بين ابناء صفوق كثيرا ما كانت تخل بوحدة العشائر البدوية. وشمر الجرباء، التي تمر لحسن الحظ بأزمة رئاسة خلال العقود الثلاثة من حكم صفوق، جوبهت فجأة بالحقائق الكالحة لهذه المشكلة القديمة. وبنتيجة ذلك انغمست العشيرة في المنازعات المرة والصراعات الداخلية التي دامت اكثر من خمسين سنة[1]. وفقدان التماسك هذا اضعف شمر كثيرا".

لاول مرة منذ قدمت شمر الى الجزيرة توجد معلومات كافية عن هذه الفترة من الزمن لتشخيص الافخاذ المختلفة التي تؤلف العشيرة. في سنة 1850 بينما كان اوستن هنري لايارد عالم الاثار الربيطاني الشهير الذي اصبح فيما بعد سفيرا لدى الباب العالي، يسافر خلال الجزيرة، سجل اقسام العشيرة كما يلي : (1) الخرصة (وتتضمن البريج، الفداغة، العليان، الغشم، الهضبة)، (2) عبدة، (3) الصايح (وتتألف من الصبحة والاصلم)، (4) الثابت، (5) العامود، (6) التجافغة، (7) آل غضا، (8) الحريرة، (9) الغفيلة، و (10) الزميل[2]. وكل فخذ ينقسم ايضا الى عدد من الوحدات الصغرى ولكل واحدة رئيس الاسرة.

---

[1] فون اوبنهايم: البدو (الجزء الاول) ص144-148.

[2] لايارد: بابل ص 260.

وهؤلاء الرؤساء ينتخبون واحدا منهم زعيما لمجموعتهم. وكل الافخاذ هاجرت الى الجزيرة من نجد. وفي منتصف القرن التاسع عشر، حين كملت هجرة شمر الجرباء نسبيا"، ضمت القبيلة نحو عشرة افخاذ.

ان الفخذ الواحد كانت تعوزه القوة الكافية للسيطرة على المنطقة. ولذلك كان لا بد لشمر الجرباء من التماسك بغية اثبات قوتها ونشر سطوتها الشاملة. وهذا التماسك يرجع الى زعامة عشائرية مركزية قوية يتولاها آل محمد المعروفين عموما" باسرة الجرباء. وحصل آل محمد على قوتهم ونفوذهم من حقيقة ان الشيخ مطلق الزعيم المشهور قاد شمر الى خارج نجد الى العراق خلال حروب الوهابيين في نهاية القرن الثامن عشر. وبنتيجة صفات القيادة التي امتاز بها هو واعضاء اسرته الذين خلفوه، استمرت اسرة مطلق على ترأس مقدرات القبيلة برمتها[1].

من الناحية النظرية يمكن لرئيس أي فخذ ان يتزعم القبيلة بشرط ان يحظى بالاحترام اللازم والولاء العسكري. لكن الحقيقة ان شيوخ العشيرة المهمين في القرنين التاسع عشر والعشرين خرجوا من آل محمد. يضاف الى ذلك ان كل رئيس اعلى لشمر منذ سنة 1847 الى اليوم الحاضر جاء من سلالة صفوق بن فارس. ومع ان آل محمد لم يتركوا زعامتهم على شمر فان المنازعات على الرئاسة حدثت في

---

[1] العزاوي: عشائر العراق، الجزء الاول، ص131-132.

احيان كثيرة. وكانت المنازعات تشمل في كل حيـــن تقريبـــا الاخـــوة والاعمام واولاد الاخوة وابناء العم[1].

مع مراعاة رئاسة آل محمد، كثيرا" ما حولت افخاذ شمر ولاءهـــا من رئيس الى آخر. كانت ثم اعتبارات مهمة متعددة تعين الرئيس الذي يتبعه الفخذ. وكانت في مقدمة القضايا التساؤل عـــن الرئيـــس الـــذي يستطيع تهيئة افضل الفرص للغزو المربح. والعامل الاخر المهم فـــي هذا الصدد هو أي رئيس يستطيع منع الحكومة المركزية من التدخل في شؤون العشيرة. والاعتبارات الاخرى تدور حول شخصيـــة الرئيـــس وعدد المؤيدين له وثروته[2]. وفي النتيجة كان شكل الولاء الذي يربـــط افخاذ مختلفة برئيس شمر الاعلى تختلف حسب قوة الافراد المختلفيـــن من آل محمد ممن اتت بهم الظروف الى زعامة القبيلة. وفـــي خـــلال السنين الطويلة برز شكل من الولاء في داخل العشيرة. وسيبحث فـــي هذا الشكل على الوجه الكامل في الفصول التالية.

---

[1] مكي الجميل: البدو (بغداد 1957) ص276.

[2] لايارد: نينوى ص 124.

شؤون شمر والعثمانيين

1851 - 1847

بعد ان اغتال ابراهيم اغا الصفوق هرب فرحان بن صفوق من بغداد قاصدا" ديرة عنزة في البادية السورية[1]. ومع ان العشيرتين كانتا عدوين لدودين، فان أي فخذ او رجل من عنزة او شمر على خلاف مع عشيرته يستطيع ان يجد الامان لدى العشيرة الاخرى[2]. وهكذا فر فرحان من غضب نجيب باشا ونفس عشيرته التي حاولت قتله في الثأر لاغتيال الشيخ نجرس.

في كانون الاول 1847 بعد نحو شهرين من موت الشيخ صفوق، بقيت شؤون شمر الداخلية مرتبكة. وهذا النزاع الداخلي افضى الى غارات متتابعة نشرت الفوضى في قسم من الجزيرة. ولما كان نجيب باشا لم يستطع تأمين الامن بين افخاذ شمر المتمردة بالقوة العسكرية فقد رغب ان يسيطر عليها بوسائل اخرى. استعمل الخطة التقليدية للتفريق والتغلب واعترف بالشيخ عودة رئيسا" اعلى معينا" من

---

[1] وزارة الخارجية 272/195 بغداد، راولنسن الى كاننغ، رقم 19، 1847/10/27.

[2] لايارد: بابل ص260.

الحكومة[1].

استمرت المنازعات داخل العشيرة طول سنة 1848. وغارة كبرى من جانب عنزة في ربيع تلك السنة اوقفت المعارك الداخلية المستمرة في شمر[2]. كان يقود عنزة اثنان من الزعماء المحنكين في الغارات السابقة هما ادهم بن جحيش وابن هذال، فعبرت من البادية السورية الى الجزيرة. وما ان تمكنت من الاتصال بشمر في الجانب الشرقي من الفرات حتى بدأ الغزو بسرعة. وحسب المعتاد كان الزراع المتوطنون وسكان القرى الصغيرة والقوافل المارة بالمنطقة هم الذين تحملوا اعظم الضرر في اثناء القتال[3].

في امل ان يستفيد من الاحوال المضطربة في الجزيرة، قدم نجيب باشا دعمه لعنزة واعاد تعيين فرحان بن صفوق، وفرض ضرائب ثقيلة على المزارعين. ولما يصبح ضغط الضرائب اثقل مما يحتمل فان كثيرا ما كانت العشائر وحتى المناطق برمتها تثور على الحكومة[4]. وقد استطاع نجيب باشا بطريقة ما ان يجمع ثروة خلال اشغاله منصب الوالي بفرض الضرائب الباهضة على اهالي العراق. وخططه

---

[1] وزارة الخارجية 301/195 الموصل،رسام الى كاننغ، رقم 24،1848/5/15.

[2] كالسابق.

[3] وزارة الخارجية 301/195 الموصل،رسام الى كاننغ،رقم 38،1848/10/30.

[4] باثر: التزام(المعلمة الاسلامية) المجلد الثالث ص1154-1155.

الاستغلالية اثرت تأثيرا" محسوسا على منطقة الهندية جنوبي بغداد حيث خمنت الضريبة السنوية قانونيا" بمبلغ 17800 ليرة. وفي سنة 1849 اعطى نجيب باشا تلك الناحية بالالتزام الى الشيخ وادي رئيس قبيلة زبيد الذي رفع الضريبة اعتباطا" الى 105000 ليرة[1].

ادت مضاعفة الضريبة خمسة اضعاف الى ثورة عشائر الهندية المسالمة عادة وطرد الشيخ وادي البغيض الى خارج المقاطعة. وخفض نجيب باشا ايضا" فعاليته كوالي حين ألقى تسوية سلمية بين عبدي باشا قائد الجيش في ولاية بغداد والعشائر الثائرة. وفي الوقت نفسه تمردت شمر مرة اخرى تحت رئاسة الشيخ عودة ونشرت الفوضى التي اعتادت عليها على جانبي نهر دجلة[2].

في اعقاب نزاعه العلني مع عبدي باشا، فقد نجيب باشا منصب الولاية. وقد قام الباب العالي في امل تفادي الصعوبات المالية التي اخلت بالعراق على عهد الوالي السابق، بمنح عبدي باشا زيادة كبيرة في راتبه[3]. كلف الوالي الجديد بدون تعقل قوة عسكرية كبيرة لاخضاع العشائر المتمردة في المستنقعات الغربية، وقد امل ان يسيطر على العشائر الثائرة باقامة سد على رأس شط الهندية لقطع تجهيز الماء عن

---

[1] لوريمر: الجغرافية، الجزء الاول، آب، ص 1361-1362.

[2] وزارة الخارجية 301/195 الموصل،رسام الى كاننغ رقم 3، 1848/11/19.

[3] لوريمر، الجغرافية، الجزء الاول، اب،ص 1361-1362.

هذه المنطقة الضحلة. انتهى المشروع بالفشل حين تدفقت سيول الماء واكتسحت سداده العديدة[1]. وبنتيجة تحمس عبدي باشا المفرط ضعف الهدوء ضعفا شديدا في المنطقة. وحين نشب تمرد كردي في شمال شرقي العراق في اوائل 1851، اسرع الوالي بارسال معظم قواته النظامية لمعالجة الوضع. وبينما كان الجيش التركي يطارد الاكراد الناهبين انتشر عصيان العشائر في العراق الجنوبي. وفي هذه الازمة اليائسة التفت عبدي باشا الذي لم يكن لديه سوى قوات حكومية قليلة، الى الشيخ فرحان طالبا" مساعدته[2].

طلب الوالي من الشيخ فرحان ان ياتي برجال عشيرته الى العراق الجنوبي لتأديب القبائل العاصية. وشمر التي كانت دائما على استعداد للعمل، اسرعت الى المنطقة جنوبي بغداد وبدأت تغزوها بدون تمييز. جذب اهتمامها الخسيس الصديق والعدو. وسبب هذه الغارات هو ان عبدي باشا قعد عن تجهيز الشمريين وعوائلهم بالمؤن الكافية، فقامت شمر باحثة عن الطعام بغزو العديد من مخازن الحبوب على جانبي الفرات. وتحملت الحلة خصوصا الدمار من هذه الغارات[3].

---

1 كالسابق.

2 وزارة الخارجية 334/195 بغداد،كمبال الى كاننغ،رقم 41،1850/11/20.

3 كالسابق.

شعر رجال شمر ان عبدي باشا غير قادر على وقف نشاطاتهم فنهبوا الانحاء من بغداد على طول الخط الى اسفل الكوت. وقد تفاقمت هذه الاعتداءات حتى حدا الامر بعبدي باشا في النهاية ان ينكر اتفاقه التام مع شمر. وشعر فرحان ايضا انه مني بالخيانة فتنصل من تفاهمه مع عبدي باشا. وحتى لو اراد فرحان ان يوقف الغارات غير المسموح بها لما استطاع السيطرة على رجال عشيرته شمر[1].

اثبتت نتائج اول محاولة لاستخدام شمر كجنود نظاميين على انه، لكي يكونوا فعالين، يجب ان يسيطر عليهم بصورة وثيقة. وقد تعلم عبدي باشا لاسفه ان الاستفادة الفعالة من المساعدين البدو يجب ان يراعى فيها : (1) يجب ان لا تصحبهم عوائلهم الى المعركة، (2) يجب ان يجهزوا بالمؤن، (3) يجب منع غزواتهم منعا صريحا[2].

خلف نامق باشا عبدي باشا واليا لبغداد سنة 1852. مثل الكثيرين من اسلافه كان الوالي الجديد يعتقد ان القوة العسكرية تحل جميع الصعوبات العشائرية. وبعمله الشديد وسلوكه القاسي ازاء زعماء عشائريين مختلفين، حرض نامق باشا مرة اخرى العشائر الجنوبية على الثورة. اعلن وادي بك شيخ زبيد الحرب على الباشا الجديد واتخذ مقره

[1] وزارة الخارجية 334/195 بغداد، كمبال الى كاننغ،رقم 50،1850/12/18.
[2] كالسابق.

في المسيب على الفرات. وقد انضم اليه رجال من عشائر الدليم وعنزة، فقامت زبيد بالنهب حسب مشيئتها، وحولت انتهاكاتها العراق الجنوبـــي مرة اخرى الى صحراء قاحلة. جوبه نامق باشا مثل سلفه بمشكلة اعادة الامن فلم ير بدا من استدعاء الشيخ فرحان[1].

علم فرحان بموقف نامق باشا الضعيف فأمده تلبيــة لطلبــه بـــ 2000 محارب شمري. وعلى غرار ذلك كان نامق باشا يعلـــم بســـوء تصرف شمر سنة 1850 حين استخدموا من قبل كمساعدين، وقد حاول منع اعادة تلك الصعوبات. وفي هذه المرة اوعـــز الـــى شمـــر بـــترك عوائلهم في الجزيرة الشمالية[2].

اعد فرحان رجال عشائره لمسيرة سريعة نحو جنـــوب العـــراق. ومع ان شيخ شمر قد رغب، ولاريب ان يساعد الوالي المطوق، فـــان رجال عشيرته خططوا لاستغلال احوال الفوضى في جنـــوب العـــراق لشن غاراتهم الخاصة. وخطط فخذ الزيدان ايضا لانقاذ الشيخ ســـميط. زعيمهم المسجون، الذي حبس في السجن ببغـــداد منـــذ ســـنة 1851. وكانت النتيجة ان نامق باشا لم يحصل الا على مساعدة ضئيلة من شمر في القضاء على التمرد في جنوب العراق[3].

---

[1] العزاوي: تاريخ العراق الجزء السابع ص97.

[2] وزارة الخارجية 367/195 بغداد،كمبال الى كاننغ،1852/4/26.

[3] كالسابق

خلال السنوات المضطربة في اوائل واواسط الخمسينات (من القرن التاسع عشر) اخبر المسافرون والقناصل الاوربيون ان ولاية بغداد باسرها تقريبا قد قاست الامرين من فقدان السيطرة الادارية الناجحة[1]. وكانت المشكلة المستعصية عن السيطرة على العشائر العربية المخلة بالامن مصدر ازعاج لكل الولاة. وكما شرح سابقا، نبعت تمردات العشائر في القسم الجنوبي من الولاية خصوصا تمردات المنتفق وعشائر زبيد من الضرائب المرهقة. وان القضاء على العسف الاداري كان من شانه معالجة هذه المشكلة.

غير ان مشكلة السيطرة على العشائر البدوية كشمر كانت اشد تعقيدا. فخلافا للعشائر الزراعة المتوطنة في جنوب العراق، كانت طبيعة البدو تتطلب من رجال العشيرة ان يثبتوا شجاعتهم في غارات الغزو المتكررة بسبب هذا الشكل الطبيعي لم يكن في استطاعة الحكومة ان تصلح أي تعسف مثل الضرائب الفادحة، وتتوقع من البدو ان يوقفوا غاراتهم.

على اثر موت الشيخ صفوق سنة 1847 حاول كل وال عثماني ان يسيطر على العشائر البدوية المتمردة بمجرد قوة السلاح لكن الجيش العثماني اخفق في دحر العشائر البدوية القوية لانه كان صغيرا ولا

---

[1] راجع لايارد: بابل ونينوى، و ك لوفتس: رحلات وبحث في بلاد كلدة.وشوشن(لندن 1857)، هرمزد رسام: آشور وبلاد نمرود (نيويورك 1897).

يملك التدريب الكافي. كانت الاعمال القاسية لهؤلاء الولاة على اختلافهم، وقد استبدت بهم فكرة مقابلة القوة بالقوة، تغيظ رؤساء البدو مرة بعد اخرى. بدلا من التعامل مع الرؤساء كرجال اشراف، كان الموظفون العثمانيون يعاملونهم بشدة واحتقار كانهم منبوذون وثوار فيهينون مشاعرهم البدوية. وقد قال احد الموظفين البريطانيين يصف سياسة نامق باشا العشائرية بانه :

((بأعمال قسوة لامبرر لها ابدا... يثير رؤساء العشائر واحدا فواحدا، حتى ليتجمعوا في اتحاد معاد للحكومة. ومنذ ذلك الحين، باظهاره احيانا ضعفا عسكريا، وبقبوله في اوقات اخرى اساليب الخيانة ومواقف الشدة في الكلام طول الوقت مع التعالي في السلوك مما هو لبدو الصحراء الشيء الذي لايمكن تحمله فيصبح اهالي الولاية العرب في حالة من الانزعاج والسخط الشديد حتى ليستلزم الامر قوة 50000 رجل لاخماد المعارضة واعادة الهدوء))[1].

هبط مستوى الامن في الولاية من 1853 الى 1856 حين ارسلت ولاية بغداد عددا كبيرا من القوات للقتال في حرب القرم[2] في سنة 1856 بدات احوال الاتراك في العراق في دركها الاسفل. في

---

[1] وزارة الخارجية 367/195 بغداد كمبال الى مالمسبري، رقم 14، في 1852/1/20.

[2] رسام: آشور ص42.

السياسة العشائرية الفاسدة القائمة على جنون مزدوج من القـــوة التـــي كانت دون الكفاية ومن الحكمة الادارية الضعيفة الزائدة عن اللزوم، قد دمرت ولاية ذات قابليات غنية. كما عبر عنها القنصل البريطاني العام: (لايكاد يوجد ميل واحد من هذا الفضاء الواسع خارج الحدود القريبـــة للمدن الكبرى يمكن ان يقال فيه انه تحت السيطرة الحقيقيـــة للســـلطات التركية.)[1]

---

[1] كالسابق.

نتائج رئاسة شمر العاجزة

ان سنوات السيطرة الحكومية الادارية والعسكرية الضعيفة كــان يمكن ان تهيئ فرصة طيبة لشمر الجرباء لمد قوتــها ونفوذهــا لكــن مشاكل شمر الداخلية منعتها من الاستفادة من هذه الفرصـــة الذهبيــة. لاجل ان تستطيع العشيرة استغلال ضعف العثمانيين كــان يجــب ان تكون لها زعامة عشائرية قوية مكافحة فمثل هذا التوجيه كان يحتمل ان يزيد ايرادات العشيرة بفرض مدفوعات "خاوة" اعظم علــى العشــائر والبلدان المجاورة. ولكن لسوء حظ العشيرة لم يظهر فيها زعيم قــوي ليرث تراث صفوق بن فارس.

تسنم الشيخ فرحان، اكبر ابناء صفوق ومساعده الموثــوق بــه، منصب الزعيم الاعلى، لكنه لم تكن لديه الصفات التي جعلت من والده رئيسا ناجحا. لم يكن فرحان يملك فصاحة والده وبراعتــه فــي اللغــة العربية ولا شجاعته في المعارك. ولاشك ان حقيقة عدم قيامه فــي أي وقت بشن غارات على الاتراك او على العشــائر الاخــرى احبطــت جاذبيته كزعيم بدوي[1].

يظهر فرحان بن صفوق من المصادر المعــاصرة انــه رجــل

---

[1] لايارد:بابل ص 322.

حصيف حاول ان يحافظ على علاقات ودية مع رجال عشيرته ومع منافسيه الحكوميين. نبع شعوره المعتدل وعدم ميله نحو الحياة البدوية المتسمة بالغزو واصطناع الشجاعة من عاملين، اولا، جاءت امه من بغداد، خلافا لعادات البدو. ثانيا، حينما كان صبيا رافق فرحان والده الى الاستانة حيث تشرب بالثقافة التركية. هذان العاملان كلاهما حالا دون فعاليته كرئيس لشمر[1]

ان مشاركته الوثيقة مع واليي بغداد والموصل اضعفت أكثر من ذلك مقدرة فرحان لتوحيد القبيلة. عدا عدة فترات قصيرة من عدم الحظوة، كانت الحكومة تدعم فرحان كزعيم شمر المفضل لديها بعد تنصيبه رئيسا اعلى سنة 1846. ومقابل دعم الحكومة كثيرا ما اعاد فرحان البضائع المنهوبة ومنح عونه لتاديب افخاذ شمر المتمردة[2].

وضع فرحان تعاونه الوثيق مع والي بغداد على اساس اعتبارين عمليين :

1- بصفته رئيسا اعلى كان يقبض راتبا حكوميا شهريا من شانه المحافظة على ولاء افخاذ مختلفة من شمر.

2- استعمل منصبه الرفيع كرئيس اعلى مؤيد من الحكومة لزيادة جاذبية رئاسته المحدودة. وقد اقر فرحان بمشاكل رئاسته سنة

---

[1] بلنت: البدو ص 376.

[2] رسام:آشور ص42.

1850 حين اعترف بعدم تمكنه من توحيد عشيرته المنقسمة على نفسها[1].

عدا فقدانه شخصيا لصفات الزعيم المتوهج فـان التنـابذ داخـل العشـيرة الناشئ عن اغتيال الشيخ نجرس سنة 1847 منـع فرحـان ايضا من توحيد شمر. فالافخاذ التي ايدت نجرس رفضت اتباع الشيـخ فرحان بسبب تورطه غير المباشر في الغيلة الخيانية. وتـورط الشيـخ ايضا اغاظ الافخاذ التي ايدت نجرس[2].

هذه الاعمال اغاظت فخذ الزيدان الذي ايد نجرس ضد الصـائح فخذ حجر. يضاف الى هذا التنافس داخل العشيرة الدسائس المسـتمرة لشيوخ اخرين من شمر ضد فرحان التي جعلت من العسـير عليـه ان يوحد العشيرة[3]. وبمرور الوقت قدم عبد الكريم بن صفوق الذي تمتـع بشهـرة متزايدة بسبب حبه للغزو وعداوته للسلطات العثمانيـة اعظـم تحـد لمنصب فرحان في رئاسة العشيرة وخلال عقـد الخمسـينات جلب فخذ عبدة القوي تحديا ثانيا لرئاسة الشيخ فرحان العليا[4].

بين سنة 1853 و1856 شنت افخاذ شمـر المختلفـة غـارات

---

[1] لايارد: بابل ص 322.

[2] وزارة الخارجية :الموصل،رسام الى بلور رقم 21،1862/12/22.

[3] رسام: آشور ص45.

[4] كالسابق.

صغيرة. ولاشك ان هذه الحوادث لاتستحق الذكر تفصيلا، لكنها كمجموعة ولدت حالة مستمرة من الخلل في امن الجزيرة. وقد اتجهت السياسة الحكومية الى الشيخ فرحان للسيطرة على افخاذ عشيرته بغية وقف غاراتهم على انحاء الجزيرة المستوطنة. لكن بالنظر الى شعبيته المحدودة لم يستطع الشيخ فرحان ان ينفذ طلبات الحكومة، واستمرت غارات شمر بدون رادع. القوافل والمسافرون والزراع المتوطنون والعشائر البدوية الرحالة الضعيفة – كلها كانت ضحايا لابتزازات شمر. ولم تكن الاحوال المختلفة في الجزيرة مثلا بمعزل عن اخفاق الحكومة في السيطرة على العشائر العربية. والحقيقة ان اغلب انحاء ولاية بغداد قاست نفس الصعوبة [1]

[1] وزارة الخارجية 304/195 الموصل،رسام الى روز رقم(1) في 1853/1/3. رسام : آشور ص 45.

شؤون شمر والعثمانيين

1861-1857

ان قلة القوات العسكرية خلال حرب القرم عاقت جـهود محمـد رشيد باشا للمحافظة على السيطرة على الارياف العراقية[1]. لكـن لمـا

انتهت الحرب سنة 1856 شـرع العثمانيون بالاهتمام بمشكلة العشائر الرحالة بطريقة اكثر تنظيما شيئـا ما وبصورة دائمة. وقـد تركـزت سياستهم الجديدة على فكرتين : (1) انشاء قوة عسكرية اقـوى لقمـع تمرد العشائر، و (2) استخدام الفنون التكنلوجية الحديثة لتحييد مزايـا البدو التقليدية في المواصلات والتنظيم. ومع ان هذه كانت خطوة فـي الاتجاه الصحيح فان السياسة العثمانيـة الجديدة انما مثلت مرة اخـرى النظرة التقليدية السلبية، وهي فرض القصاص وليس منـح المكافئـات والمغريات الملائمة للبدو لاجل وقف غاراتهم. وهكذا منذ 1856 الـى سنوات الستين المتقدمة حاول ولاة بغداد السيطرة على شمر عن طريق التاديب العسكري.

شعر العثمانيون ان بدو الجزيرة يؤلفون ناحية واحدة فقـط مـن المشكلة العشائرية العراقية فوضعوا منهاجا واسع الاساس للسيطرة على

رعاياهم المتمردين. كانت عشيرة عنزة القائمة ديرتـــها غربـــي نـــهر الفرات اول هدف لهذه السياسة الجديدة. حاول العثمـــانيون ان يصـــدوا هذه العشيرة المزعجة بالقوة العسكرية، فبدأوا باعادة الســـيطرة علـــى طريق القوافل بين حلب وبغداد الذي يساير نهر الفرات. واستعملت دير الزور التي في منتصف الطريق تقريبا بين حلب وبغداد نقطة انطـــلاق منطقية للسيطرة على عنزة[2].

لاجل ضمان استمرار الادارة اصبحت دير الزور سنجقا مســـتقلا في ايالة (ولاية) حلب سنة 1854. وبعد سنة من حملات عشائريـــة غير ناجحة، حل يوسف باشا، الموظف الحكومي، محل الحاكم المدنـــي يوسف بك شريف[3] وقد شيد يوسف باشا خلال مدة حكمه حصنا قويـــا شن منه حملات ناجحة متعددة على عنزة. وفي السنوات التالية ساعدت حصون اخرى شيدت على طول طريق حلب - بغداد علـــى الســـيطرة على العشائر العربية الثائرة[1].

استفاد رشيد باشا من خبرة يوسف باشا في دير الزور فانشأ عدة اصلاحات في العراق كان الهدف منها تحسين السيطرة على العشـــائر العربية. اعاد والي بغداد باوامر مباشرة من الاســـتانة، تنظيـــم قـــوات

---

[1] العزاوي: تاريخ العراق(الجزء السابق)ص107-108.

[2] وزارة الخارجية 377/195 بغداد، كمبال الى سترانفورد دي ريد كليف، 1858/2/15.

[3] الويس موسل:الفرات الاوسط: سفرة طوبوغرافية(نيويورك 1927)ص3.

الولاية العسكرية هيأ(النظام الجديد)، كما يفترض، للوالي جيشا قويا. وفي سنة 1857 استعمل والي بغداد عدة بدع تكنلوجية ليصـــد تفـــوق البدو في حركتهم وتماسكهم العشائري ومقدرتهم على القتال. وادخـــال سفن المدافع على دجلة في السنوات الخمسين الاخـــيرة (مـــن القـــرن التاسع عشر) احبطت فورا مقدرة شمر في الغارة على السفن التجارية التي تسير في النهر بين بغداد والموصل[2].

مزية تقليدية عسكرية بدوية اخـــرى، وهـــي المباغتـــة، اخـــذت تضمحل بانشاء اسلاك البرق ســـنة 1861. فخـــلال ســـنوات حـــالت المواصلات البطيئة دون شن العثمانيين حركات عسكرية منظمة علـــى نطاق واسع ضد شمر. بادخال البرق (التلغراف) اصبح في الامكـــان تنظيم هجوم عسكري يستخدم جنودا من حلب واورفة وماردين وديـــار بكر والموصل وكركوك. وهكذا في اواخر سنوات الخمسين لم تواجـــه شمر ارادة اقوى للسيطرة على العشائر العربية المتمردة فحســـب بـــل واجهت لاول مرة تحديا من جانب جيش افضل تنظيما يمتلـــك اســـلحة محسنة ومواصلات ممهدة[3].

---

[1] العزاوي: تاريخ العراق (الجزء السابع) من 122/120.

[2] لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق ص293-294.

[3] وزارة الخارجية 521/195 بغداد،كمبال الى بلور رقم8، 1862/2/26.

تغير العلاقات بين العثمانيين وشمر

1858-1857

استفاد رشيد باشا وخلفه عمر باشا من تلك الوسائل الجديدة فحاولا وقف تخريبات شمر. ولاجل تحقيق هذه الغاية عينا الشيخ فرحان مسؤولا عن اعمال عشيرته. ومع ان فرحان كان في السابق مسؤولا عن سلوك شمر فقد ادعى ان عدم مقدرته على توحيد العشيرة منعته من وقف غارات شمر العديدة[1].

خلال هجرة شمر الى الشمال في شباط 1857 اقنع رشيد باشا الشيخ فرحان بزيارة بغداد حيث بحث في الشؤون العشائرية مع السلطات التركية. وفي اثناء هذا الاجتماع حث رشيد باشا الشيخ فرحان على توقيع اتفاق تحريري يلخص مسؤولياته بصفته رئيسا اعلى معينا من الحكومة[2].

نص هذا الاتفاق على المقابلة بالمثل بين الشيخ فرحان ورشيد باشا. ان مجرد فكرة دخول موظف عثماني في اتفاق يفترض انه يكون ملزما مع رئيس بدوي تدل على تغيير محسوس في الموقف. قبل اعوام

---

[1] رسام: آشور ص45.

[2] وزارة الخارجية 521/195 بغداد، كمبال الى ستراتفورد دي ريد كليف.

قليلة كان القمع عن طريق العمل العسكري هو الذي يكـــون السياســـة الحكومية الوحيدة الملائمة ضد (البلاء البدوي). وهكذا للمرة الاولـــى نرى واليا عثمانيا يمنح شمر عرضا منصفا بعيد المدى. وهذا الاتفـــاق على التعيين نص على وضع قوة مؤلفة من خمســـمائة جنـــدي حـــامل بندقية فتيل تحت اوامر رئيس شمر الاعلى وهؤلاء الجنود، ولو انـــهم يدفع العثمانيون رواتبهم ويجهزونهم، يقيمون مع شمر[1].

مقابل جنود الحكومة وافق فرحان على السيطرة علـــى غـــارات شمر بدون تمييز. ومعنى هذه المسؤولية الجديدة ان فرحان كان عليـــه ان يوقف استيفاء " الخاوة "" (الاتاوة) ويتنازل عن اتــــاوات القـــرى ويبدا باسترجاع الممتلكات المنهوبة. وقد علم رشيـــد باشـــا ان وقـــف استيفـــاء الخاوة والغزو يؤدي الى هبوط ايرادات شمر فـــزاد راتـــب الشيخ فرحان الشهري. ومع ان هذا الاتفاق المعقد قد انهار، كما يظهر، في السنة التالية فانه بالرغم من ذلك قد سجل بداية جديدة في العلاقـــات بين العثمانيين وشمر[2].

في اعقاب اتفاق سنة 1857 بين رشيد باشا وفرحان ادخل عمـــر باشا خلف الوالي السابق، مشروعا اخر للسيطرة على شمر الغازية. لقد ساءه ان يكون عليه ان يدفع الى شمر شهريا راتب " ابتزاز " فخطـــط

---

[1] كالسابق

[2] كالسابق.

عمر باشا لتقوية الشيخ فرحان باعطائه مفرزة دائمة قوامـــها ثلثمائـــة محارب خيال شمري مؤيدين باموال الحكومة. يقود هذه القوة رؤســـاء عشيرة شمر ويقبضون رواتب مماثلة لضابط تركي من نفس الرتبـــة. ومقابل مؤنهم وخيولهم ورواتبهم الشهرية يتولى هؤلاء الجنـــود غـــير النظاميين القضاء على نشاط العشائر المتمردة فـــي انحـــاء الولايـــة. والغـــرض من هذه القوة ان تحقق هدفين : (1) لقـــد اعطـــت الشيـــخ فرحان سلطة السيطرة على افخاذ شمر العاصيـــة، و(2) خلقـــت قـــوة اضافية يمكنها ان تساعد والي بغداد على تامين الامن[1].

والحقيقة ان خطط رشيد باشا وعمر باشا لم تكن الحـــل الكـــامل لوقف غارات شمر لكنها مثلت تحولا كبيرا فـــي السياســـة العشائريـــة العثمانية السابقة. واهميتها الاولية تقع في حقيقة ان الحكومة العثمانيـــة للمرة الاولى قدمت الى الشيخ فرحان اتفاقا منصفا شيئا ما وعلى اساس المقابلة بالمثل , وقد مضى الوقت الذي كان يعامل شمر به كمجرد دود يجب محقهم[2]

بعد امد قصير من عقد اتفاق 1858 واصلت الحكومة معاملتـــها الودية للشيخ فرحان اذ عهدت اليه مسؤولية حراسة خط البرق الممدود حديثـــا الذي يمر بديرة شمر من نهر الخابور الـــى الـــزاب الاكـــبر.

---

[1] وزارة الخارجية 577/195 كمبال الى سترا تفورد دي ريد كليف، رقم 8، 1858/2/4.

[2] وزارة الخارجية 673/195 بغداد، كمبال الى بلور،برقية رقم 2.

وقبض الشيخ فرحان لقاء خدماته مكافاة شهرية قدرها 3600 قرش او مايساوي تقريبا راتب 30 خيالا غير نظامي. واتفـــاق خـــط الـــبرق، كالمشروعين السابقين ولو انهما لم يكونا نافذين في المـــدى الطويـــل، سجل مع ذلك تغييرا في السياسة العشائرية العثمانية.

عهد غموض

1862 – 1860

بعد 1860 لقيت شمر نوعين من الاعمال العثمانية لوقف غارات العشيرة :

(1) التهديد بعمل عسكري مباشر اصبح ذا معنى متزايد بسبب الاصلاحات التنظيمية والتجديدات التكنولوجية المدخلة في سنوات الخمسين الاخيرة. فالتحصينات العسكرية على طول نهر الفرات، والنظام الجديد، والبرق، وسفن مدافع اخرى على دجلة، كلها عززت القوة العسكرية العثمانية.

(2) الضغط غير المباشر، يجعل الشيخ فرحان مسؤولا عن سوء تصرف العشيرة واعادة الاموال المنهوبة. وبنتيجة ذلك دارت العلاقات بين شمر والعثمانيين من 1860 الى 1868 حول جهود الحكومة المدبرة للسيطرة على شمر وكفاح العشيرة للاحتفاظ بمزاياها البدوية التقليدية.

لاجل تخفيف غارات شمر، ولو على مقياس ضئيل، كان لا بد من ايجاد جيش عثماني اكبر. ولكن في سنة 1860 لم تكن اصلاحات الحكومة العسكرية التي تمت في عهد رشيد باشا وعمر باشا قد جربت في ميدان الحرب. ومثال ذلك التجديدات التكنولوجية، كالبرق

وبواخر دجلة التي تشرد بصورة محسوسة قوة الحكومة المركزية، لـــم تستعمل من قبل ضد شمر. لذلك حين تسلم نامق باشا منصبـــه واليــا لبغداد سنة 1861 لم يــرث سوى سياسة عشائرية غير مجربة. والشيخ فرحان اكثر من نامق باشا، شغل موقفا غير واضح سنة 1861[1].

شعر فرحان ان موقفه كرئيس اعلى صـــدر اولا مـــن اعـــتراف الحكومة وليس من اغرائه ومقدرته الشخصية كما كان الامر الاعتيادي بين زعماء البدو، فواجه لذلك مهمة تكاد تكون خـــارج الامكـــان فـــي السيطرة على افخاذ شمـــر المختلفة. يضاف الـــى ذلـــك ان منافســـات عديدة داخل العشيرة، كما سبق لنا الاشارة اليها، عقدت اكـــثر واجـــب فرحان في الاحتفاظ بدعم الحكومة. خلال هذه المدة زادت (شعبيـــة) الشيخ عبد الكريم وهيأت تحديا متزايدا لزعامة فرحان[2].

كانت المسألتان العسيرتان على التدقيق اللتـــان يتوقـــف عليـــهما مستقبل العلاقات بين العثمانيين وشمر : (1) الاثر الفعال للاصلاحـــات العثمانية، و (2) جاذبيـــة زعامة الشيخ فرحان، وقـــد جـــاء الجـــواب عليهما سريعا. مع ان فـــرحان قد حاول تقييد نشاط شمر في الغزو فانه اخفق في نهاية الامر فـــي تنفيذ هذا الجزء المـــهم مـــن اتفاقـــه مـــع

---

[1] العزاوي: تاريخ العراق، الجزء السابع ص 134–138.

[2] كلمان هوارت: تقرير عن عشائر العراق العربية (في المجلة الاسيوية الفرنسية، سلسلة 7، 13 (1878) 215–240.

الحكومة. وقد حدثت نقطة تحول رئيسية في العلاقات بين شمر والحكومة في سنة 1861 حين ساعد الشيخ فرحان واخوه عبد الكريم يصحب كل منهما الفخذ التابع له، باشا (متصرف) كركوك. فقد كانت عشيرة العبيد، عدوة شمر لزمن طويل، تغزو جوار كركوك، وطلب الحاكم مساعدة شمر في السيطرة عليها[1].

خاف العبيد من عدوهم شمر فاسرعوا بالموافقة على شروط صلح الحاكم. ولذلك لم تمس الحاجة الى شمر. وبالرغم من هذه النهاية السريعة لغارات العبيد، حصلت المتاعب حين طلب الشيخ فرحان عودة فخذ الثابت المتمرد الذي التجأ الى العبيد الى معسكره. وحين رفض خليفة الهذاب شيخ فخذ الثابت العودة، أرسل فرحان عبد الكريم للقضاء على التمرد وقد مات خليفة الهذاب في المعركة التالية، فعاد فخذ الثابت المغتاظ برئاسة (الجراش) وعبر دجلة ونهب المنطقة حوالي الموصل. وكانت تخريباته التي اغلقت طريق النهر بين الموصل وبغداد وادت الى احراق اكثر من ثلاثين قرية قد استمرت طويلا الى سنة 1862[2].

[1] وزارة الخارجية 717/195 الموصل، رسام الى بلور، رقم 9، 1861/10/28.

[2] وزارة الخارجية 717/195 الموصل، رسام الى بلور رقم 42، 1862/1/15.

الحملة العثمانية

لسنة 1862

نظم نامق باشا حملة عسكرية مدبرة لوقف غارات شمر وطردهم من الجزيرة. ولاجل ان ينفذ هذا المشروع العظيم اســتعان بمحــاربين غير نظاميين من زبير والعبيد وعشائر المنتفق[1] للانضمام الى قـــوات حكومية من بغداد واورفة والموصل وتكريت[2]. وكان مجمـــوع افـــراد الحملة 16000 رجل. مثل هذه الحملة الحكومية المركزة لم يسبق شنها ضد شمر منذ حملة رشيد باشا سنة 1835- 1836. وتعين نتائج هـــذا الهجوم على شمر هل تساعد الحكومـــة أم لا تســاعدها الاصلاحــات العسكرية والتجديدات التكنلوجية لسنوات الخمسين في الســيطرة علـــى العشائر البدوية[3].

في اوائـــل اذار 1862 هجمـــت المفـــارز الحكوميـــة المختلفـــة والمساعدون البدو بقيادة تقي الدين باشا وشبلي باشا وابراهيـــم باشـــا،

---

1 عباس العزاوي: تاريخ العراق، الجزء السابع ص140.

2 وزارة الخارجية 717/195 بغداد، القنصل العام الى بلور رقم 26.

3 وزارة الخارجية 717/195، الموصل، رسام الى بلور رقم 13، 1862/4/28.

على شمر في المعركة التي كثرت الدعاية لها من الموصـــــل. خشـــي زعماء شمر نتيجة هذه الحملة لانها اذا قدر لها النجاح فمثل هذا الهجوم المركز يطرد العشيرة الى خارج الجزيرة. تحركت العشيرة فورا، فـــي امل تفادي الكارثة، للاستفادة من احدى مزاياهـــا العســكرية البدويـــة التقليدية. لما كان الهجوم قد بدأ في اواسط اذار، علم رؤساء شمـــر ان حرارة البر تكون بعد مدة قصيرة اشد مما يســـتطيع تحملـــه الجيـــش العثماني. فالقوات الحكومية لن تتمكن من اطعام خيولـــها واعطاءهـــا الماء، وبذلك لن تستطيع ملاحقة البدو ولابد لها ان تعود الى حصونها[1].

رغبة منها في استغلال هذه المزية، انتقلت شمر بعيدا في عمـــق السهب متوجهة الى نهر الخابور. وفي نفس الوقت تفـــادت المعـــارك المركزة حيث تتغلب الخيالة العثمانية. خلافا لستراتيجية الخداع الشمرية كان انتصار العثمانيين العسكري يتوقف على مقدرة قادتهم لارغام شمر على خوض معركة حاسمة. وقد علم القادة العثمانيون ان السهب يصبح بسرعة حارا لاتتحمله خيولهم فكان لديهم اقل من شهر واحـــد لايقـــاع الهزيمة بشمر[2].

خلال نحو من ستة اسابيع انسحب الشيخ فرحان وعبـــد الكريـــم سميط غربا نحو نهر الخابور. وكلما تحركوا الى عمق السهب تبعـــهم

---

[1] وزارة الخارجية 771/195 بغداد،القنصل العام الى بلور رقم 10،1862/3/26.

[2] وزارة الخارجية 717/195 بغداد، القنصل العام الى بلور رقم 25، 1862/4/4.

الجيش العثماني حتى ارغمه الحر الشديد على ترك المطـــاردة. وفـــي اواخر نيسان اوقفت كتائب الموصل وبغداد وكركوك مجـــهودها الـــذي تبجحت به وعادت الى مواطنها[1]. وهكذا نــــرى السياسـة العشائريـــة العثمانية حتى مع مزايا الاصلاحات العسكرية والتجديدات التكنلوجيـــة وقد اخفقت في التغلب على مزايا البدو العسكرية التقليدية المبنية علـــى المخادعة والتفوق في الحركة.

فشلت الحملة ايضا بسبب المنافسة المستمرة بين القواد العثمانيين الثلاثـــة تقي الدين باشا وشبلي باشا وابراهيم باشا، وقد اراد كل منـــهم ان تكون له اليد العليا. في اعقاب هذه المشاحنة لـــم يســـتطع الجيـــش المؤلف من 16000 رجل سوى احراز نصر واحد على فخـــذ واحـــد منعـــزل من شمر. في هذا اللقاء فاجأت الخيالة العثمانية ومســـاعدوها من العبيد رجال العشيرة الغافلين حين خيموا ليلا. وقد ارتعـــب الفخـــذ فهرب تاركا كل ما يمكن للمهاجمين[2].

هذا الفشل البين اثر كثيرا، ولاريب، على افكار الولاة العثمانيين. ومـــع ان حملة الحكومة قد اخفقت وان شمر لم تتمتع بنصر واضـــح. لقد شعر الشيخ فرحان وزملاؤه من رؤساء العشيرة ان الحملة العسكرية العثمانية قد تحدت تفوق شمر مباشرة. فلاول مرة خلال سنين طويلـــة

---

[1] كالسابق

[2] كالسابق.

تجمعت القوات العثمانية على هدف واحد. وعلم الشيخ فرحـــان انــه، بتحسن قليل فقط في حركة العثمانيين وقيادتهم وقــوة نيرانـــهم، يتـــهيأ للحكومة ان تطرد شمر الى خارج الجزيرة[1].

ان السلم غير المرضي الذي فرضه نامق باشا علـــى شمـــر دل ايضا على وضع العشيرة الضعيف. نبعت قوة موقف نامق باشـــا مـــن حقيقة ان شمر في منتصف الصيف بقيت معزولة قرب نـهر الخـــابور وممنوعة من الوصول الى اسواق الحبوب في الولايـــة. واذا حـــافظت الحكومـــة على هاتين الحالتين فـــان العشـــيرة لاتســـتطيع ان تتمـــون بالحبوب المهمة جدا ولا ان تهاجر الى الجنوب للفـــرار مـــن الشتـــاء القارس[2].

طلب فرحان الشروع بمفاوضات السلم بان قدم عرضا لدفع اثمان كل الاموال المنهوبة خلال السنوات التسع الماضية. وبدأت المباحثـــات الجديـــة حين قدم الى بغداد ممثل شمر الشيخ سميط وشرع بالمباحثـــة مع نامق باشا وانتهت هذه المفاوضات حين قام الشيخ فرحـــان نفســه بالرحلة الطويلة من نهر الخابور الى بغداد لاجل حسم التســـوية وفـــي النهاية وافقت شمر على دفع تعويض باهظ قـــدره 40000 راس غنـــم و3000 راس بعير ومائتين من الخيل. وبالرغم من تخفيض المطـــالب

---

[1] وزارة الخارجية 717/195 بغداد، القنصل لعام الى بلور، رقم 22، 1862/5/21.
[2] كالسابق.

بعد ذلك فان شمر تحملت عبئا فادحا وحتى نيسان 1863 لـــم يســـتطع فرحـــان حتى مع مساعدة 800 فارس عثماني، ســـوى تســـليم 3350 راس غنم و 1391 بعيرا[1].

شكل جمع بقية التعويض مشكلة مزمنة لان الشيخ عبـــد الكريـــم ادعى ان فخذه يمتلك حماية خاصة من هذه الابـــتزازات واتبـــع عبـــد الكريـــم رؤساء افخاذ اخرون هددوا الشيخ فرحـــان بالانتقـــام اذا لـــم يمنحوا هم ايضا معاملة خاصة. وهكذا مرة اخـــرى جوبـــهت رغبـــة فرحان في تنفيذ واجباته تجاه الحكومة بمجازفة استبعاد قسم كبير مـــن عشيرتـــه. وفي نفس الوقت عقدت مركزه على وجه اشد منافسة اخيـــه عبد الكريم المتجددة فضلا عن معارضة فخذ الصائح.

---

[1] العزاوي: تاريخ العراق، الجزء السابع، ص 140-141.

عشيرة شمر هادئة

1862 - 1868

اخفقت الحملة العسكرية لسنة 1862 في طرد شمر من الجزيرة لكنها اثرت تاثيرا مهدئا على غارات العشيرة في السنوات الخمس بعد 1862 هبطت هبوطا جسيما حسب غارات شمر على القرى الزراعية والعشائر الرحالة الضعيفة والقوافل التجارية. لقد شعرت العشيرة، ولاريب بان جهد الحكومة الابتدائي ضدها اذا كان قد اخفق فان اية حملة مقبلة قد تدمر شمر. وهكذا حتى الافخاذ المتمردة بزعامة الشيخ عبد الكريم امتنعت عن معاداة الحكومة المركزية وكان الغزو الكبير الوحيد بين 1863 - 1868 بين شمر وعدوها القديم عنزة. وثمة ثلاثة تقارير معينة تصف الصعوبات بين شمر وعنزة في سنة 1865 و 1866 و 1868[1].

غادرت شمر في اوائل الخريف مراعيها الصيفية في الجزيرة الشمالية وبدات مسيرتها الطويلة نحو منازلها الشتائية جنوبي بغداد. وفي نفس الوقت تقريبا خرجت عنزة من مراعيها الصيفية في بادية

---

[1] وزارة الخارجية 803/195 بغداد، كمبال الى ليونز رقم 41، 1866/10/17.

الشام ومضت ايضا الى الجنوب على سواحل نهر الفرات وفي اواخــــر الخريف كانت العشيرتان متجاورتين على مسافة اميال قليلــــة جنوبـــي بغداد[1]. وحاولت العشيرتان، وهما تتمتعان بحب الغزو ان تنهب احداهما مخيمات الاخرى ومواشيها. وكان الخاسرون الحقيقيون فــــي غــزوات 1865 و 1866 و 1868 الزراع المتوطنون الذين دمرت زروعهم من قبل العشيرتين النهابتين[2].

---

[1] لوريمر: الجغرافية الجزء الاول، ا ب، ص 1436-1437.

[2] العزاوي: تاريخ العراق، الجزء السابع، ص180.

سبعون سنة في الجزيرة

عشيرة شمر سنة 1868

ان الحقائق المعنية التي تصف هذا او ذاك من رؤساء شمـــــر او تلقي الضوء على العلاقات بين العشيرة والحكومة مهمة بلا شك، لكنها قلما تشرح التاريخ الكامل للعشيرة في الجزيرة. من اهم نواحي تحليـــل تاريخ شمر الجرباء في الجزيرة هي كيف ان عشيرة بدويـــة خالصـــة خرجت من جزيرة العرب قد تكيفت للحياة تحت تاثير حضارة مقيمـــة. في سنة 1868 او بعد سبعين سنة تقريبا من وصول شمر الى ولايـــة بغداد، يظهر ان العشيرة بلغت حدود توسعها الاقليمي.

شغلت ديرة شمر الاراضي بين نهر دجلة في الشرق، والفـــرات والخـــابور في الغـــرب، والســـفوح العاليـــة فـــي الشمـــال، والارض المنخفضة جنوب بغداد. وكانت العشيرة تنجز هجرتها السنوية في داخل هذا المحيـــط الجغرافي. اما من الناحية السياسية فـــان شمـــر كـــانت تستوفي الخاوة (الاتاوة) من العشائر الضعيفة والقرى المتوطنـــة فـــي المنطقة[1]. ومـــن الناحية العسكرية كانت لها القوة الكافية للغارة علـــى كل الطرق التجارية الحيوية التي تمر بديرتها. ولم يبق لدى شمر امكان

---

[1] لوريمر: الجغرافية الجزء الاول، ا ب، ص 1361.

محاصرة بلدة كبيرة كما كانت تفعل في سنوات الثلاثين والاربعين (من القرن التاسع عشر) لكنها كانت لاتزال تستطيع تحدي جيوش الحكومة[1].

خارج تدخل الحملات العسكرية الحكومية بين حين واخر بقيت شمر القوة العسكرية السائدة في الجزيرة. وسيطرتها العسكرية سمحت لها ان تستوفي الخاوة من القبائل العربية الضعيفة على حواشي ديرتها. وكانت الجحيش خصوصا تدفع الخاوةالى فخذ البريج، والجبور في الخابور الى الشيخ فرحان، وبلدة تلعفر الى فخذ الصائح. ومثال ذلك عشيرة طئ النازلة شمالي الموصل كانت ايضا تدفع الخاوة الى شمر[2]. واليزيديون المعروفون بالبسالة في الحرب كانوا يقاومون تجاوزات شمر ويتحاشون اداء الاتاوة الى القبيلة البدوية القوية[3]. وبالرغم من سيطرتهم العسكرية كانت شمر لاتزال تخشى غزوات قبيلة عنزة التي كانت تشن الغارات على الجزيرة كل سنة تقريبا[4].

بقي حب شمر للغزو قويا في الستينات كما كان حين هاجرت العشيرة من نجد. لكن بعض عناصر طبيعة شمر البدوية قد تغيرت

---

[1] لايارد: بابل ص 266.

[2] كالسابق.

[3] كالسابق.

[4] العزاوي: تاريخ العراق، الجزء السابع، ص106.

نهائيا خلال السنين السبعين الاخيرة. فالمظاهر الطبيعية والاقتصادية لحياة شمر العشائرية تغيرت على وجه محسوس جدا. خلال الاربعين سنة السابقة زاد اتصال البدو مع المدن الكبرى كبغداد والموصل زيادة عظيمة. ففي اوائل هذا القرن حين دخل الشيخ بنية الى الموصل، وجد الكثيرين يحدقون في وجهه. بالنظر الى ملابسه وعاداته النجدية الغريبة. لكن في الاربعينات والخمسينات كان عدد كبير من الرؤساء ورجال العشائر يدخلون بانتظام الى مدن الولاية الكبرى[1].

كان رؤساء العشائر المختلفون في معرض السياسة كثيرا مايزورون بغداد وماردين والموصل وديار بكر لاجل ان ينصبوا كرؤساء عشائر رسميين[2]. ولما كانت العشيرة البدوية تستهلك كميات كثيرة من الحبوب فكان لابد لها من شرائها من تجار المدن او الزراع المتوطنين. في السنوات الاعتيادية، عند انجاز الحصاد المحلي، كان ممثلو العشائر يبادلون منتوجات الاباعر كاللبن والجبن بالحنطة والحبوب الاخرى[3]. وكانت شمر ايضا تدفع ثمن الحنطة بالنقود التي تسلبها من القوافل المارة. ومصدر اخر من الاتصال بالمدن هو استئجار شمر كرعاة حين زاد طلب الاوربيين على الصوف العربي

[1] روس: ملاحظات عن سفرتين(في مجلة الجمعية الجغرافية الملكية،9.

[2] وزارة الخارجية 624/195 بغداد، القنصل العام الى بلور رقم 12، 1860/4/11.

[3] لايارد: بابل ص 389.

خلال سنوات الاربعين[1].

في بعض الاحايين كانت شمر تدفع ايضا ضرائبها السنوية خلال هذه الزيارات للمدن. وادخلت نواح مختلفة للحياة المدنية الى ثقافة شمر عـن طريق التجار المتجولين الذين يزورون العشيرة ويبيعون لها مواد كالقماش والسلاح والتبغ والقهوة. كل شيخ شمري ايضا احتفظ بعلاقـة متينـة باحد التجار او موظفي الحكومة في كل بلـدة قريبـة يراقـب مصـالح شمر ويستوفي الخاوة من القوافل التي يكون مرورهـا مـن ديرة شمر. ومقابل خدمات ممثلها في المدينة كانت شمر تحمي الاملاك والمواشي العائدة له[2].

[1] كالسابق ص 580.

[2] ارنست ابرج: على النيل ودجلة : قصة رحلات في مصر والعراق بالنيابة عن.

الفصل الرابع

الانقسام الداخلي والتحدي الخارجي

شمر الجرباء 1869-1914

خلال نصف القرن بين 1869 و 1918 تغيرت مقدرات شمر الجرباء السياسية والاجتماعية والاقتصادية تغيرا عظيما. في مطلع هذه المدة حافظت العشيرة على وضعها كقوة مستقلة في الجزيرة. لاشك انها لم تكن تحظى بالقوة والاتحاد اللذين اتسمت بهما في السابق، لكنها بالرغم عن ذلك بقيت قوة يحسب لها حساب. لسوء حظ شمر حتى هذا الوضع من القوة النسبية آن له ان يهبط تدريجيا خلال الجيلين القادمين. لقد اودت بها سلسلة من الازمات الرئاسية والقحط وحملات الحكومة التاديبية فضلا عن نهوض الاتحاد الملي الكردي القوي، فدخلت شمر في الحرب العالمية الاولى عشيرة منقسمة على نفسها وقد نقصت عنها قوتها ونفوذها السابق.

اصلاحات مدحت باشا

الاسكان العشائري

منذ عزل داود باشا سنة 1830 لم يجهز الباب العالي ولاية بغداد بغير مساعدة مباشرة ضئيلة. وهذه الولايــة ذات القابليــات الزراعيــة الغنيــة جدا والشريان التجاري المزدهر لم تتسلم الدعــم العســكري الكافي للسيطرة على القبائل المتمردة العديدة ولم توضع فــي يــد ولاة قديرين وذوي نظرة بعيدة يستطيعون وضــع الاصلاحــات الاداريــة اللازمة[1]. قبل سنة 1870 كان تناقض سياسة العثمانيين العشائرية كثيرا مايــؤدي الى خلق فوضى شديدة بين العشائر العربية. لــم يفكــر الا القليل اذا كان ثمة تفكير، في تهيئة بديل يفيد الشيخ فــي بــذل جــهده للسيطرة على عشيرته[2]. وفيما يتعلق بنوع الادارة الداخلية وفعاليتــها، لاحاجة للقول اكثر من ان معظم جموعها كانوا يســتطيعون اعــتزال الخدمة مكتفين بالاموال التي جمعوها خلال حكمهم في بغداد[3].

---

[1] للحصول على صورة واضحة لشؤون العراق الادارية بين 1830،1870 يرجى مراجعة لونغريغ: اربعة قرون من تاريخ العراق، ص 250–297.

[2] جويدة: نظام الاراضي (وثائق سنت انطوني رقم 16،ص 112–113).

[3] لوريمر: الجغرافية الجزء الاول، القسم ا ب ص1358–1363. بيير دي فوسيل: الحياة في العراق قبل قرن واحد بقلم قناصلنا(باريس).

جاء مدحت باشا الى بغداد واليا في نيسان 1869 يحمـــل عزمـــا مؤكدا في تدشين عهد اصلاح في العراق، فكان ذلك نقطة بدايـــة فـــي التاريخ العصري لهذه البلاد. خلافا للكثير من الولاة الســـابقين الذيـــن ارسلوا الى بغداد بنتيجة عدم رضا اوقصاص سياسي، وصل مدحـــت باشا الى هذه الولاية البعيدة في اوج نشاط خدمته.

ولد سنة 1822 ودخل في خدمة الحكومة في مطلع شبابه. ابـــدى موهبة ادارية وهو يخدم موظفا صغيرا فتقدم مدحت باشا بسرعة وشغل مناصب في البلقان وسائر انحاء الامبراطورية وفي اثناء تدريبـــه زار عواصم اوربية متعددة لمدة نصف سنة فتعلم اشياء كثيرة ساعدته بعـــد ذلك في المناصب التي تقلدها. قبل قدومه الى بغداد ولي مدحت باشـــا مقاليد الحكم في الولاية الدانوبية المؤلفة حديثا جالبا الى هذه المقاطعـــة الهائجة السلام والرخاء النسبي[1]

حاول الوالي النشيط الجديد ان يحسم بعـــض المشـــاكل المدنيـــة والعسكرية الملحة. وكان في مقدمة اعماله انشاء نظام جديد للادارة في الولايـــة يعطي كل ناحية تركيبة موظفين يساعدهم مجلـــس منتخـــب[2]. شيد الكثيرمن المشاريع العامـــة كـــالمدارس والمســـتشفيات والميـــاتم بتوجيـــه من مدحت باشا. وفـــي امـــل ان يســـتثمر ثـــروة العـــراق

---

[1] مدحت: مدحت باشا ص 4-13.

[2] ديفدسن: الاصلاح في الامبراطورية العثمانية، ص 160-164.

الاقتصادية، فكر الوالي الجديد في مشروع سكة حديد محكم يصل بغداد بالعالم الخارجي. وفي فكرة مماثلة طلب عدة بواخر جديدة لزيادة التجارة على نهري دجلة والفرات. وخطط لحفر النهرين بغية تحسين النقل عليها. لكن هذا المشروع كالكثير من مشاريعه انتهى بالفشل[1].

شعر مدحت باشا بانه، لاجل اجراء اصلاحاته العديدة، لابد له من تحسين وضع الامن في انحاء الولاية. تقدم بسرعة للتخفيف من وطأة الفوضى العشائرية ونشر الامان في ارياف العراق. خلافا لاسلافه الذين اكتفوا برد الفعل لمشاكل العشائر، وضع خطة متعددة الجوانب استبقت الكثير من المصاعب الناشئة عن التعامل مع العشائر المستقرة والمترحلة. علم ان السياسات السابقة غير المنسقة التي اختلفت بين عدم الاهتمام والمصالحة المفرطة والقمع الشديد والتي تركت شيوخ العشائر في حيرة، فحاول مدحت باشا ان يتبع سياسة عشائرية اكثر تعقلا وايسر على الفهم[2].

وضعت هذه السياسة الجديدة على اساس اعادة تنظيم شامل اجتماعي وسياسي واقتصادي للمجتمع، ورمت الى اعادة تشكيل صورة الولاءات وتوزيع السلطة. فمنذ هذا الحين تكون الدولة وممثل السلطان

[1] عبد العزيز نوار: تاريخ العراق الحديث(القاهرة 1968) ص 380-391.

[2] لونغريغ: اربعة قرون،ص 305-311.

لا العشيرة ولا شيخ العشيرة المحور المزدوج للولاءات العامة. كانت التقاليد تقضي بان رئيس العشيرة يحصل على السلطة بتحدي سلطة الحكومة واستيفاء الخاوة (الاتاوة) وقيادة الغزو على العشائر الاخرى والزراع المستقرين، وكل ذلك قطع حبل الامن في الارياف. يضاف الى ذلك ان شيخ العشيرة، على وجه مناقض، كان يطلب اعتراف الحكومة به كشيخ العشيرة الاعلى، ادى ذلك الاعتراف الى مكافاة مزدوجة هي زيادة النفوذ في العشيرة والحصول على اعانة حكومية كبيرة. وبالرغم من اعتراف الحكومة بقي مركز شيخ العشيرة يعتمد اساسا على الدور الذي يقوم به بصفته زعيم بدوي تقليدي. وهكذا حتى يحين الوقت لتغيير اساس الزعامة البدوية، بقي الامن والهدوء في انحاء الولاية املا بعيد المنال[1]

اخذت عدة اصلاحات عشائرية قام بها مدحت باشا تعدل وتغير الاساس التقليدي لسلطة الشيخ بين عشائر العراق العربية. وقد تألفت هذه السياسات العشائرية الجديدة من ثلاثة اقسام رئيسية. كان القسمان الاولان التوطين (والعثمنة) يرميان الى اضعاف التلاصق بين الشيخ وعشيرته بينما يزاد اعتماده على الحكومة المركزية والقسم الثالث، وهو الكبت العسكري، يدار بصورة اشد فهكذا اذا تخلف الرئيس العشائري عن التجاوب للجزر (أي المعاملة الطيبة) فتستعمل العصا

[1] كالسابق ص 307.

لاعادته الى واجبه الصائب[1].

بعد ان درس مدحت باشا النواحي المختلفة لمشكلة العشائر في انهاء الولاية قرر أن يسكن أكثر ما يمكن من العشائر في نفس ديارهم. فيما مضى حين كانت تصدر الاوامر الى احدى العشائر بوقف غاراتها، لم يعط لها بديل من جانب الحكومة، بل كانت تهدد فقط باجراءات تاديبية قاسية. والان، كبديل لذلك، امر مدحت باشا بمسح الاراضي لكي يمكن بيعها الى افراد من رجال العشائر. وقد ارتأى ان ضمان التملك والمصلحة الدائمة التي تخلق على هذا الوجه تكون دوافع قوية لرجال العشائر لترك طريقة حياتهم النهابة[2].

كان مدحت يعلم جيدا ان العشائر المستقرة على نفس اراضيها يمكن السيطرة عليها بصورة فعالة وحكمها بعدالة اكثر، وفضلا عن ذلك فرض الضريبة عليها وتجنيدها بسهولة وعلى غرار ذلك تكون العشائر المستقرة اسهل انقيادا لخطة (العثمنة) (التتريك) التي خطط مدحت لانشائها. واذا تمت الامور كما يجب فالمؤمل ان الشيوخ المالكين للارض يشعرون بمرور الوقت بارتباط وثيق بالحكومة واخذ مشروع مدحت في (العثمنة) شكلا طبيعيا حين قلد شيوخ عشائر مختلفين موظفين حكوميين. وقد جعل كل شيخ مسؤولا عن ادارة

---

[1] كالسابق ص 306-307.

[2] جويدة: نظام الاراضي (وثائق سنت انطوني، رقم 16) ص 120-121.

المنطقة التي استقرت فيها عشيرته. ولم يتسلم الشيخ لقبه فحسب بل صار ايضا يقبض راتبا شهريا في اداء واجباته الرسمية. وكانت النتيجة ان السياسة العشائرية العثمانية تحت مدحت باشا تطورت على اساس معقول مما ادى فيما بعد الى تحسين وضع الامن[1]. وفي نهاية القرن وصفت تقارير اوربية عديدة الولاية بانها اضمن امنا مما كانت عليه قبل سنة 1870[2].

---

[1] لونغريغ: اربعة قرون، من تاريخ العراق ص 307.

[2] فون اوبنهايم: vam mittelmeer الجزء الثاني، ص83-84.

سياسة مدحت باشا العشائرية
وشمر الجرباء 1870 – 1871

حين تسلم مدحت باشا منصبه واليا لبغداد في نيسان 1869 كانت شمر الجرباء لاتزال تحت الرئاسة الاسمية للشيخ فرحان بن صفوق. وخلال سنوات الستين العشر كانت رئاسة شمر موضوع خصام بين ثلاثة من ابناء صفوق وهم فرحان وعبد الكريم وعبد الرزاق. ولابد ان نذكر هنا ان عبد الكريم وهو رجل ذو شجاعة كبيرة وارادة قهارة، كان معبود رجال عشيرته ونال ولاء قسم كبير من شمر. ومع ان فرحان وعبد الكريم اختلفا اختلافا شديدا في اجتذابهم لحب العشيرة فانه لم تحدث حتى ذلك الحين قطيعة بين هذين الزعميين القويين[1].

غير ان هذه القطيعة حدثت في اعقاب سياسة مدحت باشا العشائرية. فالشيخ فرحان، الذي سبق لنا البحث في ميله الى القيم العثمانية وعلاقاته الودية التقليدية مع الحكومة المركزية، تعاون علنا مع الوالي الجديد، وقبل بمحض ارادته بارض منحت له على الضفة الغربية لنهر دجلة في قلعة الشرقاط على بعد 60 ميلا جنوبي الموصل. وهذا الترتيب تضمن موافقته الضمنية على اسكان عشيرته كزراع على

---

[1] راجع الفصل الثالث ص 26–27،32.

الارض التي حصل عليها. ونال فرحان دليلا اخر على التكريم والتصديق الرسمي حين انعمت عليه الحكومة العثمانية بلقب ورتبة الباشوية وبراتب شهري مكافاة له على وقف الغزو واعادة الاموال المنهوبة[1].

احدثت السياسة العثمانية الجديدة تماما رد فعل مخالفا لدى الشيخ عبد الكريم. فمنذ اغتيال ابيه حلف عبد الكريم يمينا ابديا ببغض العثمانيين الذين كان يحتقرهم ويعتبرهم جيلا حقيرا من الناس واتباعا لسياسة عداء سافر، اخذ ينهب ويغزو والغارة على القرى والقوافل بدون اقل تحريض.وفي احدى المرات رفض استقبال ممثل عن والي بغداد. وكانت النتيجة ان العثمانيين صاروا يرون عبد الكريم خارجا على القانون[2].

[1] بلنت: البدو ص 232.

[2] كالسابق ص 98-99.

تمرد شمر

سنة 1871

سجلت سنة 1871 فترة شديدة الاهمية في تاريخ عشيرة شمر الجرباء في الجزيرة. منذ عبورهم الفرات في اوائل القرن التاسع عشر جوبه بدو شمر الجرباء باصناف من التحديات الثقافية والاقتصادية والعسكرية والتكنلوجية. وتضمنت هذه مواجهة عشيرة العبيد القوية، والتنظيم المعقد للادارة العثمانية العسكرية والادارية، والتجديدات التكنلوجية مثل الاسلحة الحديثة والبواخر، واخيرا ثقافة الجماعة المتوطنة في الجزيرة. استطاعت شمر حتى سنة 1871 ان تقاوم كل هذه التحديات بدرجات مختلفة من النجاح. لكن كما سوف يبدو واضحا هنا، حان لحظوظ شمر ان تعاني تغييرات جمة تحت حكم مدحت باشا.

من جميع ابناء صفوق كان عبد الكريم اقربهم ليماثل حب والده للحياة البدوية وفي ضمنها حماسته للقتال. كان شديد الايمان بالمزايا البدوية – شجاعا وسخيا وشهماء وكان محاربا مشاكسا وعنيدا يقود رجال عشيرته بنفسه. وكان يتمتع بحب عشيرته حتى ان نصف افرادها تقريبا وقفوا الى جانبه ضد اخيه الاكبر فرحان باشا. بين الافخاذ المتعددين نال عبد الكريم ولاء العبدة والعليان والصائح. ولم يكد مدحت

باشا يشرع بتنفيذ مشروعه لاسكان العشائر حتى ثار عبد الكريم علـــى التدخل في المزية البدوية[1].

عند تحليل اسباب ثورة عبد الكريم يتضح ان ثورة شمـــــر ســـنة 1871 قد اختلفت كثيرا عن جميع تمرداتها السابقة. اولا ان شمر علمت من اخر حملة حكومية منظمة شنـــت ضدهـــا ســـنة 1862 ان القـــوة العسكـــرية العثمانية قد زادت زيادة عظيمة بسبب قابلية التحرك الكبيرة والتنظيم المتحسن والاسلحة المتطورة. بعد تلك الحملة فورا علم عـــدة رؤساء شمريين ان العشيرة كان يحتمل ان تطرد من الجزيـــرة لـــو ان الحكومـــة استعملت قابلياتها الجديدة بصورة افضــــل. ثانيـــا، خـــلال السنوات العشر التالية مضت الحكومة في تقوية وضعها العسكري على طول شاطئ الفرات وفي العراق الشمالي. هكذا لابد لمحارب متمـــرس كعبد الكريم، بالرغم من بغضه للعثمانيين ولم يكن بالتاكيد مجنونـــا، ان له اسبابا جد قوية لرفع لواء الثورة والمجازفة بهزيمة مؤكدة على يـــد اعدائه الالداء[2].

يبدو ان المؤرخين في الماضي لم يقدروا اهمية ثورة عبد الكريم حق قدرها في تاريخ شمر. بمعالجتها كحادث اخر في المعـــارك التـــي

---

[1] العزاوي: تاريخ العراق، الجزء الســـابع، ص 261-263. وزارة الخارجيـــة 949/195 بغداد،القنصل العام الى اليوت، رقم 36،1871/8/2.

[2] راجع الفصل الثالث ص.

لاتنتهي بين العثمانيين وشمر، يظهر انهم اخفقــوا فــي فــهم المعنــى الصحيح لهذا الحادث[1] وحين ينظر الى الثورة كصراع ثقافي وعسكري تاخذ معنى اعظم كثيرا مما نسب اليها من قبل. قبل ســـنة 1871 لــم تنجح القوات المسلحة العثمانية في توطيد تفوق عسكري قـــاهر علـــى شمر الجربـــاء كما ان ثقافة العراق المتوطن لم تهدد بصــــورة فعالـــة لثقافة شمر الرحالة. وقد شعر عبد الكريم ان مشروع التوطيـــن الـــذي وضعه مدحت باشا يمثل نهاية ثقافة شمر النجدية فاستمسك بشدة لتراثه وقرر ان يحارب بالرغم من الفارق القهار.

ادعى عبد الكريم ان قائمقام نصيبين قد اساء معاملته فثـــار فـــي اوائل اب 1871. خلال اسبوع واحد نجح الزعيم الثائر على راس نحو 3000 محـــارب شمري، في نشر الدمـــار فـــي المنطقـــة المحيطـــة بنصيبين. قبل ان تستطيع الحكومة اتخاذ عمل فعـــال، اغـــارت شمـــر المتمردة على اكثر من 200 قرية واحرقت 70 منها بالنـــار، وقتلـــت عددا كبيرا من الاشخاص، واستولت على كل شيء يمكن نقلـــه. وفـــي نفس الوقت كتب عبد الكريم رسائل الى رؤساء عشائر مختلفة يشتكـــي فيها بان مدحت يعتزم ارغام شمر على الاســـتقرار كفلاحيـــن لاغـــير

---

[1] للاطلاع على المعالجة الاعتيادية لثورة الشيخ عبد الكريم سنة 1871 يرجى مراجعـــة: فون اوبنهايم: البـــدو، الجـــزء الاول، ص 149. لونغريـــغ: اربعـــة قـــرون ص 310. العزاوي:عشائر العراق، الجزء الاول، ص 159-160.

وطلب مساعدتهم[1].

لما وصل العديد من هذه الرسائل الى مدحت باشا اعلن منح مكافاة قدرها 10000 قرش لمن يأتيه بعبد الكريم حيا و 5000 قرش لمن يأتي برأسه. وفي الوقت نفسه قسم عبد الكريم قواته الى ثلاثة اقسام وارسلها على دير الزور والموصل وبغداد. هذه الخطة السيئة الترتيب للتغلب على العثمانيين انهارت حين انهزم الشمريون بصورة نهائية في قلعة الشرقاط. اغار على نحو 3000 محارب شمري جيشان عثمانيان بقيادة اسماعيل باشا من ديار بكر واحمد باشا القائد العام من بغداد[2].

قتل 300محارب وجرح واسر عدد اخر كبير فترك عبد الكريم ممتلكاته وفر مسرعا الى البادية. بعد هزيمته الفاجعة طلب الزعيم المحاصر الامان على خط وادي الثرثار لكن لسوء حظه جف الوادي جفافا تاما ولقي عدد كبير من رجال شمر حتفهم من العطش. وانتهت الثورة حين تم لعدة مفارز من القوات العثمانية التي انضم اليها مقاتلون من الدليم وعنزة، ان تلحق بالمفرزتين الشمريتين الاخريين وتدحرها وفي احدى هذه المعارك سقط عبد الرزاق اخو عبد الكريم قتيلا امام الهجوم العثماني الضاري. وعند وصول تعزيزات عسكرية

[1] وزارة الخارجية 949/195 بغداد، القنصل العام الى اليوت رقم 42، 1871/8/30.

[2] كالسابق

اخرى من المراكز العثمانية على الفرات ومنطقة سنجار، لم يكن للثورة الا ان تنتهي بالاخفاق[1]

حطمت خطط عبد الكريم وسقط اعوانه صرعى وتفرقوا وقد فقد زوجته الحبيبة وولدا صغيرا، ففر لينقذ حياته أمل ان يهرب الى نجد ويحظى بحماية ابن رشيد الزعيم الشمري، وعبر نهر الفرات سباحة ووصل اخيرا الى ديرة المنتفق في جنوب العراق[2]. لكن لسوء الحظ كان ناصر باشا شيخ اتحاد المنتفق القوي على صلة طيبة بمدحت باشا فقبض على عبد الكريم وارسله الى بغداد[3]. بعد محاكمة قضائية في بغداد حكم على عبد الكريم بالاعدام لتمرده ولما نال الحكم موافقة الاستانة النهائية انتهت حياة الشيخ الشمري شنقا على جسر نهر دجلة في الموصل[4].

---

[1] كالسابق.

[2] حبيب شيحا: ولاية بغداد(القاهرة 1908)،ص 242-243.

[3] وزارة الخارجية 949/195 بغداد، القنصل العام الى اليوت رقم 46، 1871/11/26.

[4] مدحت: مدحت ص22.

قبيلة شمر الشرقية والغربية

1880-1872

على اثر موت عبد الكريم وعبد الرزاق كليهما اصبح فرحان باشا شيخ مشايخ شمر الذي لا ينازع. وقد خضعت لزعامته العشيرة كلــــها تقريبا، عدا الافخاذ المتمردة عبدة والعليان والصائح. ومع انه حمل لقب "الباشا" الرفيع وحصل على راتب شهري حكومي كبير فــان الجاذبيـــة العامة للشيخ فرحان كزعيم عشائري لم تزد[1]. لقد استمر مرهقا بوصمة ان امه حضرية المولد وحبه للثقافة المدنية ومشاركته العملية الوثيقة مع السلطات التركية. وتعزى زعامته لعشيرة متحدة نوعا ما خلال السنوات 1871 - 1875 الـــى عدم وجود منافس فعال اكثر مــــن أي بــروز لمحبة شعبية.

بعد اعدام عبد الكريم تعاون الشيخ فرحان بصـــورة وثيقـــة مـــع السلطات الحكومية في محاولتها لاســـكان شمـــر الجربـــاء كـــزراع. واختيرت قلعـــة الشرقاط، الواقعة على نهر دجلة على مسافة نحو ستين ميلا جنوبي الموصل منزلا مفضلا لخيام شمر، موقعا لـــهذه المحاولـــة الاولية للاسكان. وقـــد منح مدحت باشا الشيخ فرحـــان بقطعـــة ارض

[1] وزارة الخارجية 949/195 بغداد، القنصل العام الى اليوت

تمتد على ساحل دجلة الغربي. وفي بادئ الامر كانت المنطقـــة كلـــها لااكثر من صحراء خالية من الماء[1] من الصعب ان نقرر حقـــا كيــف حاول فرحان باشا ان يستثمر منحة الارض هذه، لكن توجد معلومـــات كافية تلخص جهود الاسكان. بسبب هجـــرة شمـــر الموســمية يمكـــن الافتراض بصورة معقولة ان اولئك الذين اقاموا فـــي قلعـــة الشرقـــاط سكنوا فيها جزءا من السنة. وقد اتخذت عدة محاولات بســيطة لـــزرع بعض المزروعات. ونصب ايضا ساقية (ناعور) على دجلة لتجـــهيز الماء لعدد من اشجار الفاكهة زرعت في حقل منظف بجوار النهر[2]

كما استخدم فرحان باشا كما كان المتوقع عددا من الفلاحين من عشـــائر مختلفة تابعة لشمر كالجبور للقيام بالعمل الزراعـــي الفعلـــي. وفـــي سنة 1878 حين زار ولفرد وانا بلنت قلعة الشرقاط وجدا فرحان باشا واكثرية العشيرة مخيمين فيها. والعدد الكبير من رجـــال العشـــيرة النازلين في الخيام حول خيمة فرحان قد جـــردوا الريـــف الملاصـــق وجعلوه عاريا بقطعانهم من الاغنام والابـــاعر. وحســبما رواه بلنـــت وزوجتـــه وعدة مسافرين اوربيين اخرين زاروا قلعة الشرقـــاط فـــي اوائل سنوات الثمانيين انتهى مشروع اسكان شمر بالفشل[3].

---

[1] كالسابق. بلنت: البدوص 186-188.

[2] رسام: آشور ص 257-258.

[3] بلنت: البدو ص 187، سنماو: ص303-304. ج ب بيترز: تحريات ومجازفـــات علـــى

ومع ان تجربة الشرقاط كانت اقل نجاحا فانها اثبتت مدى (عثمنة) الشيخ فرحان. لاشك ان فرحان لم يعتزم قط ان يتنـــازل تمامـــا عـــن علاقته بحياة البادية لكنه لابد كان عالما كل العلم انه، لاجل المحافظـــة على منصبه كزعيم عشائري اعلى، فلابد له من مواصلة التعاون مـــع السلطات السياسية. انه لم يقم بصورة دائمة في قلعة الشرقاط. لكنه حين كان يخيم هناك كان يدخل مظاهر متعددة من ثقافة الاستقرار في مخيمه وهو ابتعاد كبير من عادات العشائر التقليدية.ومن اثار التجديـــد غـــير المسبوقة قبلا استخدامه موظفا دينيا مقيما في الموصـــل ليـؤم الشيـــخ واتباعه في الصلاة اليومية وليعلم ابناءه اللغة التركية. ومـــع ان هـــذه الخطوة لم تدل على نهاية الحياة البدوية فانها مثلت تطورا جديـــدا فـــي نظام حياة شمر النجدية[1]).

ان افخاذ شمر كالعبدة والعليان والصائح التي التحقت بدون تمسك بالشكليات بعبد الكريم، نزعت الى اساليبها الرحالة الحرة بحماسة اكثر بعد ان تعرضت لطريقة الحياة الغريبة وغير المعهودة " المســـتتركة " تحت رئاسة فرحان. وهؤلاء المحاربون الساخطون سرعان مـــاوجدوا رئيسا جديدا في شخص فارس بن صفوق. بعد حـــوادث ســـنة 1871 فورا هربت عمشة ام عبد الكريم مع ابنها الصغير فارس الـــى الملجـــأ الأمن لدى بادية شمر التابعة لابن رشيد في نجد. وفي هـــذه المنطقـــة

الفرات الجزء الاول، (نيويورك 1898) ص119.

البعيدة والعسيرة الدخول نشأ فارس بن صفوق تحت حماية قريبه القوي. واصبح هناك متمرسا بطريقة الحياة الحرة وغير المقيدة التي ادى الدفاع عنها في تدمير مقدرات الاسرة ووفاة ابيه واخوانه الكبار. وخلال اقامتها في هذا المنفى في نجد لم تضع عمشة الفرصة لاثارة حقد ابنها على الاتراك[2].

لما عاد الشيخ فارس الى الجزيرة سنة 1875 اسرع اتباع عبد الكريم، الذين نفرتهم اساليب فرحان باشا " البغدادية " فانضموا الى الشيخ الشاب. وكانت دعوته كزعيم ابعد كثيرا من كونه اخا شقيقا لعبد الكريم المحترم، فان حبه للبادية واخلاصه الشديد لطريقة الحياة البدوية التقليدية أهله فورا كمنافس لفرحان الميال الى الاستيطان والبعيد عن "الشعبية " كان لفارس مؤهلات لاغبار عليها لرئاسة شمر العليا لقد كان سليل بيت الرئاسة في الجزيرة وكان اخوه عبد الكريم وابوه صفوق من رجال البسالة العظمى، وقتل كلاهما بطلا شهيدا وهما يحاربان في سبيل طريقة الحياة الشمرية. وكان هو نفسه مالكا لعدد من الصفات التي جعلته معبود بعض أفراد شمر كان كريما فوق العادة شجاعا في المعارك، فارسا مغوارا وفاتر الحماسة نحو السلطات التركية، فسرعان ما جمع اكثر من نصف عشيرة شمر تحت لوائه. وقد

---

[1] بلنت: البدو ص 188، 192–193. بلنت: البدو ص 188، 192–193.

[2] فون اوبنهايم: البدو، الجزء الاول ص149.

مثل العبدة والصائح والعامود اكثرية اتباعه[1].

منذ سنة 1875 انشقت شمر الجرباء الى شقين متنافسين. فشمر الغربية التي يرأسها فارس بن صفوق شغلت القسم الشمالي الغربي من ديرة شمر التقليدية. وكانت دير الزور على الفرات في منتصف الطريق بين بغداد وحلب مركز الصلة الرئيسية بين شمر الغربية مع السلطات التركية. اما قسم العشيرة التابع لفرحان باشا والمعروف باسم شمر "الشرقية" فشغل المنطقة من الديرة العشائرية القريبة في الموصل ونهر دجلة. وفي بادئ الامر اتخذ الشيخ فارس موقفا اشد عداء نحو السلطات التركية في دير الزور. ولكن في سنة 1878 حين دعا حسين باشا قائمقام دير الزور فارس لزيارته قبل الشيخ الشاب دعوته فورا ليحمل لقب باشا. وبموجب هذا الاتفاق تسلم فارس راتبا شهريا ضئيلا ليحافظ على الامن في ديرته العشائرية[2].

---

[1] سنماو: ص303-304

[2] بلنت: البدو ص223.

نظام متغير

تغير الجزيرة اداريا وفنيا ودمغرافيا (سكانيا)

1914-1800

بين سنة 1880 ونشوب الحرب العالمية الاولـــى ســنة 1914 تغيرت موازنة المجتمع العشائري في الجزيرة والعراق الشمالي تغــيرا محسوسا[1] في بادئ الامــر كانت شمر الجرباء، ولو انها مجزأة الـــى جزئين متعاديين ، لاتزال تتمتع بموقعها المعتاد كاقوى قبيلـــة محليــة. خلال هذه الثلاثين سنة استمرت شمر على اتباع سيرة حياتها البدويـــة بالرغم من حصول عدد من التغييرات قللت من مجال نفوذها ومســت مزاياها السابقة من الغزو وفرض الاتاوة (الخاوة)[2].

اتخذت قوى التغيير التي اثرت في شمر اشكالا مختلفـــة، لكنــها صدرت كلها من الوجود العثماني الاداري المتزايد فـــي فعاليتــه فـــي الجزيرة. خلال الثلث الاخير من القرن التاسع عشر ابرز هذا الوجــود نفسه بصورة مؤثرة في امـــن عسكري متحسن. كانت شمر الجربـــاء قبل ذلك تشن غاراتها باقل خوف من انتقام الحكومة. وحتـــى هجــوم

---

[1] نورمان لويس : وحدود الاسكان في سورية 1800.

[2] ستين: شمر جربا ص 102-103.

مدحت باشا العسكري المدبـــر ســـنة 1871 تطلــب تخطيطــا متقنــا ومواصلات فعالة بجمع العدد الكبير من القوات اللازمة للتغلــب علـــى العشيرة[1].

بعد العقود التي تبعت هذا النصـــر الحاسـم زاد وجــود القــوة العسكرية العثمانية بصـــورة محسوسة حـــول حـدود ديــرة شمــر. فبالاضافة الى زيادة العدد العام من الجنود المهيئين لحراســـة الباديـــة، جعلت التكنلوجية المحسنـــة الجندي الفرد محاربا فعالا افضل. وقد وجه العثمانيون اهتمامهم في البداية الى تامين الامن على طريق القوافل على طول نهر الفرات الذي يصل بين بغداد وحلب. [2]اتخذت ديـــر الـــزور الواقعة على الفرات نقطة البداية لجهود العثمانيين لتحسين الامن. شيــد ارسلان باشا خلال الستينات قلعة قوية البناء هنـــاك واســـتخدم قــوات عثمانية لقمع غارات عشيرتي شمر وعنزة[3] وفي ســـنة 1900 اقـــامت القوات في قلاع في الكسارة والمعدان والتبنـــي والشطيـــة والبوحســـن والميادين والصلاحية والبوكمال والقائم[4]. وابعد من ذلك شمـــالا علـــى ساحل نهر الخابور اقيمت حامية اخرى في تل الحسجة لتشـــارك فـــي

---

[1] لويس: بروز، ص 174–175.

[2] لويس: الحدود (مجلة الشؤون الدولية)31 (1955) 48–60.

[3] راجع الفصل الثالث ص

[4] موسيل: الفرات الاوسط ص2.

مسؤولية السيطرة على شمر الغربية.

في الجانب الشرقي من الجزيرة وقفت القوات من تكريت والموصل وجزيرة ابن عمر مع قوات ديار بكر وماردين ونصيبين تصد شمر الشرقية[1]. وعدا انشاء سلسلة من الحاميات العسكرية حول ديرة شمر، استعان العثمانيون بتجديدات عديدة اخرى لتحديد غارات شمر اكثر من ذلك ويظهر ان تجديدا بسيطا، وهو اتخاذ البغال وسيلة للنقل في البادية، حسن كثيرا من مقدرة القوات الحكومية لمطاردة غزاة البدو الشاردين. قبل ذلك كان المحاربون البدو الراكبون على الجمال يتمتعون بمزية كبيرة في سرعة الحركة[2]. وحين كان العثمانيون يطاردون شمر على الخيل كان هؤلاء يتجهون الى البادية الحارة الجافة ويتخلصون بسرعة من مطارديهم. لكن هذه المزية البدوية فقدت لان البغال التي تتطلب القليل من الطعام والماء تستطيع السير بسرعة جيدة في البادية[3].

وحصل تجديد اخر تكنلوجي في البنادق المحسنة المتعددة الطلقات

---

[1] وزارة الخارجية 1242/195 الموصل، راسل الى تيكسن رقم 2،1879/1/20.
وزارة الخارجية 1445/195 ريشاردز الى بلاودن رقم 2،83/11/13.
وزارة الخارجية 164/195 بغداد، القنصل العام الى وايت رقم 86،1889/11/21.
وزارة الخارجية 2339/195 الموصل،كريغ الى لوثار، رقم 13، 1910/4/21.

[2] وزارة الخارجية 717/195 بغداد، القنصل العام الى بلور رقم 25،1862/4/4.

[3] سنماو: ص274-275.

مما قضى على مزية بدوية اخرى. بدءا مـــن ســنة 1869 ببندقيـات "سنايدر " التي تحشى انقطاعا، وقـــد عقبتــها ونشســتر " المتكــررة الرصاص في السبعينات، ثم بندقية " مارتيني " المحسنة حوالي نهايـــة القرن، فصار الجنود العثمانيون يتمتعون بمزية عالية في اطلاق النـــار على محاربي شمر الذين كانوا مسلحين ببندقيـــات قديمـــة ورماحـــهم التقليدية[1] لاريب ان البغالة العثمانيين الســـريعي الحركـــة المســلحين ببندقيات متكررة الاطلاق قد اثروا في غزاة شمر لكـــن هـــذه البنـــادق الجديدة يحتمل انها كانت اشد وقعا على شمر حين كان يستعملها الزراع المتـــوطنون. في محادثة مع مارك سايكس، المسافر البريطــــاني فـــي بداية القرن العشرين، قدم عبد الرحمن اغا الرئيس الاعلـــــى للاكـــراد الكيكـــية[2] قصة مفيدة عن اثر بندقية " مارتيني " على العلاقـــات بيـــن شمر والزراع :

(سألته هل شمر يزعجونه ؟ فقال بايجاز :

فيما مضى.

سألته : لم ليس الان ؟ فكرت لحظة واحدة ان عبد الرحمن ينوي الابتسام فعلا. برقت عيناه الفاترتان، ولاحظت بريق اســـنان صفـــراء طويلة تحت شواربه. لكن ذلك لم يكن سوى تثاؤب.

---

[1] كذلك. لويس: الحدود(مجلة الشؤون الدولية،31(1955) ص54.

[2] كان الاكراد الكتيكية من اشدخصوم شمر في العراق الاعلى.

قال : في السابق وكانه يواصل كلامه، فلم يكن لدينا سوى الرماح. اما الان فشمر بارعون جدا في الرماح، وافراسهم سريعة ايضا، وجماعاتهم الغازية تزيد على عدد رجالي. عدا ذلك كان شعبي اقل فعلا رجلا امام رجل. لكنني اشتريت مؤخرا خمسين بندقية "مارتيني" بمبلغ كبير. وجدير بالقول ان " المارتيني" لا فائدة منه لرجال يركبون الخيل ضد رجال يحملون الرماح. يصرخ البدوي ويجري بسرعة نحو الرجال حاملي " المارتيني " الذين ياخذهم الخوف ويهربون. وقد علمت ذلك حين اشتريت " المارتيني " وكذلك علمت شمر. لكن شمر لم تعلم بما علمت، وذلك ان الرجل الراجل وله مارتيني يساوي عددا كبيرا من الرجال مع الرماح. في السنة الماضية استولى الشمريون على عدة الاف من اغنامي، فاخذت معي خمسين من رجالي مسلحين بالمارتيني وركبنا نلحق بهم. ولما وصلنا الى البدو وطلبت من رجالي ان يترجلوا. ولما راى شمر ذلك فكروا اننا جئنا مستسلمين وهجموا علينا كالشياطين، وهم يصرخون ويرفعون رماحهم حسب العادة. قلت لرجالي ان يقفوا بلا حركة على الارض وينتظروا. فلما جاء الشمريون على بعد دقيقة واحدة، قلت لرجالي ان يطلقوا النار كلهم معا. هرب الشمريون لكننا اطلقنا النار اربع مرات قبل ان يصلوا الى مسافة سليمة. وقد غضب شيوخهم وقالوا ان هذا ضد اصول الغزو وهو امر معيب لاننا جرحنا اثني عشر رجلا منهم. لكنهم اعادوا كل اغنامي، ولااهتم بما تقوله شمر لانهم يخافون الان ان يمسوا

ايا من ماشيتي، وعليهم ان يغزوا في مكان اخر. ان البدو لايفهمون المارتيني اكثر مما انا افهم الرماح.) [1]

بين التجديدات التكنولوجية التي اثرت في بدو شمر، يحسن بنا ان لانغفل سلسلة المواصلات البرقية المتسعة. كما ذكرنا سابقا كان خط البرق الذي يربط بغداد بالموصل قد بدا بالعمل منذ سنوات الستين[2]. عل حد الجزيرة الغربي مد خط برق وادي الفرات يربط حلب وبغداد سنة 1890[3]. يضاف الى ذلك ان خدمات برقية قد انشئت قبل نشوب الحرب العالمية الاولى على الجانب الشمالي من العراق الاعلى. ومجموع هذه الشبكة البرقية قد سهلت التنظيم السريع الفعال للحملات العسكرية ضد العشائر البدوية المتمردة.

علاوة على ادخال تجديدات مختلفة تكنلوجية وادارية تغير ايضا شكل السكان في الجزيرة خلال الثلث الاخير من القرن التاسع عشر. سجلت الاعوام بين 1870 و1914 مبدأ اعادة اسكان مناطق واسعة من الاراضي الزراعية المتروكة في الجزيرة الشمالية[4]. اتخذت مشاريع الاسكان المؤيدة من الحكومة على سواحل نهري الفرات والخابور

---

[1] مارك سايكس: تراث الخليفة الاخير (لندن 1915) ص330.

[2] وزارة الخارجية 521/195 بغداد، كمبال الى بلور رقم 8، 1862/2/26.

[3] موسيل: الفرات الاوسط ص3.

[4] لويس: الحدود(مجلة الشؤون الدولية،31،1955) 54-60.

انماطا مختلفة متعددة.

اولا، ان العشائر الصغيرة كالجبور والبقارة والعقيدات التي لاتستطيع حماية نفسها ضد غارات عنزة وشمر حثت على الاستقرار على طول نهر الخابور. ومع ان قوات الحكومة المقامة في مواقع ستراتيجية قد منحت العشائر المتوطنة حماية افضل، فانها لم تكن تستطيع منع استيفاء (الخاوة) المستمرة حتى سنوات القرن العشرين[1] ومشروع اعادة اسكان عثماني ثان، واكثر نجاحا شيئا ما، بدئ به بجوار راس العين. في هذا المشروع المعين اسكن جراكسة مسلمون طردهم الروس من وطنهم في جبال القفقاس في اواخر سنوات السبعين من القرن التاسع عشر، في اراضي زراعية متروكة حول راس العين.

والجراكسة محاربون اشداء عنيدون تصادموا مع شمر الغربية في منازعة استمرت عقودا من السنين. ومع ان الجراكسة تحملوا الكثير من غارات شمر السنوية فانهم احتفظوا باراضيهم ونجحوا في اخر الامر بجعل راس العين وطنا لهم[2].

لقد صورت القصة التالية بصورة دقيقة شكل العداء البدائي بين

---

[1] فون اوبنهايم: الجزء الثاني ص78-79.

[2] ماعوز: الاصلاح العثماني ص142-143.البعثة الى تركيةالشرقية، الجزء 9 ماردين، القس جوزيف ا ي سكوت الى الدكتور ن ج ليلالنك، رقم 262، 1882/5/1. ستين: شمر جربا ص 26-27.

شمر واللاجئين الجراكسة القادمين حديثا :

في اول الامر حين جاء الجراكسة الى راس العين اغارت شمر عليهم واستولت على مواشيهم وخيولهم. لكن في احد الايام قبض رجال راس العين على عشرين بدويا وقتلوهم. واخذوا واحدا وحفروا ثقبا في جسمه ونفخوه مملوءا بالهواء كما ينفخ جلد الغنم، ثم وضعوه خارج راس العين حتى ان كل قادم يقول : ماشاءالله، ماهذا ؟ انظروا ماذا فعل الجراكسة بالشمري. لكن شمر فكروا فيما بينهم كيف يتسنى لهم الثار، وعملوا هذه المكيدة. جاؤوا الى راس العين وقالوا : (ايها الجراكسة، شنت عنزة الحرب علينا. تعالوا وساعدونا) واولئك الذين لم يعلموا بخداع البدو ذهبوا معهم - رجال كثيرون وكل واحد يحمل بندقيته - الى البادية. وقال الشمريون : (الا ترون هؤلاء الفرسان في البادية ؟ انهم رجال عنزة فانهم الذين لديكم بنادق امضوا الى الامام. ونحن بدو ومالنا الا الرماح) وهكذا تقدم الجراكسة الى الامام ولم يكن هناك احد من عنزة بل جماعة اخرى من شمر. وقد فوجئ رجال راس العين بين جماعتين من البدو من امام ووراء، وفي ذلك اليوم سقط منهم خمسون رجلا.[1] استمر هذا التنافس خلال سنوات القرن وكان واحدا فقط من عدة تاثيرات جديدة غيرت وضع شمر في

---

[1] مارك سايكس: دار الاسلام (لندن 1904) ص 284-285.

الجزيرة[1]. ويحتمل ان اقوى التحديات في الجزيرة لتفوق شمر، بصرف النظر عن العداء التاريخي مع عشيرة عنزة، قد اتى من الاكراد المليين بعد عقود من السنين خسر فيها الاكراد الرحالة في العـــراق الشمـــالي حربهم ضد تجاوزات شمر اصبحوا اقوياء تحت زعامة ابراهيم الملـــي وتمكنوا من دحر الغزاة البدو[2]. وبعد ان انتهت الحرب الروسية التركية سنة 1878 استعان الزعيم الكردي بمهارة بالقبائل المجـــاورة لاحكـــام اتحاد كبير قرب ويرانشهر[1]

خلال التسعينات استخدم السلطان عبد الحميد الزعيـــم الكـــردي بصفة لواء في الجيش الحميدي الذي انشا في انحاء المناطق الكردية في الامبراطورية عدا منحه رتبة باشا الاضافية، تسلم ابراهيم الملي ايضـــا كمية كبيرة من بنادق (مارتيني) وقد استفاد من هذه المساعدة العثمانية فقام بسرعة بتحويل الاكراد المساعدين العرب في مركزه في وايرنشهر الى قوة عشائرية متفوقة في العراق الشمالي. من العرب انضمت الـــى الزعيم الكردي عشائر الجحيش والعبادلة والبقارة والشرابيين يضـــاف الى ذلك ان الاكراد الشيشيشية قرب ماردين انضموا ايضا الى القـــوة الجديـــدة. لكن بينما قوة ابراهيم الملي ونفوذه زادا، اصبحـــت عشـــائر

---

[1] سايكس: تراث الخليفة ص 323-324.

[2] زكريا: عشائر الشام ص30.لاجل الاطلاع على اخبار معاصرة عن التوازن المتحـــول بين البدو والعرب والاكراد الرحالة راجع برالد بانسي(ليبزنغ 1913)ص 62-64.

طئ والجبور وشمر اعداءه الالـــداء[2]. وقـد اسـتمرت المصادمـات العشائرية الناشئة عن هذه التحالفات الجديدة الى موت ابراهيـم باشـا الملي سنة 1909[3].

---

[1] سايكس: تراث الخليفة ص 323-324.

[2] كالسابق. و ج الفنستن: القضية الكردية (مجلة الشؤون الدولية، 22، 1946) ص94.

[3] زكريا:عشائر الشام ص 322-323. فون اوبنهايم: البدو، الجزء الاول ص 139-141.

شمر الغربية

1914 - 1890

احتفظت افخاذ الثابت والفداغة والعليان بموقعها تحت زعامة فارس بن صفوق كاقوى مجموعة عشائرية في الجزيرة الغربية. وخلافا لشمر الشرقية بزعامة فرحان باشا التي كان تعاونها مع السلطات التركية وتذوقها للثقافة التركية قد باعدا الكثيرين من رجال عشيرته، فان قسم الشيخ فارس من شمر حاول ان يحيى حياته البدوية التقليدية. والعلاقات الودية نسبيا بين الشيخ فارس وباشا دير الزور سهلت امور شمر في اعمال غزوهم واستيفاء (الخاوة). وبشرط ان غارات شمر لم تخل بالزراعة المتوطنة والقوافل التي تمر بالطريق من الموصل الى حلب، فان العثمانيين لم يتدخلوا في شؤون اتباع الشيخ فارس. وكانت النتيجة ان العشيرة استمرت على استيفاء الخاوة من اكراد سنجار والجبور والحديدين وسائر العشائر الصغيرة على نهر الخابور[1].

في سنة 1890 امتدت ديرة شمر الغربية من بين الميادين ودير الزور على الفرات جنوبا الى خط على طول راس العين وويرانشهر

---

[1] سنماو: ص303-304.

ومـــاردين شمالا. في داخل هذه المنطقة لم يتحد احـــد شمـــر ســـوى اعدائهم التقليدين عنزة. شنت غارات متقابلة بين هاتين العشيرتين كـــل سنة تقريبا. ومن المفيد القول ان غارة مدمرة بوجه خاص حدثت ســـنة 1885 حين فاجا فخذ السباع من عنزة الشيخ فارس علـــى الخـــابور وسرقوا اكثر من اربعمائة بعير[1]، قبلت الخسائر مـــن الغـــارات بيـــن العشائر كجزء من الحياة البدوية ومالت الى التوازن على مر الســـنين وعند نهاية القرن جاء التحدي من ابراهيم باشا وفرقته الحميدية مخـــلا بالتوازن في العلاقات بين شمر وعنزة والعثمانيين.

دارت شمر خلال السنين نحو الهضبات الكرديـــة فـــي جنـــوب الاناضول فدفعت ببطء حدود مراعيها الى الشمال حتى بلغت المنطقـــة حـــول ويرانشهر. قبل بروز ابراهيم باشا في التسعينات لم تقدم العشائر الكردية الضعيفة وغير المتحدة المقيمة في المنطقة سوى مصاعب قليلة الى شمر الغربية. ومع انهم كانوا اعداءا الداء، فان المعركة الاولى من المعارك العديدة الكبيرة بين شمر والمليين لم تحـــدث الا فـــي اواخـــر التسعينات حين اغار الشيخ علي الشيوخ علي ابراهيم الملي. وقد انتهت هذه الغارة بصورة فاجعة حين اسر ابراهيم باشا علي الشيوخ وارســـله الى الاستانة. وقد بقي في العاصمة التركية عدة شـــهور قبـــل اطـــلاق سراحه.

---

[1] العزاوي: تاريخ العراق، الجزء الثامن ص 76.

عاد الشيخ المهان الى الجزيرة فطلب ثأرا سريعا بشن هجوم شمري اخر ضد خصومه المليين. وقد ساعده ابن عمه محمد الشيوخ ابن البطل الشمري الخرافي عبد الكريم، فاعد علي الشيوخ محاربيه. لكن قبل ان تتمكن شمر من الوصول الى مضارب الملي بجوار راس العين، علم ابراهيم باشا بخططهم وتقدم مع اتباعه الاكراد في اثناء الليل وفاجا شمر في تل حرمل (شرقي راس العين)[1]

بعد الاندحار الثاني انهت شمر الغربية والشرقية برئاسة الشيخ فارس والشيخ العاصي بن فرحان مؤقتا عداءهما وخططتا لهجوم على اوسع مقياس ضد الاكراد المليين. تحرك جيش شمر الضخم الى الشمال قاصدا ويرانشهر بعد ان ناشد المساعدة من اكراد الدكوري والكيكي وعرب طي والجبور وحرب والشرابين. وقف مدة قصيرة في الحلالية لمحاصرة قلعة يسيطر عليها احد اعوان ابراهيم باشا الموثوقين، ثم اتخذت شمر بعد ذلك موقعا شمالي ويرانشهر لشن الهجوم. لكن لسوء حظ العرب علم ابراهيم باشا بواسطة جواسيسه تفاصيل خطة شمر الحربية وفاجاهم مرة اخرى في لحظة خطيرة. وللمرة الثالثة والحاسمة دحر الأكراد أعداءهم البدو، انتصرت القوات الحميدية وطاردت العرب المنسحبين كل الطريق الى راس العين[2].

---

[1] فون اوبنهايم: البدو، الجزء الاول ص 139.

[2] كالسابق.

اثر النصر الكردي الساحق في شمر بثلاث طرق : اولا: سمح للاكراد الملية باسترجاع قسم كبير من المراعي الشمالية التي خسروها واستولت عليها شمر خلال القرن الماضي. ان اعادة احتلال الاكراد للسهل بين ويرانشهر وراس العين سجلت تطويقا اخرا لديرة شمر وقد لاحظ احد الاوربيين انه، بعد المعركة الحاسمة سنة 1901، قلما تحركت شمر الى شمال نهر الخابور. ثانيا : بعد هذا التحول في التفوق العشائري، اعاد الزراع الارمن الاقامة في الارض الزراعية المهجورة حوالي راس العين[1].

ثالثا : سرعان ماانهى النصر الكردي التعاون الموقت بين شمر الشرقية والغربية. وهذا التقارب الظاهر انتهى بالسرعة التي بدا بها حين رفض فخذ الثابت والفراغة من شمر الغربية ان ينضما الى الحملة ضد ابراهيم باشا. خلافا لسائر افخاذ شمر التي تعيش بعيدا عن نهر الخابور، واجه هذان الفخذان مشكلة خاصة. كانا يعيشان الى غرب الخابور محصورين بين عدويهما القويين عنزة والملي، فلم يكن لها بد من تحاشي معاداة أي من الجماعتين[2]

بالاشتراك في هجوم شمر على الاكراد الملية كان هذان الفخذان يتعرضان لهجوم الفدعان من عنزة حلفاء ابرهيم باشا النازلين جنوبي

[1] سايكس: دار الاسلام ص 288.

[2] فون اوينهايم: البدو، الجزء الاولص140.

الفرات. علاوة على ذلك حتى لو ان جيش شمر قد هزم ابراهيم باشـا، فان الثابت والفراغة يصبحان خاضعين لثار الاكراد وعنزة لامد طويل بعد عودة شمر الشرقية الى ديرتها قرب الموصل. وبنتيجة ذلك اغـاظ هذان الفخـذان بقية شمر حين تركا وادي الخابور وضربـا خيامـهما قرب موطنهما السابق في قلعة الشرقاط خلال الهجوم علـى الاكـراد الملية[1].

واجه فخذا الثابت والفراغة مصاعب جديدة بعد وفاة زعيمـها الشيخ فارس سنة 1901 مع الاسف ان الزعيم المتوفي لم يخلف ولـدا بالغا ليتولى رئاسة العشيرة خلال هذه المدة العصيبـة. وهكـذا نـرى الثابت والفراغة كما يظر تحت رحمة شمر الشرقية الاقوى منهما بسبب ضعف زعامتهما، وقد انقذا من أي فقدان اخر للسلطة بنزاع داخلي بين خصومهما. نشا صراع علني على رئاسة العشيرة بين اثنين من ابنـاء فرحان باشا هما العاصي وجار الله. وفي هذا الصراع انضـم هـذان الفخذان الغريبـان التائهان الى جار الله ومؤيديـه مـن العبـدة ضـد العاصي وسائر شمر الشرقية. وبعد عدة معارك غـير حاسـمة اعيـد السـلام في نهاية الامر بين شمر الشرقية وفي هذه الفوضى الشاملـة عاد الثابت والفراغة الى نهر الخابور حيث عاشا تحت حماية الملية[2].

---

[1] كالسابق.

[2] كالسابق.

احتفظ ابراهيم الملي بوضعه المتفوق في شمال العراق حتى خلع رجال تركية الفتاة السلطان عبد الحميد في نيســـان 1909 وقــد قــام ابراهيم باشا، تاييدا للسلطان المخلوع المحسن اليه مع قوة مـــن 1500 كردي باحتلال دمشق باسم السلطان لكنه لـــم يلبــث إن ارغــم علـــى الانسحاب بعد مدة وجيزة. وعند عودته الى ويرانشـــهر طـــورد هــذا الزعيــم الكردي القوي من جانب المتعاطفين مع حزب تركية الفتـــاة. وقد جــر مطارديه هنا وهناك في انحاء العراق الشمالي، حتـــى لقـــي مصرعه قرب صفية. ومن الغريب انه قتل بايدي شمر الغربيـــة التـــي دحرها دحرا مبينا قبل اقل من عشر سنين[1].

تركت وفاة ابراهيم باشا الملي فخذي الثابت والفراغة دون الحماية المعهودة من حاميها الكردي. ولذلك اتجها الى الفدعان طلبا للحمايـــة. وكـــان الجواب البدائي المتحفظ من هاشم بن مهيد رئيس الفدعان يرجع الى رغبته في صيانة العلاقات الودية بين الفدعان وسائر عشيرة شمر. لكن حين بدا الثابت والفراغة بغزو اخوانهم في العشيرة، سـرعان مـــا وجد الفدعان انفسهم متورطين في النزاع بين الفخذين المنبوذين وسائر قبيلـــة شمر. وفي سنة 1914 عاد الفخذان الثابت والفراغـــة فانضمـــا مرة اخرى الى الجماعة الرئيسية لشمر الغربية[2].

---

[1] عن سقوط ابراهيم باشا الملي الزعيم القوي سابعا راجع بيير روندو.

[2] فون اوينهايم: البدو، الجزء الاول ص140.

العلاقات بين شمر الشرقية والعثمانيين 1890- 1914

بينما كان الشيخ فارس وشمر الغربية يقيمون خارج النفوذ المباشر للحكومة المركزية، تعاونت شمر الشرقية برئاسة فرحان باشا بصورة فعلية مع الولاة الاتراك في بغداد والموصل[1]. وقد ادت هذه الصلة الوثيقة الى انخفاض جسيم في قوة شمر البدوية التقليدية. يضاف الى ذلك ان التغيير يمكن ان يعزى الى عاملين معينين احدهما داخلي والاخر خارجي. وقد لخص ستيفن لونغريغ المشكلة الداخلية اذ كتب ((ان شمر قد مزقت بمنافساتها الداخلية... فابدت صورة كاملة لفقدان الهدوء البدوي))[2] وكانت السيطرة العثمانية الادارية الفعالة المقرونة بوجود عسكري اقوى في ديرة شمر الشرقية قد هيات القوة

---

[1] وزارة الخارجية 1243/195 الموصل، راسل الى نيكسن 1879/4/5

وزارة الخارجية 1309/195 الموصل،راسل الى مايلز 1880/6/5.

وزارة الخارجية 1445/195 الموصل،ريثاردز الى بلاودنه رقم 1883/11/1322.

وزارة الخارجية 1478/195 الموصل،ريثاردز الى بلاودنه رقم 1884/3/4122.

وزارة الخارجية (القنصل العام) الى وايت رقم 86 89/5/21

وزارة الخارجية 1647/195 بغداد، تويدي الى وايت رقم 3350، 1880/6/26.

[2] ستيفن هـ. لونغريغ: العراق 1900-1950: تاريخ سياسي واجتماعي

الخارجية قد خفضت تفوق عشيرة شمر في الجزيرة.

كانت المنافسات بين الافخاذ موجودة دائما بعد وفاة عبد الكريـــم اخذت هذه المصاعب معاني اعمق في تاريخ شمر. قبل 1871 تركزت المنافسة في داخل العشيرة في قضية أي رئيس يستطيع ان يحصل على اعظم تاييد على اساس كرمه وشجاعته وبسالته في القتال وذكائه فضلا عن حيازته لاعتراف الحكومة برئاسته العليا. عدا هذه العوامل كـــانت الافخاذ كثيرا ماتدعم الزعيم الذي يستطيع جلب اعظم الغنائم وينجح في تحدي سلطة الحكومة.

طالما اعتقد رجال شمر بانهم قادرون على دحر الجيش العثماني او التهرب منه فان مقدرة الحكومة للتاثير في شؤون شمر بقيت محدودة نسبيا. لكن حالما وطد الجيش تفوقه العسكري على شمـــر زاد تـــاثير الحكومة على حياة العشيرة زيادة جسيمة. بعد اخفاق محاولة عبد الكريم الجريئة لمقاومة تجاوز العثمانيين المتزايد سنة 1871، اصبح شيـــوخ شمر بعده لا يستطيعون المطالبة بالزعامة على اساس انـــهم يملكـــون التفـــوق العسكري لتحدي الحكومة. وبنتيجة ذلك اصبحت الحكومة شيئا فشيئـــا الحكم النهائي في شؤون العشيرة. ومنذ ســـنة 1875 شعـــرت شمر عموما والقسم الشرقي منها خصوصا ان اعمالهم تابعة لمداخلـــة

واقتصادي(اكسفورد 1953) ص54.

الحكومة الفعالة[1].

خلال الثمانينات من القرن التاسع عشر حافظ فرحان باشا على علاقات وثيقة مع والي بغداد والموصل. وقد حمل فرحان رتبة الباشوية وتولى مسؤولية منع شمر من الغزو وفرض الخاوة على العشائر الضعيفة وقرى شمال الجزيرة. وقبض مقابل خدماته راتبا شهريا يقارب 250 ليرة تركية. وفي الحقيقة لم يكن فرحان يستطيع ان ينفذ هذه الشروط الصارمة ضد الغزو، لكنه اظهر التعاون في القيام بواجبه المقرر. وكما ابلغ قنصل بريطاني، كلما احدث غزو من بين شمر، ارسل فرحان دائما كتابا ينسب العمل الى فخذ ثائر او الى غريمه الشيخ فارس. وفي محاولة اخرى لارضاء الموظفين في بغداد والموصل، كثيرا ما كان يطلب قوات حكومية للمساعدة في السيطرة على افخاذه المنشقين[2].

قبل الحرب العالمية الاولى اضعف العثمانيون اكثر من ذلك شمر الشرقية إما بخلق المنافسات بين الرؤساء العديدين او اثارة المنافسات الموجودة. مثلا، حصل تحد كبير لزعامة فرحان في ربيع 1884 حين طلب اخوة معجون بن صفوق اعتراف العثمانيين به كالرئيس

---

[1] مثلا تدخل الحكومة سنة 1889. وزارة الخارجية 1647/195 بغداد، القنصل العام الى وايت رقم 86، 1889/2/21.

[2] وزارة الخارجية 1682/195 بغداد، توبدي الى وايت، رقم 355، 1890/4/26.

الحكومي الاعلى. وقد ايد معجون عدد من رجال عشيرة فرحان باشا، فعرض ان يدفع للحكومة ضريبة مواشي سنوية قدرها نحو 10000 ليرة تركية وان يتنازل عن الراتب الشهري المعتاد اذا اعترف به رئيسا لشمر في سنجق الموصل[1].

بالرغم من راتبه الشهري السخي البالغ 25000 قرش نفر فرحان الكثيرين من اتباعه ببخله. ونظرا الى العرض المهم الذي قدمه معجون اقترح والي الموصل ان يسمح له بان يجبي الضرائب السنوية كتجربة لمقدرته على اداء الوظيفة. لكن قبل اجراء التجربة الغيت بامر والي بغداد. وهكذا استطاع فرحان ان يدفع تحدي اخيه الاصغر غير الناجح فعلا وان يحتفظ بمنصب الرئيس الاعلى الى وفاته سنة 1890.[2] بعد وفاة فرحان باشا عادت مشكلة اختيار خلف له مرة اخرى تنشر الفوضى في وحدة العشيرة كما كان شأنها قبل نحو اربعين سنة بعد وفاة الشيخ صفوق. خصوصا ان فرحان باشا خلف ستة عشر ولدا لكل منهم ادعاء شرعي بزعامة العشيرة. وكان منهم مطلق وشلاح وعبد العزيز وفيصل والعاصي ومجول وزيد وبدر

---

[1] وزارة الخارجية 1478/195 الموصل، ريشاردز الى بلودن رقم 22، 1884/3/4.

[2] وزارة الخارجية 1478/195 بغداد، بلودن الى الايرل اوف دوفرين رقم 362، في 1884/5/21.

ومضر[1]. في بادئ الامر خلف العاصي اباه رئيسا اعلى بين جماعتــــه الكبرى. وخلال السنوات العشـــر التالية انتقلت مشيخة شمر الشرقيـــة بين حين وحين بين شلاح والعاصي ومجول وجار الله[2].

تقدم الاخبار التالية امثلة عديدة لشؤون شمر الشرقية المضطربـــة بين سنة 1890 و 1914. نشبت المعارك داخل العشيرة في ايار ســـنة 1897 حين تمرد فخذ الصائح على تعيين العاصي رئيسا اعلـــى مـــن جانب الحكومـــة، وقد مضى العاصي الى الموصـــل واسـتعان بدعـــم الوالي باعطائه فرسيه الكريمتين اللتين تساويان اكثر مـــن 200 لـــيرة تركية. وقد ارسل الوالي فورا مقابل ذلك عددا مـــن الجنـــود الخيالـــة لمساعدة العاصـــي في القضاء على التمرد[3]. بعد سنتين مرة اخـــرى، سنة 1899، تحدى شلاح العاصي بأرشائه حميـــد بـــك وكيـــل والـــي الموصل وبعد ذلك في نفس السنة يظهر ان الشيخ مجول بن فرحان قام ايضا برئاسة شمر العليا[4]. وحدثت مصاعب اخرى ســـنة 1902 حيـــن خرج جار الله ضد الشيخ العاصي بتاييد من فخذه العبدة ومفـــرزة مـــن

---

[1] فون اوبنهايم: البدو، الجزء الاول ص154.

[2] العزاوي: تاريخ العراق، الجزء الثامن، ص108.

[3] وزارة الخارجية 1978/195 الموصل، القنصل الى القنصل العام في بغـــداد، رقـــم 13، 1897/4/6.

[4] وزارة الخارجية 2055/195 الموصل، القنصل الى القنصل العـــام فـــي بغـــداد رقـــم 5، 1899/11/16.

الخيالة الاتراك[1].

تفاقم الصراع حول زعامة شمر الشرقية سنة 1905 حين شن فخذا العبدة والاسلم معارك علنية. وتفجر وضع عشائري متأزم حين اتهم جار الله العاصي بالعمل بصورة غير شريفة وتجاوزه على كرامته الشخصية. وقد امل جار الله ان يهين العاصي واتباعه اكثر من ذلك فتحرك مع العبدة من مخيمهم في البادية بين دجلة والفرات للهجوم على العاصي ومحاربيه على دجلة. وفي المعركة التي نشبت قتل رئيسا الفخذين كليهما الهادي بن العاصي وجار الله. وبقي الاسلم بدون رئيس بعد ان فقد الشيخ الهادي وسجن العاصي. وفي هذا الوقت تولى رئاسة الفخذ عم الهادي عضيب بن قعود رئيس فخذ الصائح ونجح بعد ذلك بدحر الاسلم في معركة تالية[2].

بعد هذه المعارك الدائرة داخل العشيرة شغل رجال شمر الشرقية انفسهم بسلب التجارة والرعاة المسافرين على طريق حلب – الموصل[3]. وكما كانت الحال منذ سنوات الثمانين (من القرن التاسع عشر)، لم ترسل الحكومة قوة عسكرية ضد شمر بعد كل حادثة صغيرة، بل انتظرت حتى يتم تنظيم حملة كبيرة. بعد سبع سنوات من النهب

---

[1] وزارة الخارجية 2138/195 الموصل،رسام الى القنصل العام في بغداد،1502/10/22.

[2] موسيل: الطبائع ص 566-569.

[3] وزارة الخارجية 12174/371 الموصل، نائب القنصل الى لاوثر، 1910/2/1

المزعج وفرض الخاوة الثقيلة، قام الاتراك اخيرا بمعالجة امر العشيرة السالبة بكل شدة.

في 2 كانون الثاني 1911 خرج من بغداد نحـــو 2000 جنـــدي تركي ومساعدين من العشائر بقيادة العميد رضا بك رئيس الاركان ضد شمر الشرقية. كانت حركة الجيش في اول الامر بطيئة بسبب بـــرودة الجو الشديدة[1]، لكنه لم يلبث ان جمع 4000 رجل مـــن شمـــر بقيـــادة الشيوخ مجول والعاصي وشلال في الحضر، شرقي قلعـــة الشرقـــاط، واخذت عليهم عهدا بدفع الضرائب المتاخرة البالغة 7000 ليرة تركية[2]. علاوة علـــى احتجاز عدد كبير من الاباعر والاغنـــام، عـــزل القـــائد التركي الشيـــخ مجول من الرئاسة العليا ومنح المنصب الـــى الشيـــخ هشام بن العاصي، وسبب ذلك استياء الشيخ حميدي الذي ايـــد الحملـــة التركية منذ بدايتها[3].

بين سنة 1911 ونشوب الحرب العالميـــة الاولـــى ســـنة 1914 سارت العلاقات بين الاتراك وشمر الشرقية على النمط المعتـــاد مـــن غارات عشائرية ومنهوبات صغيرة ومعالجة الحكومة المستمرة للرئاسة

[1] وزارة الخارجية 2367/195 الموصل، نائب القنصل الى قيزن، 1911/2/20.
[2] وزارة الخارجية 2367/195 الموصل، نائب القنصل الى لاوثر، رقم 11، 1911/3/15.
[3] وزارة الخارجية 2368/195: خلاصة الحوادث في العراق التركي، آذار 1913.

العليا[1]. والخلاصة اننا نرى انه خلال الاربعين سنة من وفاة عبد الكريم سنة 1871 إلى الاهانة سنة 1911، تغير وضع شمر الجرباء في الجزيرة تغييرا محسوسا. اصبحت العشيرة لا تستطيع تحدي الجيش التركي كما فعلت سنة 1870 – 1871، كما ان الاتراك لم يكونوا مرغمين على الاعتماد الشديد على شمر كمساعدين عسكريين لادارة المناطق كما فعلوا في وقت سالف[2]. وعلى غرار ذلك حطمت وحدة العشيرة النسبية لسنة 1871 خلال الاربعين سنة التالية. واخيرا تحدت التكنولوجية الحديثة بنجاح شيئا ما المزايا العسكرية التقليدية المتفوقة لبدو شمر كسرعة الحركة والمفاجأة والتنظيم.

---

[1] ل،ب اند س/10، الجزء الثاني، خلاصة الحوادث في العراق التركي، ايلول.

[2] عن الأستعانة بالشمريين كمساعدين عسكريين راجع ج. بارلو: معجم جغرافية بغداد (اعادة طبع، سملا 1915) ص126.

شمر والحرب العالمية الاولى

1914 – 1918

حين جندت اوربا جنودها للحرب في تموز 1914 واصـل بـدو الجزيرة طريقة حياتهم التاريخية. لم تسمع اكثر العشائر بامبراطورية هابسبورغ ولم تكن لتهتم اقل اهتمام بالحوادث التـي جـاءت فـي 28 حزيران 1914. ولكن في 5 تشريـن الثـاني 1914 حيـن تحـالفت الامبراطورية التركية مع الدول العظمى الوسطى، تورطـت مقـدرات شمر الجرباء مع سائر عشائر الولايات العربية داخـل الامبراطوريـة فـي سلسلة من الاحداث التي سوف تنتج بمرور الزمن تغييرا عظيمـا في حياتها[1].

خـلافا للعشائر البدوية في الحجاز التي انضمت الى العقيـد ت ئي لورنس والشريف حسين امير مكة لتحرير الولايات العربية فـي الامبراطورية العثمانية، لعب القسمان الشرقي والغربـي مـن شمـر الجرباء دورا صغيرا وغير بطولي في الحرب العالمية الاولـى[2]. لـم يقـدما الا القليل للمجهود الحربي سـواء لـدول الحلفـاء او الـدول

---

[1] لونغريغ: العراق 1900–195، ص75.

[2] فون اوبنهايم: البدو، الجزء الأول ص141.

الوسطى. يضاف الى ذلك ان الاتراك خافوا من العشيرة ومحاربيها العديدين وخشوا ان يكونوا رتلا خامسا يحتمل ان يهددهم وارادوا ان يسترضوا شمر خلال سنوات الحرب[1].

احتفظ الاتراك بولاء العشيرة بدفع رواتب شهرية واسناد مهام عسكرية ضئيلة مفيدة لرؤساء مختارين. ومن الامثلة لذلك تجربة مشعل بن فارس الرئيس الاعلى لشمر الغربية الذي منح رتبة مقدم ومخصصات شهرية كبيرة لحراسة سكة حديد حلب – الموصل ضد المخربين[2]. لكن الاتراك استخدموا شمر الجرباء كمساعدين عسكريين ضد القوات البريطانية في معركة واحدة مسجلة فقط. اشتركت مفرزة من رجال شمر في هجوم تركي على الحامية البريطانية في الشعيبة قرب البصرة في 12 نيسان 1915. بعد ثلاثة ايام من القتال العنيف خسر الجيش التركي خسائر فادحة وانسحب بعد ان اخفق في الاستيلاء على الشعيبة[3].

تكبدت الستراتيجية البريطانية اندحارا كبيرا حين استعادت القوات التركية الاستيلاء على الكوت في 29 نيسان 1916 بعد حصار طويل

---

[1] ئي رباث: التطور السياسي لسورية تحت الأنتداب (باريس 1928) ص241

[2] (غير موجودة في الأصل)

[3] فون اوبنهايم: البدو الجزء الأول ص141. للأطلاع على تفاصيل المعركة راجع ارنولد ولسن: ولاءات العراق 1914-1917 الجزء الأول (لندن 1930) ص34-35. العزاوي: تاريخ العراق الجزء الثامن ص287-279.

الامد. ولم يستطع الجيش البريطاني بقيادة الجنرال مود الا في كـــانون الاول من تلك السنة ان يستأنف مسيرته مرة اخرى نحو بغداد. وضعت القوات البريطانية خطة مفصلة ترمي الى تلافـــي مشاكلـــها التموينيـــة السابقة وتمكنت اخيرا من الدخول الى بغداد مدينة الخيال فـــي 11 آذار 1917[1].

مع ان الجيش البريطاني قد احتل عاصمة العراق السياسية فانـــه بقـــي في وضع ستراتيجي قلق. كان الوضع السليم يتطلـــب الســـيطرة على المنطقة شمالي بغداد وغربيها. خلال الســـنة والنصـــف التاليـــة انسحبت القوات التركية نحو الشمال على طول نهر دجلة امـــام التقـــدم البريطاني المستمر. ولما وصلت انباء الهدنة الى بغداد في 2 تشريـــن الثاني 1918، كـــانت القوات البريطانية قد تقدمت شمالا حتى الكيـــارة (القيارة) على بعد نحو اربعين ميلا جنوبي الموصل. ورفـــض علـــي احسان باشا القائد التركي في الموصل في بداية الامر تسليم البلدة الـــى البريطانيين[2].

لكن بعد تبادل مذكرات وعقد مؤتمر في 7 تشرين الثاني مع القائد العام البريطاني الجنرال وليم مارشال، استسلم علي احسان باشا اخـــيرا

[1] ولسن: ولاءات الجزء الأول ص232-234.

[2] لونغريغ: العراق 1900-1950 ص91-92

ووافــق على اخلاء ولاية الموصل خلال عشرة ايــام[1]. وهكــذا فــي تشرين الثــاني 1918 اصبحت القوات البريطانية تسيطر اسميا علـــى ديرة شمر الشرقية. وفي الجانب الاخر من الجزيـــرة شـــهدت شمـــر الغربية تخلية ديرتها من القوات التركية التي مضت الى الشمال نحـــو ماردين ونصيبين. وقام ضابط عســكري بريطــاني بملــئ الفــراغ السياسي في الجهة السورية من الجزيرة حين دخل الى دير الزور فــي كانون الاول 1918[2].

في خريف 1917 قابل البريطانيون لاول مرة **الشيــخ الشمــري الشاب الناهض عجيل الياور واباه عبد العزيز بن فرحان** حيــن جــاءا الى الجنوب من الجزيرة الشمالية التي كانت آنذاك لا تزال في الاقليـــم التركي، الى اراضي مخيماتها الشتائية بين الحلة والبغيلـــة[3]. ورافقــت الشيخيــن نحو 1000 خيمة، اكثرها من فخذ العبــدة. فــي الســنوات السابقة من الحرب تبعت العبدة الشيخ حميدي بن فرحان الذي كــان لا يزال مقيما في الاقليم التركي. لكن لاسباب غير معلومة تركــه الفخــذ

---

[1] ارنولد ولسن: ولاءات العراق 1917-1920، الجزء الثاني (لندن 1936) ص20-21.

[2] لونغريغ: العراق 1900-1950 ص106

[3] ل/ب اند س/685/10، النشرة العربية رقم 70 ص460، 1918/11/21. تعرف بلدة البغيلة الآن باسم النعمانية.

وانضم الى عجيل وعبد العزيز[1].

منذ 1917 وبعدها دارت شؤون شمر السياسية الداخلية حول قضية أي من شيوخ العشيرة المتعددين يحظى باعتراف البريطانيين الرسمي كرئيس اعلى. مثلما كان الامر قبل الحرب جعل العدد الكبير من ابناء فرحان باشا من الصعب جدا على شيخ واحد فرض سيطرته على كل شمر الشرقية. وقد أمل الشيخ فيصل بن فرحان الذي نال شرف زيارة شريف مكة الرئيس الضمني لحركة الاستقلال العربي، والذي كان اول شيخ شمري يقابل البريطانيين، ان يعترف به رئيسا اعلى[2].

تحدى اماله في الحصول على الدعم الحكومي مجيء عجيل الياور وعبد العزيز بن فرحان الى الاراضي البريطانية المحتلة في تشرين الثاني 1917[3]. ولم يحل شهر نيسان 1918 حتى هبط عدد اتباع الشيخ فيصل الى نحو 40 خيمة. خلافا لاتباع عجيل الياور العديدين انهى الدعم المحدود لفيصل اية اوهام بريطانية حول دعواه

---

[1] وزارة الخارجية 3397/371/ رقم 21421 التقرير نصف الشعري عن ولاية بغداد: اخبار العشائر، 1917/11/15.

[2] ل/ب اند س/685/10 النشرة العربية رقم 78ص 34، 1918/2/11

[3] وزارة الخارجية 3397/371/ رقم 21421، التقرير نصف الشهري لولاية بغداد: اخبار العشائر، في 1917/11/15

لرئاسة شمر[1]. هاجر عجيل وعبد العزيز، يرافقهما اتباعهما من العبدة، الى الشمال في آذار 1918 الى مراعيهما الصيفية. وفي ايلـــول مـــن السنة نفسها، فاجأت عشيرة عنزة، وقد انذرت من قبـــل الاســـتخبارات البريطانيـــة بقرب حصول غارة من شمر، جماعة غزو مؤلفـــة مـــن 400 رجل يقودهم عجيل الياور جنوبي عانة (عنه)[2]. وكانت هذه الغارة الفاشلة آخر عمل في المسرحية المحدودة بين بريطانية وشمـــر خـــلال الحرب العالمية الاولى.

---

[1] ل/ب اند س/732/10 التقرير نصف الشهري لولاية بغداد رقم 12، 1918/6/10.

[2] كالسابق

الفصل الخامس

مشيخة عجيل الياور

1918 - 1940

حين انتهت الحرب في تشرين الثاني 1918 اصبحت الولايـــات العربية التابعة للامبراطورية العثمانية فـــي وضع غير معـــهود حقـــا. لاول مرة خلال اربعة قرون تقريبا لم يسيطـــر الاتراك العثمانيون على مواطنها. أي شكل من السيطرة السياسية سوف يحل محل العثمـــانيين بقي غير واضح في اول الامر. انتشـــرت التخمينـــات حـــول البدائـــل المختلفـــة، من انشاء مملكة عربية الى سيطرة اوربيـــة، فـــي المـــدن الكبرى في العراق وسورية. حصلت المطامح العربية للاستقلال علـــى دعمها البدائي من زعماء مدنيين سياسيين ومثقفين. اما سكان الريـــف البسطاء فبقوا نسبيا غير معنيين[1].

بالرغم من محاولات اصحاب النظريات الوطنيين العـــرب فـــي دمشق وبيروت والقدس وبغداد، قررت مقدرات المنطقة السياسية مـــن قبـــل الدول العظمى. وهذه النقطة الحيوية صورها الواقع، وهـــو انـــه حيـــن انتهى القتال في تشرين الثاني 1918 احتلت القوات البريطانيـــة معظم انحاء العراق مما منحها موقعا ممتازا تستطيع منه ان تؤثر فـــي مستقبل هذه الولاية التركية السابقة. وخلافا للوضع الثابت نســـبيا فـــي

---

[1] من تفاصيل الشؤون بعد الحرب راجع: هوارد سكار: بروز الشـــرق الأوســـط 1914-1924 (نيويورك 1969) ص252-290. بـــوش: بريطانيـــا، الهنـــد 269-474. جوكـــا نيفاكيفي: بريطانيا وفرنسة والشرق الأوســـط العربـــي 1914-1920 (اكســـفورد 1969) ص104-240. زين ن زين: الكفاح لأجل الأستقلال العربي: السياسة الغربيـــة ونـــهوض الملك فيصل وسقوطه (بيروت 1960).

العراق، كانت الحالة في سورية غامضة في نهاية الحـــرب. اعــترفت فرنسة، بنتيجة اهتمام يعود الى قرون مضت في المنطقة واحكام معاهدة سريـــة مقررة، ان تتولى السيطرة على سورية بعـــد الحــرب. لكــن مطامح فرنسة خذلت حين تركت الهدنة الجيوش البريطانية والعربيـــة بقيادة الامير فيصل تحتل معظم القطر السوري.

بينما استمرت مفاوضات الصلح في باريس خـــلال ســـنة 1919 وحتى سنة 1920، بقي العراق تابعا للحكم البريطاني[1]. من ايار 1918 عمل العقيـــد ارنولد ت. ولسن وكيل مندوب ملكي ووجه انشـــاء ادارة مـــدنية واسعة. وكانت دائرة المندوب الملكي تدير كل شؤون العشائر و (السياسة) والامن والاحوال الاجتماعية. اما ســـائر الامــور فيعالجـــها خمســـة سكرتيرين للايراد (ايراد الاراضي، التســـجيل، المنازعـــات، الزراعة والبلديات) والمالية (الميزانيات، التدقيق، الكمـــارك والعملـــة) والصحة (الصحة، والاشراف الصحي، السجون المدنيـــة) والاشغـــال العامة (سكك الحديد، الموانيء، الري) والمواصلات. وبقيت الشرطـــة وشؤون المعارف ايضا تابعة لدائرة المندوب الملكي[2].

قام البريطانيون، عند تنظيم الحكم في العراق، باتباع التقســيمات الادارية التركية، وهي اللواء والقضاء والناحية، واعطاءهـــا مســـميات

---

[1] فيليب وآيرلند: العراق دراسة في التطور السياسي (نيويورك 1938) ص136-276.

[2] لونغريغ: العراق 1900-1950، ص107-114.

انكليزية مقابلة. وفي هذه الوحدات تولى الادارة موظفون عرب يحملون لقـــب متصـــرف وقائممقـــام ومديـــر، يســـاعدهم ضبـــاط سياســـيون بـــريطانيون. وقد نفذ البريطانيون سياستهم العشائريـــة عـــن طريـــق تسلسل هؤلاء الموظفين مما اثر تأثيرا عميقا في البدو من امثال شمـــر خلال السنوات بين الحربين[1].

جاء التصرف النهائي في الولايات العثمانية العربيـــة بتوقيـــع معاهدة سيفر في آب 1920 ومنح عصبة الامم الانتدابات فـــي نيســـان 1920 بيـــن 1918 ونيسان 1920 عمل الاداريون البريطانيون فـــي تيار متقاطع من الخلاف العراقي، لكن احكام الانتداب الممنوحة حديثـــا انهت هذا الغموض لامد قصير. حسب المادة 22 من ميثـــاق عصبـــة الامم جعـــل واجب تطوير الاقاليم التي لا تســـتطيع انـــذاك ان تقـــف وحدها على قدميها الى حد ان تصبـــح مســـتقلة (امانـــة مقدســـة بيـــد الحضارة)[2]. واشارت الفقرة الرابعة من نفس المـــادة الـــى الولايـــات العربية السابقـــة، بدون تسميتها فعلا، كمناطق تطـــور ســـكانها الـــى مستوى يمكن الاعتراف بهم بصورة مؤقتة كأمم مستقلة (بشرط تقديـــم مشورة ادارية ومساعدة)[3].

---

[1] كالسابق ص112-113.

[2] ارنست مين: العراق من الأنتداب الى الأستقلال (لندن 1935) ص67.

[3] عب اللطيف الطيباوي: تاريخ سورية الحديث بضمنها لبنان وفلســـطين (لنـــدن 1969) ص338-339.

تحملت بريطانية العظمى هذه المسؤوليات فـــاتخذت الاجـــراءات التي تعد العراق للاستقلال في الوقت المناسب. واعيد تنظيم الحكومــــة المحلية في كانون الاول 1920 مع عدة استثناءات، فوضع فـــي محــل الضباط السياسيين البريطانيين متصرفين وقائممقامين عراقيين كحكـــام فعالين في الالوية. وهذا النظام للادارة المحلية وانشاء مجلـــس وزراء عراقي هيأ للاهلين ان يروا ان العراقيين يشاركون في حكم بلادهم[1].

بعد موافقة مجلس الوزراء والموافقة الشعبية بطريقـــة الاســـتفتاء المعقود في تموز 1921، اصبح الامير فيصل الهاشمي، ملك ســـورية السابق، ملكا للعراق في 23 آب سنة 1921 ومع ان المملكة العراقية قد انشأت سنة 1921 فان بريطانية العظمى استمرت تسيطر على البـــلاد المنتدب عليها الى سنة 1932. في سنة 1922 حلت معاهدة التحـــالف الانكليزية العراقية، التي تضمنت اكثر احكام الانتداب الاصلية، محـــل اتفاق عصبة الامم لسنة 1920. وقد اصـــاب العـــراق ظـــاهرا بـــهذه المعاهدة حكما اداريا داخليا واســـعا ونفـــوذا محـــدودا علـــى شؤونـــه الخارجية. لكن السلطة الحقيقية بقيت في يـــد المنـــدوب الســـامي لان المعاهدة حافظت على السيطرة البريطانية علـــى الشـــؤون الخارجيـــة

---

[1] لونغريغ: العراق 1900-1950 ص129.

والمالية والقضائية والعسكرية[1].

في السنوات التالية حصل العراق على دستور (قانون اساسي) مكتوب ومجلس امة مؤلف من النواب والاعيان. زادت المطالبة باستقلال العراق في اواخر العشرينات، وبنتيجة مفاوضات جديدة عقدت المعاهدة الانكليزية العراقية لسنة 1930 التي هيأت لاستقلال العراق مع الاشراف البريطاني على الشؤون الخارجية والعسكرية. ثم بدأ الاستقلال سنة 1932 حين انضم العراق الى عصبة الامم. وكما نصت عليه المعاهدة، بقي النفوذ البريطاني الذي توجهه دار السفير محسوسا لمدة ربع قرن[2].

في سورية سارت الامور بعد الحرب مسارا مختلفا تماما عن العراق. في مواجهة مطالب فرنسة التعاهدية احتلت قوات بريطانية وعربية بقيادة الامير فيصل من مكة قسما كبيرا من سورية التاريخية حين وضعت الحرب اوزارها. وبينما قرر مؤتمر الصلح في باريس وعصبة الامم مصير سورية الرسمي، احتلت الجيوش الفرنسية المنطقة الساحلية وانشأ الامير فيصل حكومة عربية في دمشق. لكن الفرنسيين لم يهملوا هدفهم الاصلي، وانتظروا حتى حصلوا على الانتداب من

---

[1] دون بيرنز: الشرق الأوسط اليوم (نيويورك 1965) ص374-377.

[2] هوارد م. ساكار: اوربة تغادر الشرق الأوسط 1936-1954 (نيويورك 1972) ص16-19.

عصبة الامم قبل مباشرة الحركات العسكرية لاحتلال بقية سورية[1].

انتهى الاستقلال السوري في 25 تموز 1920 حين خرج الملـــك فيصل من دمشق امام الجيش الفرنسي المتقدم. وفـــــي ادارة الانتـــداب علـــى سورية، اتخذت فرنسة سياسة فرق تسد أكدت علـــى الخلافـــات الدينية والعرقية والمحلية. وهذه السياسة المقسمة المقرونة بنظام حكـــم محلي شغل فيه الموظفون الفرنسيون عددا كبيرا من المناصب الادارية ادى الى ابطاء تقدم سورية نحو الاستقلال[2].

---

[1] ستيفن هــ. لونغريغ: سورية ولبنان تحت الأنتداب الفرنسي (لندن 1958) ص61-123.

[2] الطيباوي: سورية ص341-378.

الجزيرة

1918 – 1920

ان التحليل السالف للحوادث الوطنية والدولية بعد الحرب تـــهيئ الخلفية اللازمة لدراسة تاريخ شمر الجرباء بين الحربين. كما ســـيبدو واضحا ان الحرب العالمية الاولى وما عقبها اثرت في مسيرة تـــاريخ شمر في الجزيـــرة اكثر من أي حادث آخر منذ ســـنة 1900. وبيـــن التغييرات التي حدثت اهمها وابرزها تدمير الامبراطورية العثمانية.

خلال اكثر من مائة سنة منذ هجرتها الى الجزيـــرة عـــاشت العشيرة تحت درجات مختلفة من السيادة العثمانية. واصبحـــت انمـــاط سلوك شمر التي تطورت خلال القرن الاخير لا شان لها بعد الحـــرب. لقد حلت محلها علاقات جديدة لا بد من عقدها في نطاق انظمة الحكـــم التي انشأها الانتدابان البريطاني والفرنسي. والشعور بالامن الذي عرفه رعايا الاتراك المختلفون بنتيجة المشاركة الطويلة الامد مـــع حكامـــهم السابقين قد تبدد بسرعة. وقد اصبحوا الان يرون سادتهم الجدد وغـــير المعهودين بشك وتخوف.

في تشرين الثاني 1918 تحقق الشمريون ان القوات البريطانية احتلت جزءا كبيرا من ديرتهم التقليدية، لا سيما المنطقة التي تمتد مـــن بغداد جنوبا الى الموصل شمالا وشرقا. ولما انسحب الاتـــراك نـــهائيا

صارت ولاية الموصل برمتها تحت السيطرة البريطانية[1]. والى الغرب كانـت شمر الغربية المقيمة في سنجق دير الزور اقل تاكدا من وضعها السياسي فالقوات البريطانية نشرت حامياتها مؤقتا في بلدة دير الــزور علـى الفرات، ولكن في نفس الوقت طالبت حكومـة الملـك فيصـل العربية ايضا بالمنطقة[1].

ومهما يكن الوضع في اواخر 1918 واوائل 1919 فان عشيـرة شمر واجهت امكان وجود ثلاث حكومات منفصلة تسـيطر علـى ديرتـها. وكانت حالة الامور هذه مصدر مشاكل متعددة في المستقبل.

ان الحدود الجديدة سوف تعني ان هجرة شمر السنوية المقرونة بنشاطها في الغزو قد تسبب منازعات دولية. ووحـدة العشـيرة، وقـد اخلـت بها الخلافات الدائمة حول الرئاسة، تصـاب بضعـف اخـر. يضاف الى ذلك ان الشيوخ المنشقين الذين لم يكن فـي وسـعهم فيما مضـى الفرار من قبضة الحكومة بدون اجتياز السفرة الطويلـة الـى جبل شمر في شمال جزيرة العرب، يستطيعون الان بكـل سـهولة ان يجدوا ملجأ بمجرد العبور الى قطر مجاور.

عدا هذه المشاكل الواضحة المتعلقة بـالحدود، واجـهت شمـر مصاعبا محتملة اخرى تنشأ عن الانتدابين البريطـاني والفرنسـي. ان حقيقـة ان العراق وسورية خرجا من التسوية السلمية دولتين منفصلتين

[1] العزاوي: تاريخ العراق، الجزء الثامن ص309-310

تحت الرعاية الغربية جعلت من المتوقع بروز انظمة ادارية في المنطقة فعالة اكثر من تلك التي تعودت شمر عليها. لكن، من وجهة نظر شمر، هيأ الحكم الاداري المحلي من قبل الفرنسيين والبريطانيين امكانية كئيبة.

نفذت السياسة العشائرية البريطانية في العراق عن طريق نظام حكم غير مباشر. وهذه السياسة التي انشأها لأول مرة السير روربت ساندمان في بلوخستان في اواخر القرن التاسع عشر، استخدمت التنظيم العشائري القائم لادارة مناطق واسعة وبعيدة نسبيا[2]. يكلف شيخ معترف به رسميا من الحكومة بتحمل المسؤولية :

لاجل السلم والنظام في عشيرته، لاعتقال المجرمين، لحماية خطوط المواصلات وممتلكات الحكومة. مقابل ذلك يمنح دعم الموظفين البريطانيين والنفوذ واذا اقتضى الاسلحة...[3]

تضاف الى هذه الواجبات سياسة الاعانات والاعفاء من الضريبة. بعد الحرب اصبح كل شيخ رسمي مسؤولا امام الضابط السياسي في منطقته. في سورية تطورت السياسة العشائرية الفرنسية حسب خطوط مختلفة. بدلا من استعمال رؤساء العشائر كوسائل ادارية

---

[1] لونغريغ: العراق 1900-1950، ص106.

[2] سي اي بروس: سياسة ساندمان تطبق على المشاكل العشائرية اليوم (في مجلة الجمعية الآسيوية الوسطى الملكية، 19 (1932) ص50-51.

[3] آيرلند: العراق 94.

اعتمد الفرنسيون على نفس موظفيهم كاداريين مباشرين للعشائر[1].

في صدد الحدود المعينة والادارة الفعالة والولاءات الثابتة ابرزت الجزيرة صورة ممتازة للفوضى. أخل انعدام الوحدة والنظام ايضا بشمر الجرباء، واصبح عهد النفوذ والقوة تحت رئاسة صفوق بن فارس مجرد حلم لا غير لشمر في سنة 1919. واذا عاد المرء الى الوراء عشرين او ثلاثين سنة فقط فانه يجد العشيرة متحدة نسبيا يراسها شيخان كبيران فقط فارس وفرحان بن صفوق. لكن منذ ذلك الحين اختل الاجماع على رئاسة العشيرة. ولم تحل سنة 1918، حين حاول البريطانيون اختيار رئيس اعلى مسؤول عن شؤون العشيرة، بدا انه من غير الممكن ايجاد رئيس يستطيع القيام بالمهمة[2].

ان عدم وجود رئيس شمري قوي والتكاثر التالي لزعماء ضعفاء متعددين يمكن شرحه بعدة طرق. قبل كل شئ تتطلب الزعامة العشائرية بعض الصفات التي تؤلف المادة الحيوية لحياة البدو التقليدية مع التاكيد على الشجاعة والكرم والحكمة فضلا عن شئ من قوة الشخصية. لا شك ان الشيخ البدوي الاعتيادي، خلافا لرجل مثل صفوق الشهير، لا يتوقع منه ان يمتلك كل هذه الصفات المثالية. وحقيقة مهمة تتصل بهذا العنصر هو التأكل التدريجي لثقافة شمر البدوية بدءا

---

[1] لونغريغ: سورية ص120،127

[2] وزارة الخارجية 134082/4150/371، التقيرر الشهري عن الأراضي المحتلة، كانون الثاني 1919.

من مشروع اسكان فرحان باشا في الشرقاط سنة 1870 الى سنة 1918 نفذت عدة مشاريع اخرى لاسكان شمر على جانب الجزيرة. فالشيخ حميدي بن فرحان وبدر بن فرحان شجعا الاستيطان على قناة الفرحتية قرب بدر على دجلة شمالي بغداد. كذلك الشيخان عجيل الياور ومحمد الانجرفي من الموصل كان لهما اهتمام بمشروع اسكان في الشورة الواقعة على نهر دجلة ايضا بين قلعة الشرقاط والموصل[1].

اخل عامل ثان بوحدة شمر هو تنصل القداسة والاحترام المحيطين باسرة آل محمد التي كان شيوخ العشيرة يختارون منها[2]. في بادئ الامر دخلت العشيرة الى الجزيرة بقيادة رجل واحد من ال محمد الشيخ فارس الجرباء. وفي الاجيال التالية انتقلت المشيخة الى عدد متزايد من السلالة مما جعل من الصعب لرجل فرد ان يوطد زعامته العليا على العشيرة.

ثالثا:، مع تكاثر اسرة آل محمد جاءت سياسة الحكومة التركية في الوقت نفسه تفرق بين ابناء العشيرة بدعم دعاوى رؤساء متعددين.

رابعا:، ان التكنولوجية الحديثة والادارة التركية المتحسنة في الولاية خلال اواخر القرن التاسع عشر ابعدت احتمال بروز زعيم عشائري قوي. هذه التغييرات منعت أي شيخ من الحصول على نفوذ له

---

[1] وزارة المستعمرات 3/696 التقرير السنوي 1920 "لواء الموصل" ص9-11.

[2] كالسابق ص8

صلة بدحر القوات الحكومية، وهو عمل ساعد رؤساء شمر في الماضي على توحيد القبيلة[1].

هكذا في سنة 1919، حين اراد البريطانيون ان يعترفوا بشيخ شمري واحد كرئيس اعلى، انتهت جهودهم بالاخفاق[2]. ولاجل ان يكون نظامهم للادارة غير المباشرة فعالا كان على البريطانيين ان يقوموا في اول الامر بتعيين رئيس اعلى لشمر ثم دعمه. وهذا العمل يغير بصورة محسوسة شكل زعامة شمر، فمستلزمات الرئاسة لن تعتمد في الاساس على عوامل عشائرية، بل بدلا من ذلك، تصبح الحكومة المركزية الحكم النهائي في هيكل قوة العشيرة.

كان الشيخ العشائري فيما مضى الاول بين اقرانه، لا حول له الا ما يناله بشخصيته الرفيعة. ولم يكن له الا القليل من المزايا الخاصة والقليل من الثروة. تحت النظام البريطاني للحكم غير المباشر، يكون مركز الرئيس الاعلى ومصالحه شخصية اكثر مما هي عشائرية. وكما يدل عليه تاريخ شمر الجرباء خلال سنوات العشرين واوائل سنوات الثلاثين (من القرن العشرين) فان الرئيس الاعلى الذي خدم المصالح البريطانية كان مختلفا كل الاختلاف من أي زعيم اخر عرفته العشيرة في يوم ما.

[1] للأطلاع على تفاصيل هذه الأصلاحات الأدارية والعسكرية راجع الفصل الرابع ص

[2] لونغريغ: العراق 1900–1950 ص106، وزراة الخارجية 134082/4150/371 التقرق الشهري عن الأراضي المحتلة، كانون الأول 1918.

شؤون العشيرة

1919 - 1922

بعد اخلاء الاتراك لولاية الموصل بقيت الجزيرة مختلة الى درجة بعيدة. فالسكان المحليون الذين مثلت عشيرة شمر بينهم عددا كبيرا، وسادتهم البريطانيون لم يعلموا كلاهما ماذا يحمل المستقبل في طياته. وبقيت القضية المهمة المتعلقة بالمقدرات السياسية لولاية الموصل معلقة. وبقي ابن العاصي في محله ونسلم الشيخ حميدي بن فرحان اعانة شهرية قدرها 250 روبية للسيطرة على فخذي العبدة والصائح.

منح دحام بن الهادي ايضا اعترافا حكوميا كرئيس اعلى مع اعانة شهرية بعد اعادة مبلغ 3500 ليرة تركية نهبها على طريق نصيبين الموصل في اوائل تلك السنة. واخيرا اهان العقيد ليجمن عجيل الياور ابن عبد العزيز بن فرحان فترك عجيل الموصل فورا.

واصبح يكره البريطانيين كرها شديدا. واتضح من هذا الاجتماع ان عادة استيفاء الخاوة من المسافرين والقوافل التجارية والقرى المستوطنة لا بد ان يمنع في النهاية. لكن بالنظر الى ضعف وضع الحكومة سنة 1919، استمر فرض الخاوة في البادية، لكنها منعت

بين الزراع المتوطنين[1].

انتج اجتماع الموصل تغييرا ضئيلا في عادات شمر التقليدية. وفي نهاية 1919 اتبعت اوامر البريطانيين فخذا العبدة والصائح فقط برئاسة الشيخ حميدي، اما الافخاذ الاخرى المتفرقة تحت رئاسة شيوخها المتعددين فاستمرت على الغزو وفرض الخاوة. ولكن في شهر كانون الاول دفع دهام الهادي 1800 ليرة تركية من المبلغ المدين به للحكومة[2]. وجد نفور شمر من البريطانيين نقطة ارتكاز جديدة في كانون الاول 1919 بعد ان حلت قوات سورية يقودها القائممقام رمضان الشلاش محل الحامية البريطانية في دير الزور. وبعد الانسحاب اصبح نهر الخابور حدودا مؤقتة بين سورية والعراق[3].

يضاف الى ذلك ان الدعاية الشريفية التي تدعو العشائر العربية في العراق الشمالي الغربي الى الثورة اصبحت احدى التحديات المتعددة

---

[1] وزارة المستعمرات 30/692 التقرير السنوي 1920 (لواء الموصل) ص6. اليزابيث برغوين: جرتود بل: من اوراقها الخاصة 1914–1926 الجزء الثاني (لندن 1961) ص237.

[2] امر الموظفون البريطانيون دهام ان يعبر 3500 ليرة تركية نهبها في حادثة سلب على طريق نصيبين قبل ذلك في تلك السنة انتظر دهام ليرى ماذا يكون المستقبل فأعاد مبدئيا 1800 ليرة تركية فقط من المبلغ المدين به. لكن في تاريخ لاحق دفع مبلغ 500 ليرة تركية اخرى آملا ان يستعيد دعم الحكومة.

[3] وزارة المستعمرات 3/696 التقرير السنوي 1920 (لواء الموصل) ص1

للبريطانيين سنة 1920. برزت الانقسامات الدائمة المذهبية والعرقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق الحديث في صيف 1920.[1] وحصلت غارة من الخيالة الشريفية ضد عدة حاميات بريطانية في الجزيرة خلال اوائل حزيران، فبدأت سلسلة من اختلالات الامن غمرت المناطق الزراعية الوافرة السكان في جنوب العراق. ولاجل اعادة الامن جلب المندوب الملكي البريطاني أ ت ولسن قوات هندية بينما استمر احتلال العراق الجنوبي والاوسط خلال السنة[2].

من كانون الثاني الى اخر ايار 1920 بقيت افخاذ شمر المتعددة، كل منهما تحت رئيسه الخاص، مختلفة في موقفها نحو البريطانيين. بعض الشيوخ كحميدي ودهام الهادي وفيصل، نفذوا في الظاهر تعهداتهم للخدمة بصفة رؤساء العشيرة الرسميين. واتباعهم، مع ادعائهم بالولاء للبريطانيين، استمروا مع ذلك على استيفاء الخاوة وشن الغارات ضد اعدائهم التقليديين. والى الغرب خيم الشيوخ مشعل الفارس وبنيان بن شلال وعجيل الياور مع اتباعهم قرب دير الزور وكانوا

[1] ايلمر ل. هالدين: الثورة في العراق 1920 (ادنبرة 1923). أمل فينوغرادوف: اعادة النظر في ثورة العراق لسنة 1920: دور العشائر في السياسات الوطنية (المجلة الدولية لدراسات الشرق الأوسط، 3) (1972) ص123-139.

[2] لونغريغ: العراق 1900-1950 ص122-126.

عنصرا مناوئا للبريطانيين من بين شمر[1].

كانت معارضة شمر في مبدأ الامر هادئة، غير انها بلغت اوجها في اوائل حزيران. تاثر الشيوخ حميدي وعجيل الياور ومشعل الفارس وبنيان ووطبان بن فيصل بالدعاية الشريفية الموجهة ضد البريطانيين فانضموا الى قوات جميل بك النيناوي (احد خلصاء الملك فيصل الذي اتخذ بعد ذلك اسم جميل بك المدفعي واصبح رئيس وزراء العراق) القائد الشريفي والشيخ مسلط من عشيرة الجبور. في 4 حزيران هجمت هذه القوة المؤلفة من عناصر مختلفة على تلعفر وقتلت اربعة جنود بريطانيين واستولت على البلدة. وفي اعقاب انتصارهم مضت جماعات غزو برئاسة بنيان ووطبان وعدة شيوخ صغار اخرين فهاجمت طريق الموصل – الشرقاط وعدة قرى شرقي دجلة. ومع ان هذه الغارات سببت الذعر في الموصل والارياف المحيطة بها فان الهجوم فقد قوته ولم يلبث ان دحر امام القوات البريطانية والعراقية. وفي نهاية حزيران زال الخطر واستعاد البريطانيون سيطرتهم مرة اخرى على تلعفر. لكن العراق بقي في حالة

---

[1] وزارة المستعمرات 3/696 التقرير السنوي 1920 (لواء الموصل) ص6. للأطلاع على اسماء شيوخ شمر الذين اشتركوا في ثورة تلعفر سنة 1920 راجع قحطان التلعفري: ثورة تلعفر 1920 (بغداد 1969) ص171.

من اختلال الامن بسبب انتشار الثورة في الجنوب[1].

لم يكن لدى البريطانيين القوة العسكرية اللازمة لاحتلال كل الجزيرة فحاولوا مرة اخرى السيطرة على شمر عن طريق سياستهم في الحكم غير المباشر. ارغمت طوارئ مختلفة الحكومة على الاعتراف بدهام الهادي رئيسا اعلى. وان حقيقة كون الجزيرة في حالة فوضى وضرورة ايجاد ركيزة يمكن ان يسند عليها بوجه ما شبه امن ونظام[2] استلزمت ذاك الخيار. يضاف الى ذلك ان دهام الهادي لم يشترك في الغارة الشريفية على تلعفر. بعد المباحثة في الامر مع الموظفين البريطانيين في الموصل، رضي دهام بمسؤولية حماية مصالح الحكومة وتامين امن الطرق ومحاولة استرجاع المنهوبات. مقابل هذه الخدمات منح اعانة شهرية واجيز استيفاء الخاوة في طريق دير الزور – الموصل[3]–.

حدثت مصاعب جديدة بين شمر والبريطانيين في آب حين اخذ فخذا الصائح والعبدة البريطانيين على حين غرة وحاولا الهجرة الى الجنوب سرا. وقد نجحت خطتهم بصورة عامة عدا مجهودا بريطانيا ضعيفا لوقف هجرتهم ادى الى مقتل ضابط خيال بريطاني وستة من

---

[1] كالسابق ص2-4.

[2] كالسابق ص6.

[3] كالسابق.

جنوده[1]. وقضى دهام الهادي بقية السنة بجوار مملحة الاشجار (؟) او الحضر. وحينما كان في الجنوب وجه اهتمامه الى فرض الخاوة بصورة مفرطة وشن الغارات عبر الفرات[2].

وفي عدد من المناسبات ادعى دهام ان وقف هذه النشاطات البدوية التقليدية تنفر رجال عشيرته. واشتكى ايضا انه لا يستطيع وقف الغارات دون دعم من الحكومة. وقد اقترح الموظفون البريطانيون جوابا على معروضاته ان تمول الحكومة مفرزة من خمسين خيالا شمريا غير نظامي في النجمة لحماية طريق الشرقاط والمساعدة على السيطرة على العشيرة. قبل دهام هذا العرض بصورة تجريبية وارسل " الملا " التابع له ثلاثين من عبيد شمر الى الموصل للتجند وتسلم بنادق تجهزها الحكومة. لكن الاتفاق تدهور حين سجن دهام " الملا " ونزع اسلحة الرجال. ولما امر دهام باعادة الاسلحة التي جهزتها الحكومة هرب الى البادية[3].

بقي دهام الهادي بعد فراره خارج السيطرة البريطانية الى نيسان 1921 حين اعاد الثلاثين بندقية الى الموصل. ويحتمل ان هذا العمل نشأ عن تاثير ضعف المراعي وحاجة شمر بنتيجة ذلك الى شراء

---

[1] كالسابق ص7. جريدة "التيمس" (لندن) 16 آب 1920 ص9. هالدين: الثورة ص232.

[2] وزارة المستعمرات 696/3 التقرير السنوي 1920 (لواء الموصل) ص7.

[3] كالسابق ص 7-8

الحبوب من الموصل وتلعفر[1]. وقد انقلبت الحوادث تماما فزار دهام الموصل في شهر حزيران، واعترف باخطائه العديدة، وطلب بدء بداية جديدة بصفته الرئيس الاعلى المعين من البريطانيين. وبموجب اتفاق جديد، وافق مرة اخرى على السيطرة على عشيرته ووقف الغزو المتواصل وتنظيم استيفاء الخاوة واعادة المنهوبات. مقابل ذلك منح :

1. قرية على طريق نصيبين للقيام بالزراعة لمدة خمس سنوات مع الخيار في شرائها في نهاية المدة . 2. الحق الوحيد لاصدار اجازات لرجال عشيرته لشراء الحبوب من الموصل وسائر انحاء العراق . و 3. نسبة مئوية من ايرادات رسوم الملح[2].

هذا التغيير في موقف رجل وصف في تقرير بريطاني رسمي بانه " في مطلع الشباب، جاهل جدا، متعجرف جدا [3]، لم يأت بطبيعة الحال من سماحة قلبه. لكن دهام الهادي علم بذكائه من استبعاد البريطانيين لرؤساء شمر المختلفين الذين تورطوا في الغارة على تلعفر لن يكون طويل الامد. اكدت حوادث تموز وآب بسرعة شكوكه حول الولاءات المتذبذبة لبعض شيوخ شمر. وظهور عجيل الياور على المسرح العراقي بعد غياب سنة في سورية وتركية سرعان ما غير

---

[1] وزارة الخارجية 6352/371 ئي 8635 تقرير استخبارات العراق رقم 14، 1921/6/21.

[2] وزارة الخارجية 6352/371 ئي 10162 تقرير استخبارات العراق رقم 18، 1921/8/1.

[3] وزارة المستعمرات 3/696 التقرير السنوي 1920 (لواء الموصل) ص3

العلاقات بين دهام والبريطانيين[1].

اتفقت عودة عجيل الى تيار شؤون العشيرة مع وصول الامير فيصل ملك سورية السابق المرشح الاول للعرش العراقي. مع التـــاييد البريطاني القوي والتاكيد الساحق من "الاستفتاء" الوطني تـــوج الملـــك فيصل في 23 آب 1921. امل الملك الجديد ان يخلق لنفسه مركز قوة، فحاول ان يكسب رعاية ودعم رؤساء العشائر الاقوياء وخـــلال مـــدة حكمه نمى الملك فيصل الصداقة التي عقدها مع الشيخ عجيل الياور في سورية، فان رئيسا قويا وقديرا مثل عجيل غير مديـــن بـــولاء خـــاص للبريطانيين يكون ذا قيمة كبيرة للملك الجديد[2].

ارسل الملك فيصل، بموافقة البريطانيين، تحسين علي رسوله الخاص لزيارة عجيل الياور في مخيمه قرب ماردين في تركية[3]. ولمـــا رأى الشيخ الثائر تشجيعا لمقابلة الملك غادر تركية ووصل بغداد فـــي منتصف آب 1921[1]. وفي الاسبوعين التاليين حاول كـــل مـــن دهـــام الهـــادي وعجيل الياور، وكل منهما يقـــدم ولاءه للملـــك فيصـــل، ان

---

[1] وزراة الخارجيـــة 6353/371 ئـــي 10162، تقريـــر اســـتخبارات العـــراق رقـــم 22، 1921/10/1.

[2] لونغريغ: العراق 1900–1950 ص126–133.

[3] وزراة الخارجية 6352/371، ئـــي 10162، تقريـــر اســـتخبارات العـــراق رقـــم 18، 1921/8/1.

يحصل على العطف الملكي والسيطرة على قبيلة شمر العراقية. بالرغم من سجل تعاونه مع البريطانيين ودعم جده المتنفذ الشيخ العاصي حارب دهام حربا خاسرة ضد الحظوة الممتازة لعجيل الياور لدى الملك وجاذبيته الشخصية كشيخ بدوي كيس وحكيم[2].

توافد الوجهاء البغداديون وشيوخ العشائر المتنفذون على المجلس الذي يعقده عجيل، حيث بهرتهم شخصيته الجذابة وقصصه المسلية. على عكس ذلك كان دهام مجهدا في جهله وشبابه، وسرعان ما وجد وضعه كرئيس العشيرة الاعلى متهاويا امام حظ عجيل الصاعد. وقد ملئ الغيظ قلب دهام المستضعف على الملك فيصل وازدرى عجيل الذي كان يغتصب منصب اسرته، فغادر بغداد ومضى مسرعا نحو نهر الخابور[1].

تحركت الامور بسرعة خلال سنة 1922 حين رغب عجيل الياور ان يثبت منصبه الذي ناله حديثا كشيخ مشايخ شمر. وبنتيجة تسلمه المسؤولية ذات النفوذ والمال الزاخر لانشاء فرقة من الهجانة لحراسة البادية الغربية، فقد بذل جهوده عبثا ليترك انطباعا طيبا لدى المحسنين اليه. وجد مقاومة من رجال عشيرته الذين احتفظوا بتعاطفهم مع دهام الهادي. وقد اخفق عجيل في تجنيد رجال كافين لفرقة

---

[1] كالسابق

[2] وزراة الخارجية 6352/371 ، تقرير استخبارات العراق رقم 22، 1921/10/1.

الهجانة وفي الوقت نفسه، في موقعه بعيدا عن الحدود العراقية السورية، عاد دهام الشاب الغاضب لفرض الخاوة على طريق الموصل – دير الزور وحاول استعادة منصبه كرئيس اعلى لشمر العراقية[2].

جرى تبادل رسائل بين الملك فيصل ودهام انتهى بزيارته بغداد في اب 1922. وفي نهاية الاجتماع كان واضحا ان عجيل الياور يبقى رئيسا اعلى لشمر. لكن الملك امل ان يهدئ الرئيس الاعلى السابق وعرض عليه اعانة ومرتبة رئيس عشائري وحق توقيع اجازات الدخول الى المدن. رفض دهام الهادي المغتاظ قبول هذا التخفيض في مرتبته فعاد مرة اخرى الى الحدود السورية وفتح المفاوضات مع الفرنسيين[3] لقد فقد امتيازه في العراق – حق استيفاء الخاوة على طريق الموصل –دير الزور من السيارات وقطعان المواشي غير المحروسة – فانهى الرئيس الاعلى السابق تلك السنة كخارج على القانون مطلوب[4].

---

[1] وزراة الخارجية 6353/371 ئي 10532 تقرير استخبارات العراق رقم 1921/8/15.

[2] وزراة الخارجية 7771/371 ئي 5311 تقرير استخبارات العراق رقم 9، 1922/5/1.
وزراة الخارجية 7771/371 ئي 5937، تقرير استخبارات العراق رقم 10، 1922/5/15.

[3] وزراة الخارجية 7771/371 ئي 8715، تقرير استخبارات العراق رقم 15، 1922/8/1.

[4] الطيران 257/23/ قسم 2/ ملف 13، كوكس الى تشرشل، 1922/8/18.

الصراع بين دهام الهادي وعجيل الياور

1922-1932

مضى دهام متمثلا بالعديد من رؤساء شمر السابقين الخاسرين مسرعا نحو نهر الخابور ليخطط ثاره لكن خلافا لفارس بـن صفـوق الذي وجد مأمنا في الانحاء البعيدة بجوار الخابور قبل نصـف قـرن، كافح الشيخ المعزول دون نجاح نحوا من عشر سنين ليستعيد منصبـه. ان تحليل هذا الكفاح الطويل لايعطي صورة مفيدة لسياسة شمر الداخلية فحسب، بل يهيئ اكثر من ذلك فرصة حسنة لتقدير تحول الحياة البدوية الذي فرضته التغييرات العديدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية خلال سنوات مابين الحربين العالميتين.

التجا دهام الهادي الى فخذ الخرصة الذي كانت ديرته تقع على جانبي الحدود السورية العراقية[1]. ظل خلال عشر سنوات تقريبا يؤكـد ان التقاليد العشائرية تقتضي ان يكون هو، وليس عجيل الياور، رئيـس شمر الاعلى. ومع انه لم ينجح في اقناع الحكومة العراقية او مستشارين بريطانيين فقد استمر دهام على التمتع بشعبية كبيرة بين رجـال شمـر

---

[1] وزارة الخارجية 9009/371 ئـي 4743، تقرير الاستخبارات العراقية رقم 8، 1923/4/15.

بسبب الدعم المتواصل من جده الشيخ العاصي[1].

بعد ان انحاز دهام الى الخرصة سنة 1923 بقي الوضع الجغرافي لشمر ثابتا شيئا ما خلال السنوات القليلة التالية. كان لكل من الجماعات الكبرى الاربع في العشيرة رئيسها الخاص. فرجال العشيرة المقيمون في تركية برئاسة الشيخ العاصي الجزيل الاحترام الفوا اصغر جماعة. كان هذا الشيخ البالغ ثمانين سنة من العمر يحتقر البريطانيين والفرنسيين فاختار ان يمضي ايامه الاخيرة في ظل الاتراك سادته السابقين بقي معه حتى وفاته سنة 1925 العديد من ابنائه الكثيرين واتباع الشيخ الصغير عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم. وكان تاثيره على شؤون شمر ادبيا اكثر منه سياسيا[2]..

تالفت الجماعة الثانية من شمر السورية او الغربية تحت رئاسة الشيخ مشعل بن فارس. وهذا الفخذ من العشيرة الذي كان يدعي الانحدار من سلالة عمشة احدى زوجات الشيخ صفوق كان يعيش جنوبي دير الزور على نهر الخابور منذ اواخر سنوات السبعين من القرن التاسع عشر. وفي النزاع بين عجيل ودهام بقي مشعل الفارس عموما على الحياد صارفا جهوده في خدمة الرئيس الاعلى الذي عينه

---

[1] وزراة الخارجية 9009/371ئي 4188، تقرير الاستخبارات العراقية رقم 7، 1923/4/1.

[2] الطيران 259/23/ القسم 4، ضابط الخدمة لخاص في الموصل الى استخبارات الطيران رقم 1251 في 1923/9/4.

الفرنسيون لشمر الغربية[1].

الفت شمر العراقية او شمر الشرقية اساسا من فخذ العبدة وكانت اكبر الجماعات الاربع. وكان عجيل الياور بصفته الرئيس الاعلى الحكومي يرأس حسب المفروض كل شمر في العراق[2]. والجماعة الرابعة والاخيرة من عشيرة شمر الخرصة برئاسة دهام الهادي كانت تقيم على جانبي الحدود السورية العراقية. ودهام الذي كان يعيش مرة في سورية واخرى في العراق، لم يستطع ان يحرز لنفسه مركز قوة كما فعل عجيل الياور ومشعل الفارس[3].

حينما حاول دهام ان يستعيد منصبه كرئيس عراقي اعلى في اوائل 1923، كانت الجزيرة عموما والقطاع الفرنسي خصوصا في حالة من الفوضى. غلب الشك وعدم الثقة بين البريطانيين والفرنسيين والاتراك حول مطامحهم الاقليمية الواحد تجاه الاخر. انشئت ادارة بريطانية على شكل قوة عسكرية محدودة وخطوط عامة لسياسة عشائرية فعالة في العراق. وفي الجانب السوري من الجزيرة لم تنجز التهدئة العسكرية الفرنسية، والفت السياسة العشائرية عموما من

---

[1] زكريا:عشائر الشام ص 281-282.

[2] وزارة الهند ب اندس/المكتبة،التقرير العسكري عن العراق1-1 الجزيرة الشمالية(1922) ص106-111.

[3] فون اوبنهايم: البدو، الجزء الأول ص151.

التدخل العسكري المباشر ضد العشائر المتمردة على الخصوص.[1] والى الشمال استخدمت تركية عشائر عربية وكردية مختلفة كألعوبة في خططها لاسترجاع الاراضي التي خسرتها في العراق وسورية[2].

وجد دهام هذه الاحوال مثالية في مضايقة عجيل الياور في امل تشويه سمعة خصمه. اصبحت المواصلات على طريق دير الزور الموصل عرضة لاستغلال شمر المتواصلة لفرض الخاوة في النصف الاول من السنة. ونتجت اختلالات اخرى من عادة الغزو القديمة بين العشائر. وشهد فصل الربيع هجوم عشيرة الدليم على العقيدات فضلا عن الصراع المعتاد بين عنزة وشمر. وفي سبيل وضع حد نهائي لهذه الفوضى اجتمع الممثلون البريطانيون والفرنسيون في دير الزور للمباحثة في مشاكل العشائر الراهنة[3].

افضى هذا المؤتمر الى وقف المناوشات بين الدليم والعقيدات،

---

[1] الطيران23/258/ القسم 3، السكرتير الشخصة للمندوب السامي الى الطيران بغداد،1923/11/17. وزارة الخارجية 9009/371/ ئي 4188، تقرير الاستخبارات العراقية رقم 1923/4/1،7،ئي2123 تقرير الاستخبارات رقم 8 في 1923/4/15.

[2] الطيران23/258/ القسم 3، ضابط الخدمة الخاص بغداد الى استخبارات الطيران رقم29في 1923/5/14.

[3] وزارة الخارجية 9009/371/ ئي 2341، تقرير الاستخبارات العراقيةترقم1923/2/1،3،ئي1948 تقرير الاستخبارات رقم 1923/1/15،2-وزارة المستعمرات 38/736 بغداد، دوبس الى دي كية رقم 1923/3/1،372/50.

لكنه اخفق في التقليل من تناوب الغارات التي يشنها دهام واتباعه الذين مازالوا يخلون بالامن على طريق دير الزور – الموصل في اواخر الخريف[1]. وفي كانون الاول عين الفرنسيون مشعل الفارس رئيسا اعلى لشمر عمشة (الغربية) وجعلوه مسؤولا عن المنطقة بين دير الزور والحسكة في الشمال. وعلى مثال ذلك قبل دهام الهادي ايضا اعتراف الفرنسيين واعانة شهرية كرئيس لاتباعه من فخذ الخرصة. وقد وافق مقابل ذلك على حماية طريق الموصل ووقف استيفاء الخاوة من السيارات والتجار المارين. اما بين شمر العراقية فزاد الالحاح المتواصل من جانب البريطانيين على عجيل الياور لوقف غارات شمر.[2]

في سنة 1924 اخذت السياسة الادارية البريطانية والفرنسية تمس اكثر فاكثر بامتيازات العشيرة التقليدية. وجدت العشيرة نفسها على جانبي الحدود تواجه سياسة مرصودة لتأمين الامن والنظام في الجزيرة. خشي الشيوخ عجيل ودهام ومشعل الفارس كلهم هذه السياسة لانها

---

[1] وزارة الخارجية 9009/371/ ئي 9847، تقرير الاستخبارات العراقيةرقم17،1923/9/6– الطيران 259/23/القسم 4 ضابطالخدمة الخاص، بغداد الىاستخبارات الطيران رقم 168،1923/9/27– الطيران 259/23/القسم4 ضابط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطيران، رقم 1282،1923/11/19.

[2] الطيران 259/23 القسم4، رسالة من مشعل الفارس الى عجيل الياورفي 1923/11/1.

هددت تهديدا شديدا نظام حياة شمر التقليدية[1].

بدأ دهام الهادي السنة كرئيس اعلى للخرصة في سورية يواصل جهوده للتقليل من شأن عجيل الياور عن طريق الاسلوب التقليدي من شن الغارات ودس الدسائس. وقد شن الغارات على عنزة وطئ وعشائر الدليم فضلا عن فخذ العبدة فعادى الفرنسيين بتجاهل واجبه في وقف الغزو العشائري.[2] وفي نفس الوقت واجه عجيل مشكلة مقابلة تماما في العراق. لقد علم ان منصبه كشيخ اعلى يعتمد على صلاته الودية مع الملك فيصل وعلى الدعم البريطاني فحاول السيطرة على غزو شمر[3].

ان جهوده لضبط رجال عشيرته واسترجاع المواشي المنهوبة اغضب الكثيرين من شمر العراق. وقد امل ان يؤكد للعشيرة خطورة عصيان اوامر الحكومة ضد الغزو بين العشائر فقبض على احد كبار شيوخ العبدة بنيان بن شلال بن فرحان ورتب لسجنه في الموصل.

---

[1] كالسابق.

[2] الطيران 259/23 القسم4، ضابط الخدمة الخاص، بغداد الىاستخبارات الطيران رقم 1331، 1924/1/1- وزارة الخارجية 10097/371/ ئي 1616، تقرير الاستخبارات العراقيةرقم3، 1924/2/7. الطيران 85/23 القسم، ضابط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطيران رقم جي/125 في 1924/11/25.

[3] الطيران 13/1/260/23 ضابط الخدمة الخاص الى استخبارات الطيران رقم 1430 في 1924/5/2.

هرب بنيان، وهو يواجه غرامة فادحة وسجنا محتملا، وطلب ملجأ لدى دهام في سورية[1]. ولم يمض امد طويل حتى انشق اولاد شلال بن فرحان عن عجيل وانضموا الى بنيان في سورية. وقد رأى عجيل مشكلة مركبة من غارات دهام واولاد شلال فحاول خلال سنة 1924 أن يسترضي بنيان الغاضب[2].

ان الغارات التي شنها دهام الهادي وانضمت اليها شمر العراقية زادت في شدتها وسعتها. وهذا الاستخفاف الصفيق بالسلطة الفرنسية ادى في النتيجة الى عزل دهام كرئيس اعلى وطرده بعد ذلك الى خارج الاراضي السورية بتهديد الهجوم من القوة الجوية الفرنسية[3].طرد دهام من ملجأه السوري فكتب فورا الى الملك فيصل عارضا ولاءه الشخصي ومدعيا ان ابن عمه عجيل هو الذي منعه من العيش بسلام في العراق. وقد ظل على الحدود العراقية يستمر في المفاوضة من تشرين الاول الى كانون الاول مع الملك فيصل الذي مضى حتى الى

[1] الطيران 260/23 قسم 5، ضابط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطيران رقم 1381، في 1924/3/12.

[2] الطيران 13/1/260/23 ضابط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطيران رقم 1417 في 1924/5/5.الطيران 261/23 القسم 6،ضابط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطيران 1924/10/14.

[3] الطيران 8/23القسم1، ضابط الخدمة الخاص الموصل، التقرير الاسبوعي رقم جي/125،1944/11/25.

تحديد موعد للاجتماع في الموصل. لكن دهام تهرب من الموعد ولم يترك سبيلا للمصالحة[1].

وفي الوقت نفسه فاتح عجيل مرارا عن موضوع السلام دهام وبنيان كليهما من تشرين الاول 1924 الى نيسان 1925، لكن دهام، امام عروض متكررة، رفض ان يجتمع بعجيل[2]. ولاجل ان يؤكد غيظه اكثر من ذلك شن شيخ الخرصة عدة غارات صارخة ضد رجال الشيخ عجيل. وفيما عدا الفشل في الفوز بالصلح مع دهام وبنيان وشلال والعاصي الذي انضم الى حفيده المفضل في سورية، تمتع عجيل بصلات طيبة مع كل شمر العراقية[3].

وجاءت شعبيته المؤقتة من كرمه في تعويض خسائر العشيرة التي تكبدتها خلال شتاء شديد البرد جدا[4]. ولكن هذه المحبة الشعبية المفاجئة لم تلبث ان ذهبت في حزيران حين اخذ البريطانيون مرة

---

[1] الطيران 8/23/القسم 1، ضابط الخدمة الخاص الرمادي، التقرير الاسبوعي رقم أل/16/10، 1924/12/5. الطيران 143/23 القسم6، ضابط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطيران رقم ال/22/10، 1924/12/25.

[2] الطيران 143/23 القسم 6،فرع بي او 1924/11/29. الطيران 143/23 القسم6،ضابط الخدمة الخاص الرمادي الى استخبارات الطيران رقم 1693، 1925/4/6.

[3] وزارة الخارجية 10833/371/ئي 710 تقرير الاستخبارات رقم1، 1925/1/8.

[4] الطيران 1/10/143/23 ضابط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطيران رقم 1693، 1925/4/6.

اولا، رفع الحكومة العراقية منعها للغزو بين عنزة وشمر. بعد سنة واحدة تقريبا اخفق توقيف الغزوات بين العشائر، فاتفق الشيخان الكبيران عجيل الياور وابن هذال على استئناف الغارات العشائرية في مؤتمر نظمته الحكومة.وحين وافقت وزارة الداخلية، وهي مكرهة، على السماح بالغارات بين العشائر، اصبح اتباع عجيل الياور يستطيعون استئناف الغزو بدون ازعاج من الحكومة[1].

ثانيا، زادت جاذبية رئاسة عجيل ايضا في تشرين الثاني 1925 حين توفي الشيخ العاصي الموقر[2].

قبل سنة 1926 أخفق تدخل الحكومة في تقليل تناوب وشدة الغزو العشائري. لكن الحكومة العراقية عالجت الموضوع بهمة جديدة سنة 1926. اكدت بشدة ان عجيل بصفته رئيس شمر الاعلى يتحمل المسؤولية عن اعمال العشيرة. فاذا لم يتمكن من وقف الغزو فان اعانته تخفض بصورة محسوسة وتكلف مفرزة سيارات مسلحة بتأمين امن الحدود. لكن اذا تعاون عجيل في محاولة وقف الغزو فانه يحصل على دعم بريطاني كامل عسكري وسياسي[3].

---

[1] وزارة الخارجية 10833/371/ئي 6298 تقرير الاستخبارات رقم20، 1925/10/1.

[2] الطيران 146/23القسم4، ضابط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطيران رقم2053، 1925/11/15.

[3] الطيران 149/23القسم8، بريسكوت الى وزير الداخلية رقم سي 174، 1926/5/25.

اولا، رفع الحكومة العراقية منعها للغزو بين عنزة وشمر. بعد سنة واحدة تقريبا اخفق توقيف الغزوات بين العشائر، فاتفق الشيخان الكبيران عجيل الياور وابن هذال على استئناف الغارات العشائرية في مؤتمر نظمته الحكومة.وحين وافقت وزارة الداخلية، وهي مكرهة، على السماح بالغارات بين العشائر، اصبح اتباع عجيل الياور يستطيعون استئناف الغزو بدون ازعاج من الحكومة[1].

ثانيا، زادت جاذبية رئاسة عجيل ايضا في تشرين الثاني 1925 حين توفي الشيخ العاصي الموقر[2].

قبل سنة 1926 أخفق تدخل الحكومة في تقليل تناوب وشدة الغزو العشائري. لكن الحكومة العراقية عالجت الموضوع بهمة جديدة سنة 1926. اكدت بشدة ان عجيل بصفته رئيس شمر الاعلى يتحمل المسؤولية عن اعمال العشيرة. فاذا لم يتمكن من وقف الغزو فان اعانته تخفض بصورة محسوسة وتكلف مفرزة سيارات مسلحة بتأمين امن الحدود. لكن اذا تعاون عجيل في محاولة وقف الغزو فانه يحصل على دعم بريطاني كامل عسكري وسياسي[3].

---

[1] وزارة الخارجية 10833/371/ئي 6298 تقرير الاستخبارات رقم20، 1925/10/1.

[2] الطيران 146/23القسم4، ضابط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطيران رقم2053، 1925/11/15.

[3] الطيران 149/23القسم8، بريسكوت الى وزير الداخلية رقم سي 174، 1926/5/25.

اصبح القتال بين الخصمين خطيرا بصورة متزايدة منذ تشرين الاول 1925 حين اخذ دهام يتعهد الدعم بين رجال العشائر اليزيدية في منطقة سنجار. لقد استفاد من استياء اليزيديين من شمر العراقية بسبب الغارات المتعددة الشديدة من جانب رجال العشيرة التابعين لعجيل فعمل دهام على انشاء تحالف قوي ضد ابن عمه[1]. في نهاية ثلاثة اشهر من الغزو المتقابل على مقياس صغير، قرر دهام ان يواجه عجيل في معركة كبرى في البدي على الحدود السورسة العراقية. شد ازره 2000 تابع من عشيرة الجبور السورية فحاول ان يتغلب على قوة اصغر يقودها عجيل الياور. لكن هذه الامال الكبيرة سرعان ما خابت في صباح 2 نيسان 1926 حين وجد دهام لحزنه الشديد بعد شن الهجوم، ان سيارات مسلحة بريطانية انضمت الى عجيل في الليل. وانتهى امل دهام في النصر حين انقض سرب طيارات من القوة الجوية الملكية فجأة على شمر السورية[2].

خلال دقائق قصيرة انطبقت حقائق التكنولوجية العسكرية الحديثة بصورة لا تمحى على اذهان محاربي شمر البدو. وقد وجدت عادات الحرب البدوية القديمة اخيرا صنوها. غير ان الظروف الانية لم تسمح بوقت للتفكير، فلاذ دهام واتباعه بالفرار طلبا للنجاة. وطاردتهم

[1] الطيران 149/23القسم7، تقرير عن المعركة بين دهام.

[2] كالسابق ص50 هـ.

شمر العراقية مطاردة عنيفة ودفعت دهام ورجاله بعيـــدا فـــي عمـــق الاراضي السورية. وقتل عدد كبير من رجال الجبور والخرصـــة فـــي البدي[1].

في اعقاب فاجعة نيسان طلب دهام الغضبان ثأرا سريعا. ساعدته اعادة رئاسته العليا على الخرصة من جانب الفرنسيين في جهوده لتجنيد اتباع كثيرين[2]. وفي الوقت نفسه لقي الشيخ عجيل في العـــراق عزمـــا بريطانيا متصاعدا لوقف كل الغزو العشائري. في تموز صـــدر امـــر رسمي ينهي كل الغارات العشائرية وشخص نظاما شديدا لتنفيذ القـــرار الجديد. كان رد الفعل من جانب رجال شمر ان هربوا الى سورية حيث بقي الغزو قانونيا. ازاء تهديد الحكومة انقسمت جماعات الغزو الكبرى السابقة الى جماعات صغيرة لئلا يعثر عليها[3]

شعر الموظفون البريطانيون ان وقف الغزو عبر الحدود يســـتلزم تعاونا دوليا فطلبوا موافقة فرنسة على دعوة مؤتمر عشائري لتسوية كل

---

[1] كالسابق ص50 جي.

[2] الطيران 149/23القسم7، ضابط الخدمة الخاص، الموصل الى اســـتخبارات الطـــيران رقم10/م/306،1926/6/16.

[3] الطيران 23//149/1/10/1 المستشار لوزارة الداخلية الى المفتش الاداري في الموصل، برقية رقم سي/1840 في 1926/7/13. الطيران 23/275/1/21 وزير الداخلية الى سكرتير المندوب السامي رقم سي/1973 في 1926/7/27. الطيران 150/23 القسم 8، مقر الطيران الى المندوب السامي1926/9/22.

المطالبات البدوية الموقوفة وانهاء كل الغارات[1]. اما بشان السيطرة على شمر في داخل العراق فقد اثيرت فكرة وقف هجرتـــها الخريفيـــة الـــى الجنوب بفرض الحصار على الطرق المعتادة باستعمال سيارات مسلحة وطائـــرات . ومع هذه العملية كانت ممكنة من الناحية التكنولوجية فانها لـــم تحدث سنة 1926 لان المراعي الخصبـــة ســـمحت للعشـــيرة ان تقضي الشتاء في الجزيرة الشمالية[2].

هذه الجهود البريطانية المقررة انتجت تخفيضـــا محسوســـا فـــي غارات العشائر العراقية في اواخر 1926. لكن بالرغم من ذلك بقـــي الغزو مشكلة عويصة بسبب الاعتداءات التي شنتها العشائر الســـورية علـــى العراق. خلال تشرين الثاني وكانون الاول 1926 وكانون الثاني 1927 انتهك اتباع دهام الهادي وبنيان الشلال مرارا الحدود العراقيـــة. هذه الغارات اغضبت الموظفين البريطانيين الذين اتـــهموا الموظفيـــن الفرنسيين بانهم لا يتخذون اجراءات صارمة للسيطرة على البـــدو

---

[1] وزارة الخارجيـــة 11508/371،دوبـــس الـــى المعتمـــد الســـامي فـــي ســـورية رقـــم 12649،1926/10/29.

[2] الطيران 150/23 القسم 8، ضابط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطـــبران، برقية 1؟/409، 1926/9/29. الطيران 151/23 القسم 9، المفتش الأداري في الموصل الى وزارة الداخلية رقم هـــ كيو/1149، في 1926/10/2. وزارة الارجية 371/ 12304 ســـاتو الى بونسو، 1927/1/3.

السوريين[1].

بعد تبادل الاتهامات المتواصلة اجتمع الموظفون البريطانيون والفرنسيون في البدي في شباط 1927 للبحث في خطط ترمي الى عقد مؤتمر عشائري مقترح[2]. بين الاجتماع الاولي في البدي والمؤتمر الفعلي الذي عقد في عانه في 2 نيسان تبدلت السياسة الفرنسية تجاه دهام بصورة عظيمة. خلال اذار دعي الى دير الزور وأوعز اليه بكل شدة ان يوقف غاراته عبر الحدود. وزار مخيمه بعد ذلك ضابط فرنسي وكرر المنع[3].

أفتتح المؤتمر العشائري السوري الذي طال أنتظاره في نيسان في بلدة عنه على الفرات وحضر ممثلون عن كل القبائل الكبرى وموظفون حكوميون سوريون وعراقيون ومستشاروهم الاوربيون. قدمت المطالبات العشائرية الموقوفة ونوقشت مناقشة طويلة. وبالنتيجة

[1] الطيران 152/23 القسم 10، ضابط الخدمة الخاص الموصل الى مستشار وزارة الداخلية رقم ي م/692، 1926/11/30. وزارة الداخلية 11468/371/ ئي 7090، تقرير الأستخبارات رقم 24، 8؟/1926/12. وزارة الخارجية 12264/371/ ئي 121 تقرير الأستخبارات رقم 26، 1926/12/22.

[2] وزارة الخارجية 13760/371/ ئي 1329 تقرير الأستخبارات رقم 5، 1927/2/22.

[3] الطيران 154/23 القسم 12، ضابط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطيران رقم ي م/ 30أ، 1927/3/7. ضابط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطيران رقم ي م/ 30أ، 1927/3/15.

وافقت العشائر المختلفة أن تلغي كل المطالبات الموقوفة ولأنهاء عداوتها. عقد أتفاقات الصلح بين العشائر التالية :-

1. العشائر السورية العقيدات والباقرة وشمر العراقية وعنزة والدليم.
2. العراقية عنزة والسنجار وأفخاذ العامود من شمر السورية.
3. شمر العراقية وأفخاذ السباع من عنزة السورية.
4. العراقية العمارات من عنزة وشمر.
5. السورية الفدعان والدليم العراقية.
6. شمر العراقية وكل عنزة السورية

فيما يتعلق بشؤون شمر الداخلية تعانق الشيخان المتحاربان عجيل الياور ودهام الهادي ووافقا على العيش بسلام وقرار أخر للمؤتمر ودعا جميع العشائر الى التعاون كل مع حكومتها الخاصة في استيفاء (الودي) ضريبة المواشي.[1]

خلال سنة 1927 والسنوات القليلة التالية لعب الاهتمام بتطوير طريقة عادلة وفعالة لجباية ضريبة (الودي) دوراً كبيرا في شؤون شمر. حدثت مشاكل متعددة خلال المحاولة العراقية البدائية لاستيفاء

---

[1] وزارة الخارجية 12264/371/تي 2325، تقرير الاستخبارات رقم 10، 1926/5/11، بريطانية العظمى ووزارة المستعمرات 1927 "تقرير حكومة صاحب الجلالة البريطانية إلى مجلس عصبة الامم عن الانتداب على العراق.

الضريبة. هرب العديد من رؤساء شمر الى سوريا لتلافي تدخل الحكومة في شؤون العشيرة، لكن أعمالهم أصبحت بعد ذلك فاشلة لانهم أضطروا في نهاية الامر على العودة الى العراق.[1] كان فخذ الخرصة الذي يقيم على جانبي الحدود يقدم مشكلة أكثر تعقيدا، فيفرض عليه الضريبة مرتين او يتحاشاها. أثيرت الصعوبة الاولى لعدم وجود وثائق صحيحة، فكانت العشيرة التي دفعت (الودي) على جانب من الحدود ترغم على دفعها مرة أخرى حين تعبر الى البلد الاخر. وحدثت المشكلة الثانية في خريف سنة 1927 حين تحاشا الشيوخ الماكرون بنجاح دفع (الودي) بعبور الحدود حين جبي الضريبة في بلدهم. جرت حوادث كثيرة تتعلق بعبور شيوخ صغار من الخرصة الى العراق عند أستيفاء الضريبة في سوريا. وثار النزاع بين دهام وعجيل الذي سوي موقتاً في مؤتمر عنه، مرة أخرى بشأن موضوع جباية (الودي). نشأت القلاقل حين تبع دهام عددا من رجال قبيلة الخرصة الى العراق وأدعى أنهم مطلوبون (الودي) للحكومة السورية.[2]

---

[1] وزارة الخارجية 12305/371 بغداد، بورديلون إلى يونسو رقم اس او 2380، 1927/12/10. الطيران 155/23 القسم 13، المفتش الاداري الموصل إلى مستشار وزارة الداخلية، برقية رقم 2506، 1927/10/18.

[2] وزارة الخارجية 12305/371 جاردين إلى مساعد المندوب في دير الزور س ف سي 368، 1927/10/25. وزارة الخارجية 12265/371/ئي 4765، تقرير الاستخبارات رقم 22، 1927/10/27.

كان رد فعل الموظفين الفرنسيين بطيئا للشكاوي البريطانية حول غارات دهام في العراق لاستيفاء (الودي) من رجال عشيرتهم. وتمنعه من وقف الغزو عبر الحدود قد يكون ناشئا عن حقيقة كون دهام قد طار الى بيروت بعد مؤتمر عنه وعين رئيسا أعلى على كل من شمر السورية، وتعهد بتقديم قوة هجانة (جمالة) عدتهم 300 رجل وأعانة شهرية.[1] ويقوم علاوة على ذلك بجباية (الودي) فيقدم ايرادا كبيرا للحكومة السورية.

فيما عدا مشكلة (الودي) كان أثر التسوية لمؤتمر عانه العشائري أن أدى تخفيضا للغزو عبر الحدود سنة 1928. تعاون الموظفون البريطانيون والفرنسيون خلال السنة لتحسين أساليب جباية (الودي) رغبة في تقليل حوادث الحدود أكثر من ذلك. وفي نهاية السنة وافق الطرفان كتجربة على جباية (الودي) في نفس الوقت والتنازل عن المطالبة بـ (الودي) من أي عشيرة سبق لها دفعه في البلد الاخر.[2] وقد خفض أحتمال الغزو العشائري أيضا حين أمر البريطانيون عجيل الياور أن يبتعد عن الحدود السورية في شهر شباط، وحين أوعز الموظفون الفرنسيون الى دهام الهادي في تموز بلزوم كبح جماح

---

[1] الطيران 154/23 القسم 12، ضابط الخدمة الخاص الموصل إلى استخبارات الطيران رقم ي م / 3 آ، 1927/5/17.

[2] وزارة الخارجية 12305/371 جاردين إلى مساعد المندوب في دير الزور س ف سي 367، 1927/10/24.

أتباعه.[1] بالاضافة الى الخلاف بين أدهام وعجيل من المهم ذكر ناحيتين آخرين من سياسات شمر العشائرية سنة 1928. الناحية الاولى تتعلق بشيخ العبدة المتمرد. بنيان بن شلال الذي غادر العراق سنة 1924 وبقي عدة سنوات في سورية مع دهام وهو يغزو أتباع عجيل. كان بنيان مشاغبا، وقد وجد قيود أتفاق عنه لسنة 1927 كابحة. أستمرت غاراته حتى سنة 1928 حتى دعاه الموظفون الاتراك الى ديار بكر. وفي أجتماع عقد في أيلول صدر الامر الى بنيان بوقف الغزو على العراق وسوريا ومنح عدة قرى تعويضا عن ذلك.[2]

حادثة ثانية دلت على الوضع المتغير للعشيرة أزاء الحكومة العراقية حدثت في خريف 1928. في السنوات السابقة كثيرا ما أنتجت هجرة شمر السنوية جنوبا غارات شديدة. لكن في سنة 1928

---

[1] وزارة الخارجية 13702/371 بيروت، بونسو إلى دوبس رقم 64/ك د، 1928/1/18. الطيران 155/23 القسم 12، وزير الداخلية إلى المندوب السامي رقم سي 547، 1928/2/.

[2] الطيران 156/23 القسم 14، ضابط الخدمة الخاص الموصل إلى استخبارات الطيران رقم ي م 9، 1928/6/7. وزارة الخارجية 13073/371، تقرير الاستخبارات رقم 11، 1928/6/20. الطيران 156/23 القسم 14، ضابط الخدمة الخاص الموصل إلى استخبارات الطيران رقم ي م 1، 1928/8/9، الطيران 156/23 القسم 14 ضابط الخدمة الخاص الموصل الى استخبارات الطيران، 1928/9/13.

وزراة الخارجية 13073/371 بيروت، هونيو الى اليسن، 1928/7/21.

وزراة الخارجية 13073/371 بغداد، دوبس الى يونسو رقم 4042، 1928/3/31.

نفذت الحكومة قيوداً شديدة سيطرت على هجرة شمر لاول مرة. كان يجب أنجاز الحركة تعييناً خلال مواعيد معينة وجريانها على طريق مقرر سلفا. وعلى مثال ذلك لايجوز للعشيرة أن تعبر الفرات أو تغزو جزيرة العرب الشمالية. قبل ثماني سنوات فقط لم يكن في الامكان مراقبة هجرة شمر، لكن التجديدات التكنلوجية من طائرات وسيارات مسلحة وأجهزة أذاعة وهاتف، مقرونة بسياسة عشائرية شديدة، هيأت للحكومة العراقية مع مستشاريها البريطانيين أن تسيطر على العشيرة.[1]

أجتمع الموظفون البريطانيون والفرنسيون مرة أخرى في الحسكة في شباط 1929 فحسنوا طريقة جباية (الودي). تخفف المصاعب الناشئة عن تهرب فخذ الخرصة من دفع الضريبة بعبور الحدود بنقل كل العشائر على منطقة طولها 15 كيلو متر على الحدود قبل أسبوعين قبل بدء جباية (الودي). وتقوم سيارات الجيش المسلحة بتنفيذ العملية لتأكيد نجاحها.[2] وهذه الطريقة المحسنة لجباية (الودي) كان لها أفضل تأثير محسوس في سوريا. وكان رد فعل شمر السورية لهذه الطريقة لايؤبه له حتى بدل الموظفون الفرنسيون ضريبة (الودي) المعتدلة وفرضوا رسم (الكودة) الثقيل. ولم يحدث

[1] الطيران 156/23 القسم 14، وزير الداخلية إلى متصرف الدليم، الحلة الخ رقم 13563، 1928/9/3.

[2] الطيران 156/23 /10/1/ي تقرير عن مؤتمر الحسكة، 1929/2/17.

هذا التبدل حتى ثارت الاحتجاجات القوية.[1]

امام المعارضة القوية للضريبة العالية على العشيرة اعتمد الموظفون الفرنسيون كل الاعتماد على الشيخ دهام الهادي لجمع الضريبة الجديدة. وقد اغضبت الضريبة الجديدة فخذ الفراغة بشدة حتى أنها اعتدت على جباة الضريبة الحكوميين. وبنتيجة مقاومة شمر الغربية عزل مشعل الفارس مؤقتاً وعين الشيخ عبد المحسن بن عبد الكريم رئيسا أعلى في محله بعد أن وعد بجباية رسم الكودة الثقيل.[2] وأشتد استياء العشيرة من الضريبة الجديدة حتى أن أعدادا كبيرة من شمر السورية هددت بالأنتقال الى العراق.[3] وفي أمل أستباق اشاعة فرار دهام الهادي قدم الفرنسيون له دارا في شيل أغا حيث أستقر في آب 1929. وعلى غرار ذلك قرر أطلاق مشعل الفارس خوفا من ضياع فخذ الفراغة وأعيد رئيسا أعلى لشمر الغربية، ودفعت له رواتبه للمدة السابقة.[4]

خلال السنتين 1930 و1931 أصبحت المنافسة الطويلة الامر بين

---

[1] الطيران 157/23/10/1/ي ضابط الخدمة الخاص الموصل إلى استخبارات الطيران رقم ي م/37، 1929/7/4.

[2] كالسابق.

[3] كالسابق.

[4] الطيران 157/23 القسم 15 ضابط الخدمة الخاص الموصل إلى استخبارات الطيران، 1929/8/20.

دهام الهادي وعجيل الياور أقل مرارة أذ وقفت غارات العشيرة عبر الحدود فعلا وعقدت مؤتمرات عشائرية أضافية سورية عراقية سنة 1928 و1929 حلت الكثير من المشاكل الموقوفة بين رئيسي شمر حول الغزو وأستيفاء (الودي).[1] وهكذا لم تكد الحكومة السورية والعراقية تنشآن طرائق متماثلة لجباية الايراد حتى التفت رؤساء شمر الى مسؤوليتهم الثقيلة في أستيفاء (الودي) من عشائرهم.

أن الضريبة الثقيلة المستمرة في سورية خلال 1929 حملت مشعل الفارس ودهام الهادي على النظر في نقل عشائرهما الى العراق. وفي وجه دورة أخرى من الضرائب الباهظة عبر مشعل الفارس و1500 عائلة شمرية الحدود سرا الى العراق في أيار 1930.[2] خيمت العشيرة جنوبي جبل سنجار، ومضى مشعل لزيارة الملك فيصل. بعد محادثة ودية طلب الملك من شيخ الفراغة التوجه الى وزارة الداخلية حيث علم بسرعة بالشروط الثقيلة التي تفرض عليه اذا بقي في العراق. أولا، يكون شيخا ثانويا تحت عجيل الياور. ثانيا،يكون عليه مواصلة دفع الضرائب الى الفرنسيين في سوريا. ولما لم يقبل الشرطين

---

[1] الطيران 158/23 القسم 16، ضابط الخدمة الخاص الموصل إلى استخبارات الطيران رقم ي م/10، /7/1930.

[2] الطيران 158/23 القسم 16، ضابط الخدمة الخاص الموصل إلى استخبارات الطيران رقم 1/11/1، /2/1930. الطيران 158/23 القسم 16، التقرير الاداري للواء الموصل 1931.

عاد مشعل الفارس الى سوريا في كانون الثاني 1931 [1]. لقي الموظفون السوريون قلاقل اخرى حين بدا أن دهام الهادي أيضا مستعد للعودة الى العراق مع فخذ الخرصة مع أنه بدأ يراسل الملك فيصل عن عودتـــــه، فأن خططه سرعان ما أرتطمت بمعارضة عجيل الياور الذي خشي من وجود دهام فـــي العراق.[2] وقبل أن تسير الامور الى أبعد مـــن ذلـــك خفت المصاعب بين الفرنسيين وشمر بوجه محسوس بتخفيـــض نســـبة ضريبة (الودي) الى ربع مستوى سنة 1929.[3]

أن فشل دهام الهادي ومشعل الفارس في أيجاد ملجأ لـــهما فـــي العراق سنة 1931 يوضح بصراحة تبدل الحياة البدوية لشمـــر خـــلال السنوات العشر الماضية. وسجل عام 1932 لم يكن نهايـــــة الانتـــداب البريطاني فحسب وبداية استقلال العراق، ولكن يمكـــن أعتبـــاره حـــدا فاصلا في تاريخ شمر. لم يكن وقت في المائة والثلاثيـــن ســـنة التـــي قضتها العشيرة في الجزيرة، شهدت فيه مثل هذا التغيير العميـــق كمـــا شهدته خلال السنوات 1922 الى 1932.

---

[1] الطيران 1/10/1/158/23 مقر الطيران (اســـتخبارات اركـــان القـــوة الجويـــة 3د/33، 1930/5/8. الطيران 158/23 القسم 16، التقرير الاداري للواء الموصل 1930/1.

[2] الطيران 1/10/1/158/23 ضابط الخدمة الخاص الموصل إلى استخبارات الطيران رقم ي م/1، 1930/1/9.

[3] الطيران 158/23 القسم 16، ضابط الخدمة الخاص الموصل إلى استخبارات الطيران ي م/10، 1930/8/23.

خلال الخمسين سنة الاخيرة من الحكم التركي جاءت اثار توطيد الحكم المحلي وتحسين الوسائل العسكرية، كما أوضحناه في الفصل الرابع، لتنفي تفوق شمر العسكري وتخفض مستوى غاراتها لكن شمر وسائر العشائر البدوية في الجزيرة لم تشعر حتى حلول سنوات العشرين (من القرن العشرين) شعورا تاما بآثار العالم الحديث . بدأ هذا التغيير بتقسيم ديرة شمر بين ثلاث دول جديدة خلقت بعد الحرب العالمية الاولى. وضعت حدود سياسية جديدة لم تغير حرية شمر التقليدية في الحركة فحسب بل فرضت تمركزا أداريا آخرا ايضا.

أصطدمت نشاطات البدو التقليدية، كالغزو العشائري وأستيفاء الخاوة والعداوات داخل العشيرة، مع رغبة الدولتين المنتدبتين لتوطيد الامن والسلام. وجاءت التكنولوجية العسكرية المتفوقة، من طيارات وسيارات مسلحة ورشاشات، مقرونة مع وسائل المواصلات الحديثة كالهاتف والاذاعة، فساعدت الفرنسيين والبريطانيين لمنع الغزو وتنظيم استيفاء الخاوة. وهذا التفوق العسكري المطلق ضمن ايضا للحكومة المركزية السيطرة على السياسة العشائرية بتعيين رئيس اعلى تقوم سلطته على اساس دعم الحكومة. وقد فقدت شمر كل مقدرتها لتحدي الحكومة فأصبحت لا تستطيع الركون إلى عادتها التقليدية في استعمال القوة أو اتخاذ حماية البادية للتأثير على الاحداث

كما كانت تفعل في القرن التاسع عشر[1]. خلال السنوات ما بين الحربين تحول تأثير شمر في الشؤون السياسية بصورة متزايدة إلى يد شيـــوخ اقوياء تطلب الحكومتان السورية والعراقية ولاءهم ودعمهم. وعلى مثال ذلك زالت المطالب البدوية التقليدية من رئاســة العشــيرة، كالشجاعــة والفصاحة والحكمة والكرم التي كانت تميز الرئيس كزعيــم محـــارب، وحل محلها طلب فطنـــة سياســية مــتزايدة فــي السياســة الوطنيــة والدبلوماسية والمهارة العمليـــة. ان الطبيعة المتغيرة للزعامة العشائرية وجدت شكلها في سيرة عجيل الياور.

[1] ستين : شمر جربا، ص102-105.

اشكال متغيرة في زعامة شمر

سيرة عجيل الياور 1922- 1940

حين قبل عجيل الياور دعوة الملك فيصل للعمل شيخا لمشايخ شمر سنة 1922، فشل المنصب في احراز الاحترام الذي كان له في عهد شخصية مثل صفوق بن فارس قبل 75 سنة.[1] منذ وفاة فرحان باشا سنة 1890 قام الاتراك باضعاف شمر الشرقية بصورة متواصلة بالتلاعب بمنصب الرئيس الاعلى الحكومي لزرع التنافر بين ابناء فرحان باشا الستة عشر. وهكذا، حين تسلم عجيل المنصب، لم تكن الوظيفة تحوز القوة والاحترام. لكن خلال الـ 18 سنة التي شغل عجيل المنصب كشيخ معين من الحكومة اصبح من اغنى واوسع رجال العراق نفوذا. كيف تسنى له ان يبلغ هذا الوضع، ذلك ما يعطي فكرة واضحة عن تغير شمر خلال السنوات ما بين الحربين.[2]

في السلالة الواسعة لفرحان باشا، آخر رئيس اعلى قوي نسبيا لشمر الشرقية، لم يكن عجيل الياور يتمتع بحق أرث خاص يؤهله كزعيم العشيرة. وكان شيوخ آخرون، مثل فيصل بن فرحان ودهام

---

[1] وزارة الخارجية 371/7771/ئي 5311، تقرير الاستخبارات رقم 9، 1922/5/1.

[2] وزارة الخارجية 2329/371، شخصيات عراقية : عجيل الياور، 1940.

الهادي والعاصي بن فرحان وعبد العزيز بن فرحان، يستطيعون ان يطالبوا بقوة اكثر منه بزعامة العشيرة على اساس النسب. لكن عجيل الياور نال السلطة بسبب عاملين مهمين : (1) صفاته الشخصية كزعيم بدوي، و (2) صداقته مع الملك فيصل.[1]

كان في مظهره البدني وحده، طوله ستة اقدام و 6 انشات ووزنه اكثر من 200 ليبرة دون ذرة واحدة من الشحم، شخصية جليلة.[2] وقد ملك عجيل علاوة على مظهره المهيب صفات الزعامة البدوية التقليدية. جذبت شخصيته الجذابة ومقدرته في رواية القصص جموع وجهاء البلد ورؤساء البادية إلى حضور مجلسه في بغداد.[3]

بالرغم من مؤهلاته الجذابة كزعيم شمري رأى الموظفون البريطانيون في سنة 1921 عجيل كخارج على القانون لتورطه في غارة تلعفر سنة 1920.[4] لكن حين توج الملك فيصل في آب 1921 سرعان ما حل هذه المشكلة وعين عجيل الياور رئيسا حكوميا اعلى لشمر العراقية. وخلال اشغاله المنصب اعترف عجيل بذكائه ان منصبه يعتمد على دعم الحكومة لا على تأييد العشيرة. واسناد شمر الشرقية

---

[1] وزارة الخارجية 371/6349/ئي 11802 : شخصيات الموصل واربيل وبغداد 1921. الجميل : البدو ص 3-4. برغويهم : جرترود بل، الجزء الثاني، ص321-322.

[2] كالسابق ص237.

[3] وزارة الخارجية 371/6353/ئي 10532، تقرير الاستخبارات رقم 19، 1921/8/15.

[4] كالسابق.

لدهام الهادي في صراعه لحيازة الرئاسة يدل على ان عجيل فشل في احراز ولاء شمر الجماعي. وخلال سنوات العشرين حافظ عجيل على تأييد الحكومة بتنفيذ الامر غير المحبب الصادر بوقف كل الغزو العشائري.[1]

اتسع نفوذ عجيل على شؤون العشيرة كثيرا بين سنة 1923 و 1927. كان يقبض بصفته شيخا حكوميا اعانة شهرية قدرها 12000 روبية. قبل 1922 كانت الاعانات توزع على شيوخ شمريين فرديين. لكن لما اصبح عجيل رئيسا اعلى صار يتسلم اعانة كبيرة يقسمها شخصيا بين سائر الشيوخ. بالسيطرة على توزيع مال الحكومة صار عجيل يباشر رقابة عظيمة على الكثيرين من منافسيه المحتملين.[2] وعلى غرار ذلك فان قيادة قوة هجانة ممولة ومسلحة من جانب الحكومة، انشئت ظاهرا لحراسة الحدود، منحت عجيل سلاحا آخرا للتأثير على الشؤون العشائرية. فيما عدا طرائق السيطرة هذه جمع عجيل ثروة وقوة شخصية كبيرتين من الحق الذي منح له لجباية ضرائب الحكومة واصدار اجازات دخول إلى اسواق مدنية متعددة.[3]

---

[1] الهامش غير موجود.

[2] الطيران 144/23 القسم 2، وزير الداخلية إلى متصرف الموصل، برقية رقم 7876، 1925/6/27.

[3] الطيران 13/1/260/23 ضابط الخدمة الخاص، الموصل إلى استخبارات الطيران رقم 1446، 1924/6/6. الطيران 1/10/1/155/23 القسم 13، ضابط الخدمة الخاص الموصل

طلب البريطانيون كجزء من سياستهم العشائرية مـــن البــدوي الذي يدخل إلى بلدة عراقية ان يحمل اجازة نافذة من شيخـــه الاعلـــى. وهذا الطلب اصبـــح مهما جدا لدى البـــدو امثـــال الشمريـــين الذيـــن يحتاجون إلى حبوب وتمور لطعامهم اليومي. فاذا لم يمكن شراء هـــذه المواد فان العشيرة تموت جوعا. بفرض رسم على اجازة الدخول، لـــم يكتف عجيل بجمع المال بل وطد سيطرته اكثر على العشـــيرة. وكـــان استيفاء "الودي" من رجال عشيرته مصدرا آخرا للايـــراد. فـــي ســنة 1928 سمح له بالاحتفاظ بـــ 25 في المائة من الضريبة التي يجبيـــها من شمر.[1]

في اواخر العشرينات غيرت قوى اجتماعية واقتصاديـــة مختلفـــة ثقافة البدو التقليدية. بوجه خـــاص قيـــدت الادارة الحكوميـــة الفعالـــة والتكنولوجية العسكرية الحديثة سرعة حركة البدوي ومقدرتـــــه علـــى الحصول على المال من اعماله التقليدية كالغزو وفرض الخاوة.[2] وكذلك ادخال السيارات وسيارات النقل خفض الطلب على الابـــاعر كوســيلة نقل. وانشاء شركة نيرن للنقليات التي حملت الاحمال والركـــاب بيـــن بغداد ودمشق علـــى اساس منهاج منتظم ســـنة 1923 هيـــأت مثـــالا

إلى استخبارات الطيران.

[1] كالسابق.

[2] ستين : شمر جربا ص102-105. غلوب : البدو، مجلة جمعية آسية الوسطى الملكيـــة، 22 (1935) ص29.

واضحا للنظام المتحول.

وقد وجد الشمريون اكثر وسائل معاشهم التقليديــــة قــد اغلقــت فأرغموا على كسب معيشتهم بطرق اخرى.[1]

باشر عجيل الياور سنة 1926 مشروعا مقترحا لتطوير الاراضي اتفق عليه مع الملك فيصل فاشترى مساحات واسعة مــن الارض فـــي الجزيرة الشمالية.[2]

وفي اواخر سنوات الثلاثين اصبح يملك اراضي في قلعة الشرقاط وتكريت وتلعفر وقرب جبل سنجار.[3] في سنة 1936 و 1937 ســـببت محاولته شراء اراضي اخرى في الاقليم اليزيدي قلقا كبيرا فـــي وزارة الداخلية.[4] وتولى زراعة الاراضي التي يمتلكها عجيل رجال من عشائر مختلفة تابعة لشمـــر كالجبور. ولاجل تحسين الانتاج حضـــر رئيــس شمر الاعلى ذو الفكـــرة التقدمية عددا من الابار واســتخدم مضخــات

---

[1] كالسابق.

[2] الطيران 146/23 القسم 4، كورنواليس إلى سكرتير المندوب السامي رقم سي 263/216، 1926/1/28.

[3] فون اوبنهايم : البدو الجزء الاول ص150.

[4] وزارة الخارجية 2171/371/ئي 147، خلاصة الاستخبارات الخارجية للقـــوة الجويــة الملكية عن العراق ص 98، 1931/2. وزارة الخارجية 2171/371/ئي رندل إلـــى كــير، 1936/4/30. وزارة الخارجية 2002/371 وزير الداخليــة الــى الســفيررقم 342 ب أ 4، 1936/5/19 سي ج1 دموندس الحج الى الاليث (لندن 1967) ص64-65.

ذات محرك لتجهيز الماء الضروري.[1] وهذه الجهود الاستثمارية لم تنحصر في الزراعة فقط. فقد عمل بصفة وسيط وجهز عمالا عشائريا لمد خط السكة الحديدية من بيجي إلى الموصل وتولى تأمين الامن لشركة استثمار النفط البريطانية. هذه المشاريع قدمت واردات شخصية كبيرة لرئيس شمر الاعلى.[2]

احتفظ عجيل خلال حياته باهتمام كبير وشارك عمليا في الشؤون السياسية. ابتداء من سنة 1924 كان ممثلا لشمر في المجلس التأسيسي.[3] وكصديق مقرب للملك فيصل اثر تأثيرا محسوسا في الشؤون الوطنية. ومكانته كشخصية سياسية وطنية مثلت خير تمثيل بالشرف الذي منحته اياه الحكومة البريطانية سنة 1937 بدعوته في تلك السنة كمواطن اعتيادي لحضور تتويج الملك.[4]

زار عجيل بريطانية العظمى مرة اخرى سنة 1939. في الرسائل الرسمية التي نظمت زيارته، أشير إلى عجيل بأنه رئيس عشيرة عراقية متنفذ ومهم. وقد أمل البريطانيون ان يضمنوا ولاء شمر في حالة نشوب الحرب مع المانية، فاهتموا اهتماما كبيرا بالحصول على

---

[1] مارغريت بوفري : المنارة وخط الانابيب : امس واليوم في الشرق الأدنى، ترجمته عن الالمانية لويزام. سيفكنج (لندن 1939).

[2] برنارد قرنيية : العراق اليوم (باريس 1963) ص85.

[3] وزارة الداخلية : مذاكرات المجلس التأسيسي العراقي (1) (بغداد 1925) ص1338.

[4] وزارة الخارجية 2339/372/ت 7411 ما ترزهيد إلى غانس، 1937/5/4.

حظوة عجيل. ولما كان في لندن حضر المناورات العسكرية البحرية، واجتمع بالخبراء الزراعيين رغبة في تحسين اغنامه وانتاج حبوبه. وراجع خبيرا في مرض القلب.[1]

وحين زاد نفوذه وثروته الشخصية خلال سنوات الثلاثين استمر عجيل على الاحتفاظ بصلات وثيقة مع رجال عشيرته شمر. ومع انه كان يمتلك املاكا في بغداد والموصل فضلا عن دور في قلعة الشرقاط وتلعفر فان الشيخ الاعلى قضى وقتا طويلا مع عشيرته في البادية.[2] وحالما تمت تسوية النزاع مع دهام الهادي سنة 1933 لم تحدث اية منازعات كبيرة داخل العشيرة لتخل بشؤون شمر. وكانت اهم الحوادث في تاريخ شمرالسياسي من 1932 إلى 1940 تدور اساسا حول المنافسات التقليدية بين العشائر. ومن النزاعات الرئيسية التي حدثت بين العشيرة ومجاوريها ما حدث في آب 1933.[3] حين اشتركت شمر في هجوم الجيش على الآثوريين العراقيين في شمال العراق. ونشب قتال عشائري آخر سنة 1938 بين شمر وعشيرة العقيدات السورية، وفي شباط 1939 بين شمر وعشيرة العبيد العراقية. وقامت الحكومة بتنظيم اجتماعات بين القبائل المتقاتلة اسفرت عن نهاية

---

[1] وزارة الخارجية 23217/371، نيوتن إلى باستر، 1939/7/7.

[2] فون اوبنهايم : البدو الجزء الاول ص15.

[3] وزارة الخارجية 16807/371/ئي 4873، أوغلفي فوربس إلى وزارة الخارجية رقم 294 1933/8/21 لونغريغ : العراق 1900–1950 ص234.

سريعة للقتالين.[1]

اصيب عجيل الياور بسكتة قلبية وتوفي وهو يسوق سيارته فورد طراز آ قرب الشرقاط في اوائل تشرين الثاني 1940،[2] فخلفه ابنه صفوق خريج الجامعة الاميركية في بيروت رئيسا اعلى لشمر.[3] خلال مشيخة عجيل الياور من 1922 إلى 1940 شهدت شمر الجرباء سلسلة من التغييرات العميقة التي بدلت فعلا كل المظاهر من حياة شمر البدوية التقليدية. ومرت زعامة العشيرة، كما تدل عليه مسيرة عجيل الياور، بأعظم تغيير محسوس.

---

[1] وزارة الخارجية 2329/371 شخصيات عراقية (عجيل الياور) ص72 (1940). لونغريغ: العراق 1900–1950 ص284.

[2] سي جي ارموندس : مقابلة شخصية، كانون الاول 1971.

[3] لونغريغ : العراق 1900–1950 ص282. وزارة الخارجية 2329/371 : شخصيات عراقية (عجيل الياور) ص22 (1940).

الفصل السادس

شمر الجرباء

1958-1940

بوفاة عجيل الياور في اواخر سنة 1940 انتقل منصب رئاسة شمر العليا إلى ابنه صفوق، وهو بدوره تنازل عن الرئاسة لأخيه احمد في اواسط الاربعينيات. خلال المدة من الحرب العالمية الثانية إلى الثورة العراقية سنة 1958 كانت الاتجاهات التي بدأت خلال سنوات ما بين الحربين تمثل خلاصة تاريخ شمر العشائري. زاد احمد بن عجيل الياور القوة الاقتصادية والسياسية التي ورثها عن والده. وترك عدد اكبر من رجال القبيلة حياتهم الرحالة ومالوا إلى الاستقرار والزراعة وعلى مثال ذلك استمرت غارات الغزو وفرض الخاوة على الهبوط. لكن بالرغم من هذه التغييرات، احتفظت شمر بموقعها كالعشيرة العربية المتفوقة في الجزيرة. واشتراك العشيرة عسكرياً في ثورة الموصل في آذار 1959 يوضح هذه النقطة بجلاء.

خلال الحرب العالمية الثانية تعاونت شمر العراقية تعاوناً وثيقاً مع البريطانيين وحصلت على منافع مادية كالخدمة بصفة مساعدين عسكريين والاستفادة من بيع الحبوب الضرورية.[1] خلافاً لوضع آل الياور المفضل، ارتاب البريطانيون بطبيعة الشيخ دهام الهادي المتمردة ونفوه إلى جزيرة قمران القريبة من ساحل اليمن في البحر الاحمر.[2] في

[1] ن ن كساب : الرحالة في الجزيرة العراقية (بادن ورتمبرغ 1966) ص55.
[2] زكريا : عشائر الشام ص282.

سنة 1944 حين زاد الطلب كثيراً على الحبوب بسبب التموين ايام الحرب اخذ شيوخ شمر الاغنياء امثال احمد الياور بتوسيع الزراعة في اراضيهم الشاسعة. وكانت هذه الاراضي قبل النقص الكبير في الحبوب غير مستثمرة استثماراً كاملاً.[1]

استثمر احمد الياور الارباح التي جناها ايام الازدهار الاقتصادي في مشاريع زراعية واسعة خلال السنوات العشر التالية. خلافاً لعدد كبير من الشيوخ غير المتنورين في العراق الشمالي، أدخل تجديدات تكنولوجية عديدة كالساحبات وأنظمة الري الحديثة والحاصدات والدراسات ومضخات ماء ذات محركات لزيادة الانتاج.[2] وعمل رجال شمر والعشائر التابعة في الزراعة على اراضي احمد الياور الواسعة كفلاحين لا يملكون الارض. وحسب النظام الاقطاعي اصبح رجال العشيرة الذين لا يملكون ارضاً يعتمدون بصورة متزايدة على رؤساء عشيرتهم وفي سنة 1962 اصبح التباين بين الاملاك الارضية لشيوخ شمر الاغنياء وبين رجال العشيرة غير الملاكين شاسعاً جداً. اثنان وخمسون فرداً من آل الجرباء امتلكوا اكثر من 500000 مشارة بين هؤلا ء الملاكين كان ابناء عجيل الياور وحدهم يملكون نحو 150000

---

[1] ستين : شمر جربا ص105.

[2] دورين وارنجر : اصلاح الاراضي والتطوير في الشرق الاوسط (دراسة لمصر وسورية والعراق) (لندن 1957) ص138-139. يوجين ورث : Jung Wandlungen في المجلة الجغرافية الالمانية، هيدلبرغ 1963، ص267.

مشارة.

حملت زيادة الطلب على العمال نحو عشرين في المائة من شمر الجرباء على ترك حياتهم البدوية والاستقرار في القرى الصغيرة المتعددة في انحاء الجزيرة الشمالية. وفي كل قرية (مختار) ينظم النشاطات الاقتصادية والسياسية. لكن الاكثرية الساحقة من العشيرة واصلت اتباع حياتها الرحالة التقليدية.[1] مع ذلك دخلت الحياة الحديثة الى بدو شمر كما دلت عليه زيادة ارتداء الملابس الغربية واستعمال السيارات لدى زعماء العشيرة.[2] يضاف الى ذلك أن شباب شمر اصبحوا يعرفون الثقافة الحديثة بالخدمة كحرس حدود أو مساعدين عسكريين.[3]

بينما بدلت قوى "التحديث" بعض نواحي ثقافة شمر البدوية فأن العشيرة حافظت على تأثيرها كقوة لها قيمتها في الشؤون السياسية الوطنية. أستفادت شمر من البراعة العسكرية التي هيئت لها في البيئة الصحراوية المعادية فأثرت تأثيرها التقليدي القوي على القبائل المجاورة. وقد برزت حادثتان خاصتان من المعارك بين العشائر خلال الـ 18 سنة من وفاة عجيل الياور الى ثورة العراق سنة 1958.[4]

---

[1] كالسابق ص105، 115-118.

[2] كالسابق ص118-123. حونقاني : حضارة البادية ص215-216.

[3] ستين : شمر جربا ص123-124.

[4] جريدة نيويورك تليمس، 18 آذار 1959 ص4.

حدث قتال شديد بين شمر العراقية وعشيرة البومتيوت والجحيش في آب 1946 . أثيرت المصاعب حين رفض البومتيوت والجحيش أن يدفعا ايجار الزرع الذي سبق الاتفاق عليه عن ارض تعود الى ابناء عجيل الياور. أملت القبيلة ان تحل المشكلة أذ عرضت مطالبها على الحكومة العراقية، لكن بلا جدوى. وحين حاولت شمر مرة أخرى أن تستوفي الدين المستحق لها نشب قتال عنيف أدى إلى موت مائتي رجل من العشائر. وسرعان ما تجمع الحلفاء من العشائر في انحاء الجزيرة لمساعدة العشائر المتحاربة، لكن تدخل الحكومة السريع وضع حداً للقتال.[1]

حدث قتال كبير آخر بين العشائر سنة 1952 وأشتركت فيه شمر الجرباء. وفي هذه الحادثة الخاصة لقيت العشيرة مصاعب مع قبيلة عنزة. بدأ هذا الصدام المتجدد من قبيل العداء القديم في كانون الاول 1952 حين شن فخذ الدهامشة من عمارات عنزة عدة غارات غزو ضد فخذ الجعفر من عبدة الذي خيم في ديرة فخذ الصقور من عنزة عينتها الحكومة. قتل ثلاثون رجل من شمر في المعركة الاولية مع اربعة من محاربي عنزة. حسب العادة أسرع الجعفر الى أخذ الثأر في الشهر التالي بالهجوم على الدهامشة في شمال المملكة العربية السعودية وقتل رئيس عشيرتهم، على مثال ما جرى في قتال شمر سنة

[1] زكريا : عشائر الشام ص291.

1946 أوقف التدخل الحكومي المعارك بالتحكيم في المشاكل الموقوفة.[1]

ثالث الامثلة واشدها أهمية لقوة شمر السياسة العسكرية خلال المدة التي بعد الحرب حدث في اعقاب الثورة العراقية سنة 1958. أدت مصادر استياء كثيرة إلى تعكير الجو الذي نشأ عن اسقاط الحكم الملكي والحكومة المنتخبة في تموز 1958. منذ نهاية الحرب العالمية الاولى انتشر الهياج ضد بريطانيا وضد الصهيونية في انحاء القطر العراقي كما في اقطار اخرى. نشأت خيبة الامال هذه من الغرب عن تصريح بلفور والمراسلات بين الشريف حسين وماكماهون واتفاق سايكس بيكو ومعاهدة سيفر – وكلها قد حطمت مطامح عربية معينة. خلال السنين هزئ بالحكام الهاشميين في العراق والاردن الذين حصلوا على عروشهم بدعم بريطاني قوي واعتبروا ذيولاً للامبريالية الغربية.[2]

نشأ توتر اخر بنتيجة الخلافات والانشقاقات العديدة داخل المجتمع العراقي. وجدت مخالفات اساسية بين المسلمين وغير المسلمين، السنة والشيعة، الاكراد والعرب، الوطنيين والشيوعيين، الرحالة والمتوطنين، الاغنياء والفقراء. وقد فقد المجتمع العراقي من جراء هذا الانشقاق الاستقرار اللازم لتطوير نظام حكم ديمقراطي. وبروز جمال عبد

---

[1] الجميل : البدو ص290-291.

[2] اوريل دان : العراق تحت قاسم : تاريخ سياسي 1958-1963 (نيويورك 1969) ص1-12. بيرتز : الشرق الاوسط اليوم ص390-396.

الناصر كزعيم عربي شعبي وأتحاد مصر وسورية لتأليف الجمهورية العربية المتحدة سببا توترات اضافية خطيرة في العراق. وحين عارض الملك فيصل الثاني ورئيس الوزراء نوري السعيد الاتحاد السوري المصري بتأليف الاتحاد العربي مع الاردن الهاشمي في كانون الثاني 1958 بلغت هذه التوترات حد الانفصام.[1]

في 14 تموز 1958 ثار جماعة من الضباط الشبان يرأسهم الزعيم عبد الكريم قاسم، وهم يعتقدون أن الجيل السابق من الزعماء والسياسيين العراقيين قد أخفق في تطوير العراق بصورة صحيحة وقلبوا حكومة الملك فيصل والرئيس نوري السعيد. بعد قتال متفرق سيطرت قوات الثورة على البلاد. مع أنه لم يحدث سوى القليل من الضحايا نسبياً خلال الانقلاب فأن القتلى بين الزعماء الوطنيين الكبار كانوا كثيرين. لقي الملك فيصل وخاله ولي العهد الامير عبد الاله مصرعهما بيد القوات الثائرة في قصر الرحاب. وفي اليوم الثاني مزقت غوغاء بغدادية هائجة اشلاء نوري السعيد حين حاول الهروب متنكراً بملابس نسائية.[2]

---

[1] مجيد خدوري : العراق الجمهوري : دراسة في السياسة العراقية من ثورة 1958 (لندن 1969) ص5، 12-14. عن الفرق في المجتمع العراقي راجع مجيد خدوري : العراق المستقل 1932-1958 : دراسة في السياسة العراقية، الطبعة الثانية المعاد النظر فيها (لندن 1960) ص367.

[2] دان : العراق ص30-31، عن تفاصيل ثورة تموز راجع جريدة التايمس (لندن) 15

ولي الزعيم قاسم الحكم فأراد تغيير بنيان المجتمع العراقي عن طريق سلسلة اصلاحات ترمي الى تخفيض قوة الطبقة الحاكمة الثرية وتحسين شقاء الفلاحين والجماعات الحضرية، وكان الهدف الواضح لاصلاحاته الاملاك الواسعة للشيوخ المختلفين والملاكين الحضريين الغائبين. صدرت في خريف 1958 قوانين صارمة جديدة للاراضي نصت على اعادة توزيع الاراضي الزراعية العراقية. حسب القانون لايستطيع فرد ان يمتلك اكثر من 600 مشارة تقريباً من الاراضي السيح أو اكثر من 1200 مشارة من الارض التي لا تروى سيحاً.[1]

هذه القيود الصارمة ضربت مباشرة شيوخ العشائر الاغنياء مثل احمد الياور اكبر الملاكين في الجزيرة. وكانت ميول قاسم الشيوعية وشعوره ضد عبد الناصر ايضاً مخيبة للامال، وبذلك جاءت احداث 1958 واوائل 1959 تهدد بالخطر الجسيم وضع احمد الياور بصفته رأسمالي غني وزعيم عشائري. قام الشيخ الشمري المهدد بحركة جريئة يريد قلب جريان الحوادث،[2] خلال الاشهر الثلاثة الاولى من 1959 تآمر احمد الياور وسائر زعماء الموصل الاغنياء مع العقيد عبد

تموز 1958 ص8، 16 تموز 1958 ص10 جريدة نيويورك تايمس 14 تموز 1958 ص1، 15 تموز 1958 ص1، 16 تموز 1958 ص1، 17 تموز 1958 ص1.

[1] دان : العراق ص57-59. التايمس (لندن) تشرين الاول 1958 ص10، 2ت1 1958 ص7. نيويورك تايمس 24 ايلول 1958 ص4.

[2] نيويورك تايمس، 18 آذار 1959 ص4.

الوهاب الشواف قائد اللواء الخامس في لواء الموصل لاسقاط نظام قاسم.[1]

لعبت شمر بقيادة احمد الياور دوراً وثيقاً في ثورة الشواف التي نشبت في الموصل في 7 آذار 1959. خلال الاسبوع الاول من آذار هربت العشيرة اسلحة صغيرة عبر الحدود السورية، ولما اعلنت الثورة اقبل عدة آلاف من الشمريين على البلدة،[2] لكن حضورهم لم ينتج سوى نتائج ضئيلة، وخلال 48 ساعة جاءت قوات الجيش العراقي الموالية ورجال العشائر الكردية من الشمال الشرقي فسيطروا على الموصل. قتل العقيد الشواف قائد الثورة الفاشلة بيد موظف صحي كردي بعد ان جرح خلال هجوم جوي. بالرغم من ابداء شمر شجاعة فائقة في تلك الظروف الحرجة فقد تكبدوا خسائر فادحة حين انهارت الثورة. وقد وقف رجال العشيرة في آخر لحظة يدافعون عن منزل احمد الياور الموصلي الفاخر في قتال من الباب الى الباب ضد الحكومة،وقتل اكثر من 400 شمري بايدي الاكراد غير النظاميين[3].

أسرع احمد الياور، وقد رافقه مؤيدوه المطوقون بعد ان نفذ

---

[1] ميشيل مونسيرا : قضية الموصل، مجلة الشرق القسم 3، 1959 ص24-25.

[2] جريدة "لي موند"، باريس، 19 آذار 1959 ص3.

[3] حسن ارفع:الاكراد: دراسة تاريخية وسياسية (لندن 1966)ص132. عن تفاصيل ثورة الموصل راجع ((التايمس)) لندن، 9 اذار 1959ص10،10 اذار 1959ص10،11 اذار 1959 ص10،12 اذار 1959 ص12،14 اذار 1959 ص6.جريدة((نيويورك تايمس)) 9 اذار 1959ص،10 منه ص1،11منه ص1.

عتادهم، يطلب ملجأ في الحدود السورية.

وفي طول الطريق قام القرويون المخلصون للزعيم قاسم بقتل عدد من الشمريين الهاربين. وخرجت طائرات القوة الجوية مرارا تقصف بقايا القوة العشائرية الثائرة.[1]

وحاول احمد الياور من ملجأه في دمشق ان يواصل الكفاح ضد الزعيم قاسم، لكن جهوده منيت بالفشل وقد جرح الشيخ وطبان بن فيصل جرحا خطيرا في قتال الموصل فمات في القامشلي بسورية في 2 نيسان.[2]

في اعقاب الثورة الفاشلة احتجزت حكومة قاسم الاملاك الشخصية لاحمد الياور وحاكمته غيابا امام محكمة شعبية في بغداد وحكمت عليه بالموت.[3]

في 12 نيسان، بعد اقل من شهر بعد الثورة، منح الزعيم قاسم عفوا عاما عن رجال شمر الذين اشتركوا في ثورة الموصل. وكان هذا العفو الذي صدر عن نية طيبة مشجعا لمئات من الشمريين للعودة الى العراق.[4]

---

[1] مونسرا: القضية (مجلة الشرق،3 القسم 3،1959،ص28.

[2] مرآة الشرق الاوسط 11 رقم 4(5 نيسان 1959)ص12.((نيويورك تايمس)) في 18 آذار 1959 ص4.

[3] سنين:شمر جربا ص21.

[4] كالسابق. الشرق الحديث 39(1959)ص319.

ان الهزيمة الفادحة التي كبدها الجيش العراقي والقوة الجوية في ربيع 1959 اكدت عدم تمكن شمر من تحدي القوة العسكرية المتزايدة مقدرتها والمستخدمة للاسلحة المعقدة للحكومة المركزية. علاوة على ذلك ان مجرد حقيقة كون احمد الياور قد حاول تحدي حكومة قاسم يصور الحيوية المستمرة لعشيرة شمر الجرباء خلافا لسائر العشائر التي ارغمت على ترك اسلوب حياتها البدوية.ترجع هذه القوة المتواصلة الى ثلاثة عوامل:

اولا، ان شمر هاجرت الى الجزيرة في وقت متاخر عن سائر العشائر العربية الاخرى و ثانيا، انها حافظت على صلات وثيقة بموطنها العشائري في نجد مما ساعد على صيانة قوة ثقافتها البدوية[1] ثالثا، ان العشيرة حافظت على وضعها القوي عن طريق الزعامة القوية لعجيل الياور وابنائه الذين،بينما هم كيفوا انفسهم بنجاح للمجتمع العصري، حافظوا مع ذلك على الاتصال الوثيق باتباعهم من رجال العشيرة. خلافا لشيوخ كثيرين في جنوب العراق تنازلوا عن وضعهم في الزعامة العشائرية حين اصبحوا ملاكين غائبين، قضى الشيخان عجيل واحمد الياور مدة في كل سنة في الخيام مع ابناء عشيرتهما في

[1] روبرت مونتاني: ((ملاحظات عن الحياة الاجتماعية والسياسية في جزيرة العرب الشمالية)) (مجلة الدراسات الاسلامية 6(1932) ص63. قصص شعرية بدوية)) (نشرة الدراسات الشرقية 2(1932)ص 40-41،51.

البادية.[1]

ان المقدرة العظمى لاسرة الياور في استثمار نواحي الثقافة الحديثة لفائدتها مع الاحتفاظ بدعم رجال عشيرتها شمر هيات تناقضا محسوسا لشيوخ عشائر العبيد والعمارات. مثلاء ان اسرة الشاوي استقرت في بغداد خلال القرن التاسع عشر ثم فقدت دعم رجال عشيرتها العبيد.[2] في شكل اخر نجد فهد بن هزال الرئيس الاعلى لقبيلة العمارات العراقية قد فشل في التكييف للتغيرات السريعة التي حدث في السنوات بين الحربين، ولذلك فقد القوة السياسية التي فاز بها عجيل الياور في الشؤون الوطنية والمحلية[3].

واذا عدنا الى الوراء يمكننا ان ننسب القوة المستمرة لعشيرة شمر الجرباء في منتصف القرن العشرين الى براعة زعامة عجيل الياور الذي ثبت نفسه رئيسا عشائريا ذا مزايا نادرة من الذكاء والخيال.

---

[1] عن الملاكين الغائبين راجع روبرت فرنس: الشيخ والافندي:اشكال السلطة المتغيرة بين الشبانة في العراق الجنوبي(كمبريدج،1970)ص52.

[2] الجميل: البدو ص285-286.

[3] قون واينهايم: البدو الجزء الاول ص195.

الخلاصة

ان دراسة شمر الجرباء قد اتاحت فرصة فريدة لحسن فهم التاريخ المهمل لهذه العشيرة البدوية المهمة، بل انها، اكثر من ذلك، اضافت معلومات ثمينة عن ناحيتين اخريتين من تاريخ الشرق الادنى المعاصر. خلافا لبحوث كثيرة حديثة تتعلق بدراسة التحول الذي طرا في العواصم كالقاهرة واستانبول، ركز هذا المؤلف البحث في ناحية حيوية من التاريخ المحلي. يضاف الى ذلك ان هذه الدراسة هيات فرصة لفحص المشكلة القديمة المتعلقة بتاثير هجوم الاقوام الرحالة على الثقافة الحضرية المستقرة في العراق.

كانت شمر قسما فقط من الهجرة البدوية التي غادرت جزيرة العرب في نهاية القرن الثامن عشر بسبب التهديد العسكري والسياسي الناشى عن انتشار حركة الوهابيين الدينية المتعصبة. ارغمت على ترك ديرتها العشائرية الواقعة حول جبل شمر في نجد، فنقلت فئة من شمر بقادة الشيخ مطلق الجرباء نحو ملجأ مفترض في المنطقة النهرية من العراق الجنوبي. وهذا القسم من عشيرة شمر الذي صار يعرف باسم شمر الجرباء بقي في العراق بعد زوال الخطر الوهابي. وحين قتل مطلق الجرباء في معركة ضد الوهابيين تقلد الشيخ فارس الجرباء منصبه كرئيس اعلى واسس اسرة آل محمد الاسرة الحاكمة في شمر.

سرعان ما قاد الرئيس الاعلى الجديد رجال عشيرته عبر نهر الفرات الى الجزيرة. وانتجت هذه الهجرة خطا فاصلا في موازنة الجزيرة العشائرية والجغرافية السياسية.

حصل تصادم مصالح فوري حين تحدت شمر العبيد العشيرة الكبرى في الجزيرة للسيطرة على المنطقة.تعاون الشيخ فارس الجرباء ببراعة مع ولاة المماليك في بغداد فهزم العبيد عسكريا، ولم تمض سنوات قليلة حتى ارغمهم على ترك الجزيرة واتخاذ ديرة جديدة شرقي نهر دجلة. وفي محاولتهم السيطرة على الاراضي بين دجلة والفرات ارغم الشمريون ايضا عشيرتي طيء والجبور على مغادرة ديرتهما التي اشغلتاها قرونا. وفيما عدا اجراء اعادة تخطيط اساسي جغرافي سياسي قلب نمط الحياة النجدي البدوي لشمر ايضا التوازن الثقافي القائم في الجزيرة.

اصبحت شمر القبيلة العربية المتفوقة في النصف الشمالي من ولاية بغداد، ولم يمض وقت طويل حتى طورت مقدرتها العسكرية لتحدي اوامر الحكومة المركزية في بغداد والموصل. زاد الشيخان فارس الجرباء وصفوق بن فارس قوتهما العسكرية العشائرية الى حد كبير حتى ان والي بغداد من المماليك استعان بشمر الجرباء كمساعدين للجيش النظامي. في مناسبات متعددة بين 1805و1830 غلبت العشيرة فعلا معارك كبيرة لولاة المماليك. وهذه الانتصارات ضمنت للشيخين فارس وصفوق وظائف سياسية مربحة وصوتا قويا في شؤون الولاية. خلال هذه المدة من التوطيد توسعت ديرة شمر في انحاء الجزيرة والى العراق الشمالي.

بدا عهد جديد في تاريخ شمر سنة 1830 حين باشر السلطان

محمود الثاني اصلاحات دامت قرنا من الزمن لاعادة السيطرة العثمانية المباشرة على ولاية بغداد. حصر الباب العالي جهوده في اول الامر في احلال موظفين عثمانيين محل باشاوات بغداد والموصل شبه المستقلين. ولما مر الزمن، تم ايضا اخضاع رؤساء العشائر الاكراد والعرب الاقوياء المستقلين اداريا في الجزيرة وشمال العراق بحركات عسكرية منظمة ترمي الى انهاء استقلالهم وكانت حملة رئيسية سنة 1835 بقيادة رشيد باشا ادت الى القبض على الشيخ صفوق الزعيم الاسطوري وسجلت مبدا قرن واحد من المحاولات لثلاث حكومات مختلفة لوقف الغزو العشائري.

عاد الشيخ صفوق الى الجزيرة بعد غياب اجباري دام ثلاث سنوات في استانبول وحاول استرجاع وضعه السابق ك ((سلطان البر)) أي حاكم الاراضي.

وقد اغتيل الزعيم الكبير بعد عشر سنوات بيد اعوان نجيب باشا. خسرت شمر بوفاة صفوق اعظم قوادهم المقتدرين في القرن التاسع عشر.

ثقل الاتجاه نحو السيطرة العثمانية على شؤون العشائر بقوة اكثر على امتيازات البدو خلال سنوات الخمسين والستين (من القرن التاسع عشر). فالتنظيم العسكري المتحسن والتجديدات التكنولوجية كخطوط البرق ساعدت الحكومة على التخطيط لمهاجمات على مقياس واسع ضد شمر.

حاول مدحت باشا والي بغداد المصلح بين سنة 1868 و 1871 ان يسيطر على غزو العشائر عن طريق سياسة ذات حدين في دحرها عسكرياً ومنحها اراضي تكون بديلاً اقتصادياً حيوياً لحياة السلب والنهب. دمر مدحت باشا مقدرة شمر على تحدي الجيش العثماني في صيف سنة 1871 حين حطمت قواته ثورة عشائرية مدبرة قادها الشيخ عبد الكريم بن صفوق. ومع ان مشروع التسوية اعطى فرحان باشا منحة ارض واسعة في قلعة الشرقاط لقاء مساعدته في اسكان شمر فانه اخفق في تحقيق النتائج المطلوبة. لكن محاولة الاسكان الابتدائية هذه سجلت مرحلة كبرى في تبديل ثقافة شمر الجرباء البدوية.

خلال السنوات الاربعين التالية حدثت تجديدات تكنولوجية كنظام خطوط برقية متسعة وادخال البنادق المتعددة الطلقات، فزادت مقدرة الحكومة لتحديد غزوات شمر وفرض "الخاوة". وجاءت نهضة الاتحاد القوي لعشائر الملية الكردية في نهاية القرن تتحدى اكثر من ذلك تفوق شمر العشائري في الجزيرة. ولم تنشب الحرب العالمية الاولى حتى ادركت شمر بوضوح انها لا تستطيع تحدي اوامر الاتراك بالطريقة التي اعتادت عليها فيما مضى. مع ذلك استمرت العشيرة على نمط حياتها البدوية التقليدية.

زادت سرعة التغيير بشدة بين 1918 و 1939 حتى تمكنت الحكومة العراقية المركزية ومستشاروها البريطانيون اخيراً من السيطرة على شمر وسائر القبائل العراقية. يعزى تغيير توازن القوى

إلى عدة عوامل مهمة :- فالتسوية السياسية التي اعقبت الحرب والتي قسمت ديرة العشيرة بين حكومات منفصلة ثلاث اضعفت وحدة شمر. وعلى غرار ذلك هيأت التكنولوجية العسكرية المتطورة خلال الحرب العالمية الاولى القوة المتزايدة وسرعة الحركة اللازمة لتقييد غزو العشائر وهجرتها. نذكر على التعيين الاذاعة والهاتف التي يسرت المواصلات السريعة اللازمة لشدة هجوم الطائرات والسيارات المسلحة ضد جماعات شمر الغازية. وهذه التطورات التكنولوجية قضت على الامتيازات العسكرية التي تمتع البدو بها تقليدياً وتغلبوا على الحكومة المركزية.

ملاحظة ختامية مهمة اخرى يمكن استخلاصها من هذه الدراسة هي ان ثقافة شمر البدوية وتنظيمها العشائري قد تغير كل التغيير خلال المائة والخمسين سنة الماضية. خلال هذه المدة ابدت شمر عدم امكان الاحتفاظ بوحدتها. ان البذرة العشائرية المتحدة التي هاجرت إلى الجزيرة بقيادة شيخ قوي فرد هو مطلق الجرباء تنامت بسرعة حتى ان العشيرة، في سنة 1878، تجزأت إلى جماعتين مختلفتين : شمر الغربية في سورية وشمر الشرقية في العراق. ومثل ذلك ورثة الشيخين صفوق وفرحان الكثيرون من الاولاد، مع وجود نظام وراثة غير معين، انتجت منازعات خطيرة متعددة على الرئاسة كان لها شأنها في اضعاف وحدة العشيرة.

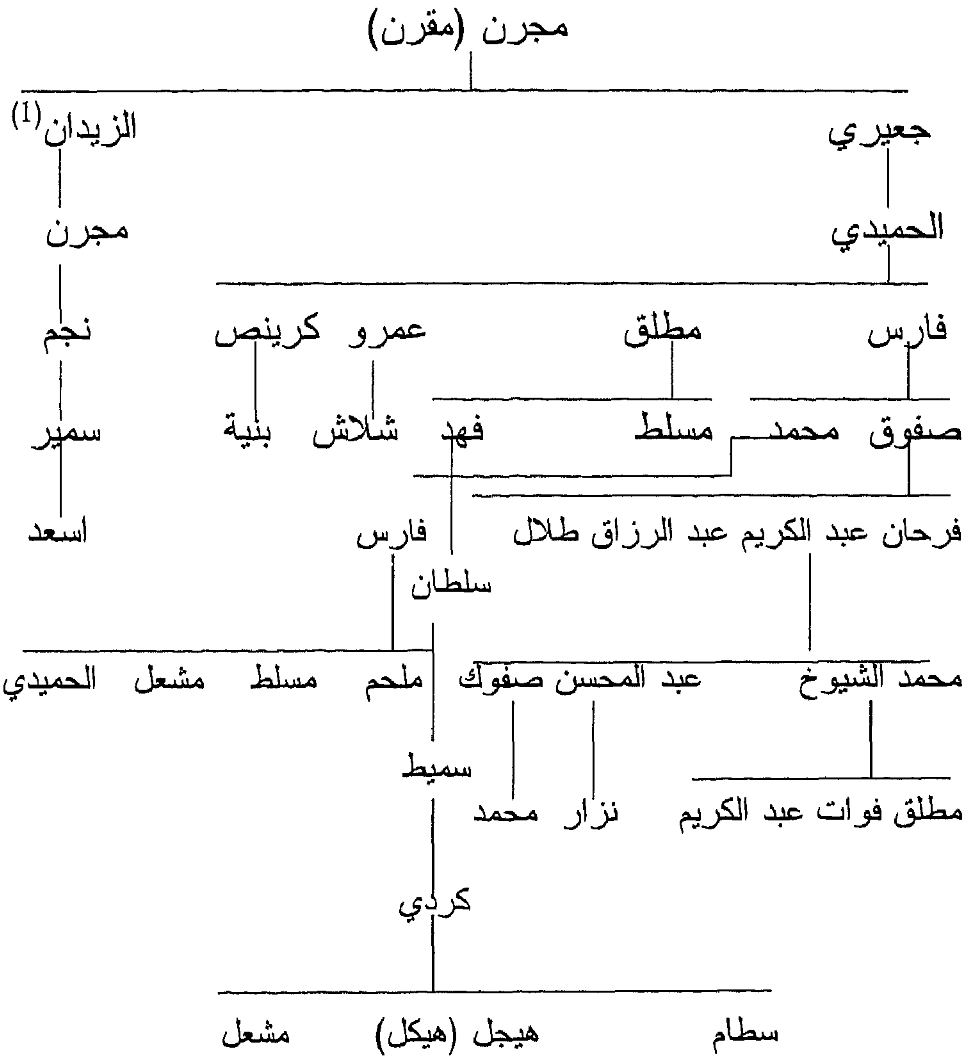
مرت ثقافة شمر النجدية البدوية بتغييرات محسوسة بزيادة

اتصالات العشيرة بالمجتمع المستقر خلال القرن التاسع عشر. مثلاً خلال سنوات الاربعين حين زاد الطلب الاوربي على الصوف العربي، اخذو افراد العشيرة يعملون رعاة لتجار الموصل الاغنياء. وكان الشمريون ايضاً يزورون كل سنة مدن الولاية المختلفة لشراء الحبوب الضرورية لمعيشتهم. وكان مشروع الاستيطان العشائري الذي بدأ به فرحان باشا في قلعة الشرقاط سنة 1870 مثلاً آخراً لتسرب الثقافة المستقرة إلى حياة شمر. لكن اعظم التغييرات العميقة في ثقافة شمر حدثت بعد الحرب العالمية الاولى. بين سنة 1920 و 1940 لم تبدأ وسائل النقل ذات المحرك بالحلول محل الجمال فحسب كالطريقة الاقتصادية للنقل في البادية بل جاءت تجديدات اخرى ارغمت الكثير من اقسام شمر على ترك حياتها الرحالة والاستقرار كزراع.

من كل مظاهر الثقافة الشمرية مر منصب رئاسة العشيرة كما كان مشخصاً في الرئيس الاعلى باعظم التطورات واشدها عمقاً. فالرئيس البدوي التقليدي مثل الشيخ صفوق بن فارس احرز منصبه ببسالته العسكرية وحكمته وفصاحة كلامه ومقدرته على تحدي الحكومة المركزية. خلافاً لذلك ان الرئيس الاعلى الناجح في العصر الحاضر مثل عجيل الياور نال منصبه، لا لمهارته الحربية، بل خصوصاً لشهرته كسياسي وطني وعلاقاته الوثيقة بالحكومة المركزية ومقدرته في الاعمال الاقتصادية ولم تأت جاذبيته كزعيم بدوي تقليدي الا في المحل الثاني.

كما تدل عليه نتائج هذه الدراسة بوضوح، ان عشيرة شمر لعبت دوراً حيوياً في تاريخ العراق وسورية الحديث لم يحز التقدير اللائق به من قبل. امام التحديات المختلفة الكثيرة خلال المائة والخمسين سنة الاخيرة، حافظت شمر على كرامتها وشخصيتها كالقبيلة المتفوقة في الجزيرة.

شجرة نسب آل محمد



[1] لم نتمكن من ذكر سلسلة الزيدان كاملة بتفريعاتها وانما اقتصرنا على رئيسها واتصاله بزيدان المذكور.

المصادر

دائرة السجلات العامة في لندن :

محافظ وزارة الطيران سلسلة 23 (الاستخبارات العراقية)

محافظ وزارة المستعمرات سلسلة 693، 696

محافظ وزارة الخارجية سلسلة 195 (تركية)

371 (بعد 1905)، 372.

وزارة علاقات الكومنولث : سجلات وزارة الهند، لندن

الدائرة السياسية والسرية، رسائل من الخليج 1830-1850

الوثائق المنشورة

بريطانية العظمى

وزارة البحرية : قسم الاستخبارات البحرية

سلسلة الكراريس الجغرافية : العراق والخليج (اكسفورد 1944).

المراجع العربية

عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين (8 اجزاء بغداد، 1935-1956)

- عشائر العراق (4 اجزاء) بغداد 1957.

حسين بن غنام : تاريخ نجد (مصر 1961).

عبد الله بن مسلم بن قتيبة : عيون الاخبار (4 اجزاء القاهرة 1925-1930).

عمرو بن بحر الجاحظ : البيان والتبيين (4 اجزاء، القاهرة 1968).

- كتاب الحيوان (8 اجزاء، مصر 1965).

مكي الجميل : البداوة والبدو في البلاد العربية (1962).
– البدو والقبائل الرحالة في العراق (بغداد 1956).
رسول الكركوكلي : دوحة الوزراء (مترجم عن التركية موسى كاظم نورس، بيروت 1963).
امين بن حسن الهلاوي المدني : مطالع السعود (بومبي 1885).
صلاح الدين المختار : تاريخ المملكة العربية السعودية (جزآن بيروت 1957).
عبد العزيز سليمان نوار : داود باشا والي بغداد (القاهرة 1967).
– تاريخ العراق الحديث (القاهرة 1968).
ابو علي اسماعيل بن القاسم القالي : كتاب الامالي (جزآن بيروت 1965).
سليمان الصائغ : تاريخ الموصل (القاهرة 1923).
وزارة الداخلية : مذكرات المجلس التأسيسي العراقي (جزآن بغداد 1925).
وصفي احمد زكريا : عشائر الشام (دمشق 1948).
محمد امين زكي : خلاصة تاريخ الكرد وكردستان (بغداد 1961).
– تاريخ السليمانية (بغداد 1951).

المصادر الأجنبية

Great Britain

Public Record Office, London
Air Ministry files, Series 23
(Iraqi Intelligence)
Colonial Office files, Series 693, 696.
Foreign Office files, Series 195 (Turkey), 371 (post-1905), 372.

Commonwealth Relations Office: India Office Records, London.
Political and Secret Department, Letters from Persian Gulf 1830-1850.

Published Documents

Great Britain

Admiralty: Naval Intelligence Division.

Geographical Handbook Series, **Iraq and the Persian Gulf,** Oxford, 1944.

Arabic Works

al-'Azzaw,'Abbas, **Ta'rkh al-'Iraq bayna Ihtalayn,** 8 Volumes. Baghdad, 1935-1956.

'Asha'ir al-'iraq. 4 Volumes, Baghdad, 1957.

Ghannam, Husayn ibn. **Ta'rkh Najd.** Egypt, 1961.

Ibn Qutaybah,'Abd Allah ibn Muslm, **Kitab'Uyun al-Akbar.** 4 Volumes, Cairo, 1925-1930.

al-Jahiz,'Amr ibn Bahr. **al-Bayan wa al-Tabayn.** 4 Volumes, Cairo, 1968.

Kitab al-Hayawan. 8 Volumes. Egypt, 1965.

al-Jaml, Makk. **al-Badwah wa al-Badw f al-Bilad al-'Arabiya.** n.p.p., 1962.

al-Badw wa al-Qaba'il ar-Rihhalah f al-'Iraq. Baghdad, 1956.

al-Kirkukl, Rasul. **Dawha al-Wuzara'.** translated from Turkish by Musa Kazim Nurus. Beirut, 1963.

al-Madin, Amn ibn Hasan al Halaw. **Mutali'u as-Sa'ud.** Bombay, 1885.

al-Mukhtar, Salah ad-Dn. **Ta'rkh al-Mamlakah al-'Arabya as-Sa'udiyah.** 2 Volumes. Beirut, 1957.

Nawwar,'Abd al-'Azz Sulayman. **Dawud Basha Wal Baghdad.** Cairo, 1967.

Tarkh al-'Iraq al-Hadth. Cairo, 1968.

al-Qal, Abu'Al Isma'l ibn al-Qasim. **Kitab al-Amal.** 2 Volumes. Beirut, 1965.

Sa'igh, Sulayman. **Tarkh al-Mausil.** Cairo, 1923.

Wizara ad-Dakiliya. **Mudhakara, al-Majlis al-Ta'sisi al-'Iraq.** 2 Volumes. Baghdad, 1925.

Zakariya, Wasf Ahmad. **'Asha'r ash-Sham.** Damascus, 1948.

Zak, Muhammad Amn. **Khulasat Ta'rkh al-kurd wa kudistan.** Baghdad, 1961.

Ta'rkh as-Sulaymaniyah. Baghdad, 1951.

Monographs and General Works

Arfa, Hassan, **The Kurds and Historical and Political Study.** London, 1966.

Badger, George Percy. **The Nestorians and Their Rituals.** London, 1852.

Baer, Gabriel. **Population and Society in the Arab East.** Translated from the Hebrew by Hanna Szoke. London, 1964.

Belyaev, E.A. **Arabs, Islam, and the Arab Caliphate in the Early Middle Ages.** Translated from teh R4ussian by Adolphe Gourevitch. New York, 1969.

Berkes, Niyazi. **The Development of Secularism inModern Turkey.** Montreal, 1964.

Blunt, Anne. **Bedouin Tribes of the Euphrates.** New York, 1879.

Bodman, Herbert, Jr. **Political Factions in Aleppo 1760-1826.** Chapel Hill, 1963.

Boveri, Margaret. **Minaret and Pipe-Line: Yesterday and Today in the Near East.** Translated from the German by Louisa M. Sieveking. London, 1939.

Brice, William C. **South-West Asia: A Systemic Geography.** London, 1967.

Burce, C.E., "The Sandeman Policy as Apllied to Tribal Problems of To-Day", **Journal of the Royal Central Asian Society,** XIX (1932).

Budge, Ernest. **By Nile and Tigris: A Narrative of Journeys in Egypt and Mesopotamia on Behalf of the British Museum Between the Years 1886 and 1913.** 2 Volumes. London, 1920.

Burckhardt, John Lewis. **Notes on the Bedouins and the Wahabys.** London, 1831.

Burgoyne, Elizabeth. **Gertrude Bell, From Her Personal Papers. 1914-1925.** 2 Volumes. London, 1958-1961.

Buringh, P. **Soils and Soil Conitions in Iraq.** Baghdad, 1960.

Busch, Briton C. **Britain, India, and The Arabs, 1914-1921.** Berkeley, 1971.

Cressy, George Babcock. **Crossroads: Land and Life in Southwest Asia.** Chicago, 1960.

Dann, Uriel **Iraq Under Qassem: A Political History, 1958-1963.** New York, 1969.

Davidson, Roderick, **Reform in the Ottoman Empire, 1956-**

1876. Princeton, 1963.

Devereux, Robert, **The First Ottoman Constitutional Period, A Study of the Midhat Constitution and Parliament.** Baltimore, 1963.

Dickson, Harold, **the Arab of the Desert: A Glimpse into Badawin Life in Kuwait and Saudi Arabia.** London, 1949.

Field, Henry, **Anthropology in Iraq.** 2 Volumes. Chicago, 1940-1952.

Fisher, William Bayne. **The Middle East: A Physical, Social and Regional Geography.** 6th Edition. London, 1951.

Fraser, James Baillie. **Travels in Kurdistan and Mesopotamis.** 2 Volumes. London, 1840.

Gabrieli, Francesco. **Muhammad and the Conquest of Islam.** Translated from the Italian by Virginia Luling and Rosamund Linell. New York, 1968.

Grant, C.P. **The Syrian Desert: Caravans-Travel and Explorations.** New York, 1938.

Haldane, James Aylmer Lowthrop. **The Insurrection in Mesopotamis, 1920.** Edinburgh, 1922.

Hitti, Philip Khubri. **History of the Arabs: From the Earliest Times to the Present.** 9th Edition. New York, 1967.

Hourani, Albert. **A Vision of History: Near Eastern and Other Essays.** Beirut, 1961.

Huart, Clement Ibault. **Histoire de Baghdad dans les Temps Modernes.** Paris, 1901.

Ireland, Philip Ward. Iraq: A Study in Political Development. New York, 1938.

al-Kasab, Nafir Nasir. **Die Nomadenansiedlung in der Irakischen Jezirah.** Tubingen, 1966.

Khadduri, Majid, **Independent'Iraq: A Study in'Iraqi Politics from 1932-1958.** 2nd Edition. London, 1960.

Republican'Iraq: A Study in'Iraqi Politics Since the Revolution of 1958. London, 1969.

Layard, Austen Henry. **Discoveries Among the Ruins of Nineveh and Babylon.** New York, 1853.

Nineveh and Its Remains. Edited by H.W.F. Saggs. London, 1970.

LeSttange, Guy. **The Lands of the Eastern Calphate.** New York, 1965.

Lewis, Bernard. **The Emergence of Modern Turkey.** London, 1961.

Loftus, William Kennett. **Travels and Research in Chaldaea and Susiana.** London, 1857.

Longrigg, Stenba Hemsley. **Four Centuries of Modern Iraq.** Oxford, 1925.

Iraq 1900-1950: A Political, Social and Economic History. Oxford, 1953.

Syria and Lebanon Under French Mandate. London, 1958.

Main, Ernest. **Iraq: From Mandate to Independence.** London, 1935.

Ma'oz, Moshe. **Ottoman Reform in Syria and Palestine, 1840-1861; the Impact of the Tanzimat on Politics and Society.** Oxford, 1968.

Mardin, Sherif. **The Genesis of Young Ottoman Thought: A Study in the Modernization of Turkish Political Ideas.** Princeton, 1962.

Margoliouth, D.S. "Wahhabiya", **E.I.**, Vol. IV, 1086-1087.

Midhat,'Ali Haydar. **Midhat-Pacha Sa Vie-Son Oeuvre.** Paris, 1908.

Mitford, Edward Ledwich. **A Land March from England to Ceylon Forty Years Ago.** London, 1884.

Montagne, Robert. **La Civilization du Desért: Nomades d'Orient et d'Afrique.** Paris, 1947.

Musil, Alois. **The Manners and Customs of the Rwala Bedouin.** New York, 1928.

The Middle Euphrates: A Topographical Itinerary. New York, 1927.

Nevakivi, Jukke. **Britain, France and the Arab Middle East, 1913-1920.** Oxford, 1969.

Niebuhr, Carsten. **Beschreibung von Arabien.** Kopenhagen, 1772.

Oates, David. **Studies in the Ancient History of Northern Iraq.** London, 1968.
Patai, Raphael. **Golden River to Golden Road, Society, Culture and Change in the Middle East.** Philadelphia, 1962.
Peretz, Don. **The Middle East Today.** New York, 1965.
Peters, J.P. **Nippur; or, Explorations and Adventurers on the Euphrates.** 2 Volumes. New York, 1898.
Philby, Harry St. John Bridger, **Arabia.** London, 1930.
Rabbath, E. **l'Évolution Politique de la Syrie sous Mandat. Paris, 1923.**
Ramsaux, Ernest Edmondson, Jr. **The Young Turks; Prelude to the Revolution of 1908.** Princeton, 1957.
Rassam, Hormuzd. **Asshur and the Land of Nimrod.** New York, 1897.
Rich, Claudius James. **Narrative of a Residence in Koordistan.** 2 Volumes. London, 1836.
Riousseau, Jean. **Description du Pashalic de Baghdad** Paris, 1809.
Sachar, Howard Morley. **The Emergence of the Middle East.** New York, 1969.
Europe Leaves the Middle East: 1936-1954. New York, 1972.
Sachaw. E. **Reise in Syrien und Mesopotamien.** Leipzig, 1883.
Shaw, Stanford. **Between the Old and the New: The Ottoman Empire under Salim III.** Cambridge, 1971.
Shiha, Habib K. **Le Province de Baghdad, Son Passé, Son Présent, Son Avenir.** Cairo, 1908.
Stein, Lothar. **Die Sammar-Gerba: Beduinen im Urbergang von Namdismus zur Sesshaftigkeit.** Berlin, 1967.
Sykes, Mark. **The Caliph's Last Heritage; A Short History of the Turkish Empire.** London, 1915.
Dar al-Islam. A Record of a Journey Through Ten of the Asiatic Provinces of Turkey. London, 1904.
Tibawi, Abdul Latif. **A Modern History of Syria Including Lebanon and Palestine.** London, 1969.

Vaucelles, Pierre de **La Vie en iraq Il Y A Un Siècle, Par Nos Consuls.** Paris, 1963.

Vernier, Bernard. **L'Iraq d'Aujourd'hui.** Paris, 1963.

Von Oppenheim, Max Freiherr, **Die Beduinen: Die Beduinenstamme in Mesopotamien und Syrien.** Volume I of 4 Volumes. Leipzig, 1939-1952.

Vom Mittelmeer zum Persischen Golf durch den Hauran, die Syrische Wuste, und Mesopotamien. 2 Volumes. Berlin, 1899-1900.

Warriner, Doreen. **Land Reform and Development in the Middle East: A Study of Egypt, Syria, and Iraq.** London, 1957.

Wilson, Arnold Talbot. **Loyalties Mesopotamia: 1914-1917.** London, 1931.

Mesopotamia, 1917-1920: A Clash of Loyalties; A Personal and Historical Record. London, 1990.

Winder, R. Bayley. **Saudi Arabia in the Nineteenth Century.** New York, 1965.

Zeine, N. Zeine. **The Struggle for Arab Independence: Western Diplomacy and the Rise and Fall of King Faisal.** Beirut, 1960.

Articles

Baer, Gabriel, "Iltizam", **E.I.2,** Vol. III, 1154-1155.

Canard, Marius. "Djazira", **E.I.2,** Vol. II, 523-524.

Caskel, W. "'Amir B. Tufayl", **E.I.2,** Vol. I, 442.

Elphineton, W.G. "The Kurdish Question", **International Affairs,** XXII (1949), 91-103.

Glubb, John. "The Bedouins of Northern Iraq", **Journal of the Royal Central Asian Society,** XXII, Pt. 1 (1935), 15-29.

Graf, E. "'Anaza", **E.I.2,** Vol. I, 482-483.

Huart, Clement. "Notice sur les Tribus Arabes de la Mesopotamie", **Journal Asiatique,** Series VII, XIII (1878), 215-240.

Jwaideh, Albertine. "Midhat Pasha and the Land System of

Lower Iraq", in **Middle Eastern Affairs,** No. III, Albert Hourani, Editor. **St. Antony's Papers,** No. XVI. Carbondale, nd., 106-136.

Lewis, Norman, "The Frontier of Settlement in Syria 1800-1950", **International Affairs,** XXXI (1955), 48-60.

Longrigg, Stephen Hemsley, "Baban", **E.I.2,** Vol. I, 845.

"Bahdnan", E.I.2, Vol. II, 920.

Menzel, T. "Yazd", **E.I.,** Vol. IV, 1163-1170.

Mideast Mirror, XI, No. 4 (April 5, 1959), 12.

Montagne, Robert. "Contes Poétiques Bédouins (Recueillis Chez Les Sammar de Geziré)", **Bulletin des Etudes Orientales,** V. (1935), 33-119.

"Quelque Aspects du Peuplement de la Haute Djeziré", Bulletin des Etudes Orientales, II (1932), 53-66.

Montserrat, Michel. "L'Affaire de Mossoul", **Orient,** IX (1959), 23-30. **Oriente Moderno,** XXXIX (1959), 319.

Pellat, Charles. "al-Ahnaf B. al-Kays", **E.I.2,** Vol. I, 303-304.

Ross, John, "Notes on Two Journeys from Baghdad to the Ruins of al-Hadr in Mesopotamia in 1836-1837", **Royal Geographical Society Journal** IX (1839), 443-467.

Rondot, Pierre. "Les Tribus Motagnardes de L'asie Anterieure", **Bulletin des Etudes Orientales,** VI (1936).

Sweet, Louise. "Camel Raiding of North Arabian Bedouin: A Mechanism of Ecological Adaptation", **American Anthropologist,** LXVII, (1965), 1132-1150.

Vinogradov, Amal. "The 1920 Revolt in Iraq Reconsidered the Role of The Tribes in National Politics", **International Journal of Middle Eastern Studies,** III (1972), 123-139.

فهرست المحتويات

الفصل الثاني

بروز شمر في الجزيرة: عهد صفوك بن فارس

1847-1818

الفصل الثالث

عهد تعديل: تحفظ العلاقات بين العثمانيين

وشمر 1848-1868

الفصل الرابع

الأنقسام الداخلي والتحدي الخارجي 1869-1914

الفصل الخامس

مشيخة عجيل الياور 1918-1940

الفصل السادس

شمر الجرباء 1940-1958